أساليب الإصلاحات الاجتماعية

عند الإمام زين العابدين عليه السلام

تأليف

السيد محمد محسن الجلالي

السجاد

مهرجان تراتيل سجادية الأول

أساليب الإصلاحات الاجتماعية
عند الإمام السجّاد عليه السلام

هوية الكتاب

الكتاب: أساليب الإصلاحات الاجتماعية عند الإمام السجّاد عليه السلام

تحقيق: السيد محسن الجلالي

الطبعة: الأولى ١٤٣٦ هـ

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة/ قسم العلاقات العامة

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني: مؤسسة المنتدى ـ حسن سويدان

أساليب الإصلاحات الاجتماعية
عند الإمام السجّاد عليه السلام

تاليف

السيد محمد مُحسن الجلالي

الناشر

العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم العلاقات العامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى العتبة العالية المقدسة للإمام الرابع
زين العابدين ومولى الساجدين، الإمام
علي بن الحسين بن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب
«سلام الله عليهم أجمعين»

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من آزرني في كتابة هذا البحث عن أساليب الإصلاحات الاجتماعية التي مارسها الإمام السجّاد في عصر إمامته لغرض إنقاذ الأمة من المهاوي التي سقطت أو كادت أن تسقط فيها، جرّاء هيمنة الحكم الأموي الغاشم والتي حاول الطغاة وأعوانهم فيها على إرجاع الأمة إلى ما كانت عليه في الجاهلية الأولى.

وأخص بالذكر سيدي الوالد السيد محمد جواد الجلالي وأساتذتي الكرام وبالأخص الأستاذ المشرف: حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي والأستاذ المساعد: حجة الإسلام والمسلمين السيد موسى الموسوي.

وكلّ من كان له يدٌ في إثراء هذا البحث من قريب أو بعيد.

فلهم جميعا مني الشكر والتقدير، ومن الله الأجر الجزيل والثواب الجميل. وكان الله في عون كل مخلص أمين.

محمد محسن الجلالي

خلاصة الكتاب

هذا الكتاب يتضمن عرضا للأساليب والسبل التي مارسها الإمام زين العابدين في عصر إمامته في سبيل الإصلاح الإجتماعي.

وفيه بيان لأساليب التبليغ التي سلكها الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم في إرشاد الأمة، وقد حاولنا أن نسلط الضوء على أساليب الإمام السجّاد الإصلاحية والتي طبّقها في ظروف استثنائية من حياة الأمّة الإسلامية وتمكن من خلالها توجيه المجتمع نحو الصلاح والإصلاح.

واعتمدنا فيه على مصادر موثوقة ومعتبرة منها: الموسوعة المتكونة من أربعة عشر مجلداً، بعنوان: «أعلام الهداية» حيث تكفّلت بيان حياة الأئمة الأطهار بشكل بديع، والتي مجّد سماحة السيد الخامنه اى بهذه الموسوعة بقوله: (ان بيان تأريخ مئتان وخمسون عاماً من حياة أهل البيت تحكي عن أنهم كانوا نوراً واحداً ينطقون بلسان يفهمه جميع المخاطبين، وقد سطّرت في مجموعة تحتوي أكثر من أربعة آلاف صفحة، وفي فصول متنوعة، وبالاعتماد على العديد من المصادر، وهو عمل شاق ظهر في أربعة عشر مجلداً بعنوان «أعلام الهداية»[1].

(١) من أقوال السيد القائد الخامنه اى بتاريخ ٩/ ٥/ ١٣٨٧هـ

وقد بدأنا الفصل الأول بإلقاء نظرة اجمالية إلى حياة الإمام السجّاد عليه السلام وتكلمنا فيه عن الأساليب الخطابية التي ألقاها الإمام.

وفي الفصل الثاني تكلمنا في أنواع الإصلاح الاجتماعي القولي بعناوين: الموعظة، الحكمة، الاحتجاج، والدعاء.

وفي الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى الأساليب العملية والتربوية التي سلكها الإمام تحت عناوين: البكاء، وتثقيف العبيد والإماء والتقية.

وفي الخاتمة حاولنا استخلاص النتائج من هذا التحقيق.

نتمنى أن يكون هذا الجهد مرضياً عند الله تعالى وأن يكون سبباً للتوفيق في إتباع الأئمة المعصومين عليهم السلام في خدمة الدين.

الفصل الأول

في الأمور العامة

ويتضمّن التعرّف على المصطلحات الأساسية المتداولة في هذا الكتاب:

هناك مصطلحات أساسية يكثر تداولها في هذا الكتاب ينبغي الكلام حولها باختصار ليكون القارئ على بينة من معانيها لغة واصطلاحا عند مروره عليها، نذكر منها:

الطريقة ـ في اللغة ـ: بمعنى الأسلوب، القاعدة والمعيار، السبيل، الطريق المستقيم، الدأب، الكيفية، المنوال، السلوك، المذهب، النوع، المنهج، الملة والدين[(1)].

كما ويستعمل بمعنى الحركة المرحلية والسلوك.

وفي الاصطلاح: عبارة عن عملية عقلية أو غير عقلية يقوم بها الذهن لاقتناء المعرفة أو للوقوف على وصف حقيقة من الحقائق.

ويمكن بالاطلاع على الأسلوب التعرّف على علل الحقائق عن طريق

(1) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «روش».

العقل أو غيره، كما يمكن بالاطلاع على الأسلوب الاجتناب عن الزَلّات في الحياة.

وبمعنى أوسع: فإن الأسلوب عبارة عن كل وسيلة مناسبة يمكن استخدامها لأجل الوصول إلى المطلوب؛ ويمكن إطلاق الأسلوب على عدد من الطرق التي تؤثر في إرشاد وهداية الانسان إلى كشف المجاهيل، وعلى مجموعة من القواعد التي يستفاد منها في البحث، وعلى سلسلة من الآلات والفنون التي ترشد الانسان وتوصله من المعلومات إلى المجهولات(١).

الإصلاح: يطلق الإصلاح في اللغة بمعنى المصالحة والتوافق والاجادة، التصحيح، الالتئام والشفاء، التنظيم والترتيب، وتنظيم الأمور، وازالة الفساد واقامة الشيء. واصل الإصلاح في اللغة العربية مأخوذ من مادة (ص ل ح)، قال أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحا، ويقال: صلح بفتح اللام، ويقال: صلح صلوحا(٢).

وقال ابن السكيت: صلُح الشيءُ وصلَح يصْلَح ويصْلُح، والمصدر صَلاحاً وصُلوحاً، وقد أصلحْتُه. ابن دريد: ليست صَلُح بثَبْت، ورجل صالح في دينه ونفسه. ابن الأعرابي: أصلحْتُ الأمر: هيأتُه. وأصلحْتُ

(١) باقر الساروخاني، روش هاي تحقيق در علوم اجتماعي (ط: طهران: مركز بحث العلوم الانسانية والمطالعات الثقافية، ١٣٧٥، ج١، ص ٢٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٣: ٣٠٣.

الدابّة: أحسنتُ إليها. صاحب العين: الصُلْح: السِّلْم. وقد تصالح القوم واصطلَحوا، وأصلحْتُ بينهم وصالحْتُهم مُصالحة وصِلاحاً[١].

والإصلاح: إما من مادة صلح، فهو بمعنى إيجاد الوئام والملائمة ومحاولة المواساة وازالة الخلاف والمخاصمة والمشاجرة بين شخصين أو قبيلتين أو شيئين.

وقد يكون بمعنى الصلاح، فهو ضد الفساد، ويستعمل كثيراً مّا بمعنى إيجاد الاهلية والقابلية.

وفي الاصطلاح: تطلق كلمة الإصلاح في وقتنا الحاضر على معنى خاص يستعمل في المخاطبات السياسية بمعنىً يوازي كلمة رفرم [Reform] بالإنكليزية، أي: تغيير الاحوال والنظام، في مقابل: الثورة[٢].

وأما في اصطلاح القرآن والروايات فتستعمل الكلمة بما لها من المعنى اللغوي، وهو ما يكون في قبال الفساد، بمعنى إيجاد النظم والترتيب وازالة الفساد، وله بهذا المعنى مصاديق كثيرة في القرآن.

وأما الإصلاح عند العرف، فهو بمعنى الخروج من حالة القلق [وهو تغيير الوضع غير الملائم إلى وضع ملائم] واصلاح المفاسد والقبائح، ودفع الفساد والانحراف.

المجتمع: هو في اللغة بمعنى التجمع، الاتحاد، الجماعة والمجموع، الكثافة، المشاركة، التوافق والتشابه البيولوجي، كما يطلق

---

(١) راجع: المخصص - ابن سيده ٣ق٣، السفر الثاني عشر، ص ١٦٤.

(٢) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «اصلاح».

على مجموعة من الحيوانات أو النباتات التي تتواجد في منطقة جغرافية محددة أو في بيئة متماثلة[١].

ومن وجهة نظر علم الاجتماع تطلق على مجموعة من الناس الذين تربطهم علاقات قوية وطويلة الأمد. وقد تطلق على جماعة تعيش في موضع جغرافي مشترك.

كما تطلق على أعضاء المجتمع الواحد المشتركون في منظمة أو في نشاط اجتماعي خاص. وتطلق أيضاً على الأفراد من مجموعة ترتبط فيما بينها بروابط قوية[٢].

الأمة الإسلامية: تطلق في اللغة على المجموعة التي تتبع نبيّ الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ، أو المجموعة التي آمنت بالنبي ﷺ[٣].

وأيضاً تطلق على: القوم، العشيرة، والملة، أو المجتمع الديني الذي يكون تحت راية هداية النبي ﷺ.

وفي الاصطلاح: هي بمعنى جماعة من الناس الذين بعث الله إليهم خاتم النبيين محمد ﷺ وآمنوا به وأسلموا، وعاهدوا الله عهداً بالاستمرار على طريقته وحددوا بذلك علاقتهم مع الله.

---

(١) آراسته خو، محمد؛ نقد ونگرش بر فرهنگ اصطلاحات علمي ـ اجتماعي، تهران، گستره، ١٣٧٠، الطبعة الثانية، ص٧٤.

(٢) شارع پور، محمود؛ جامعه شناسي شهري، طهران، ط: سمت، ١٣٨٩، الطبعة الثانية، ص١١.

(٣) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «امت».

عصر الإمامة:

في الاصطلاح: يكون بمعنى المدّة الزمنية والفترة من التاريخ، التي كانت بعد ارتحال النبي الاكرم ﷺ.

والعصر في اللغة: بمعنى الضَغط، وما بعد الظهر من اليوم، وأيضاً يستعمل بمعنى الدهر، والعهد[١].

والإمامة في اللغة: بمعنى القدوة، القيادة، الرئاسة العامة[٢].

وأيضاً: بمعنى من يؤتم به ومن يقتدى به ومن يتبع[٣].

وفي الاصطلاح: هي بمعنى الخلافة والنيابة عن النبي ﷺ.

والإمام: هو الذي يشترك مع النبيّ في الوظائف والمسؤوليات الإلهية باستثناء تلقي الوحي.

أما في اصطلاح مذهب الشيعة، فالإمامة هي منصب عام ينصب فيه الإمام من جانب الله تعالى[٤].

وبعبارة اخرى: الإمامة بمعنى الخلافة والنيابة عن نبيّ الإسلام في الولاية والزعامة العامة للأمة في شؤون الدين والدنيا، والذي يتعين بأمر الله وبتعيين النبي ﷺ، ووظيفة الإمام هو حراسة وحماية الدين عن الانحراف، واتباع الإمام فرض على عموم الأمة.

الإمام السجّاد: هو أبو محمد علي بن الحسين السجّاد، الإمام

(١) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «عصر».
(٢) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «امام».
(٣) المفردات، للراغب الاصفهاني: ص٢٤.
(٤) جعفر سبحاني، الالهيات، ج٢، ص٥١٠.

الرابع للشيعة. وعرف بالسجّاد [بمعنى الكثير السجود] وزين العابدين، ومن ألقابه: علي الأصغر[١].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٣٢.

نظرة إجمالية إلى حياة
الإمام السجّاد عليه السلام

اسمه:

الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام هو رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجدّه: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من أسلم وآمن برسالته(١)، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، كما صحّ في الحديث عنه(٢).

وجدّته:

فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته(٣)، وفلذة كبده، وسيّدة نساء العالمين(٤) كما وصفها أبوها صلى الله عليه وآله.

وأبوه:

الإمام الحسين عليه السلام أحد سيّدَيْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول

---

(١) الكافي ٨: ٣٣٨، مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٣١، فضائل الصحابة: ١٣.

(٢) الكافي ٨: ١٠٧، مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٠، صحيح البخاري ٤: ٢٠٨، صحيح مسلم ٧: ١٢٠.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤: ٣٢٦، صحيح البخاري ٤: ٢١٠، صحيح مسلم ٧: ١٤١.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٧، مسند أبي داود الطيالسي: ١٩٧، المصنف ٧: ٥٢٧.

وريحانته ومن قال فيه جدّه ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين»[١]، والذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

ومن أعمامه:

الإمام الحسن عليه السلام ثاني سيّدَيْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه جدّه ﷺ: «اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه، وأحبب من يحبه»[٢]، وهو الذي استشهد في المدينة بالسم الذي دسه إليه معاوية بن أبي سفيان.

والإمام السجّاد هو أحد الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام الذين أشار إليهم النبيّ ﷺ كما في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، بقوله: «الخلفاء بعدي اثنا عشر، كلّهم من قريش»[٣].

امّه:

المتّفق عليه انّ امّه عليها السلام كانت من بنات ملوك فارس، واختلف في اسمها، فقال في الإرشاد والتهذيب: «شاه زنان» وقال الكليني والطبري الإمامي: «شهربانويه»، ويشهد له خبر أبي نضرة في صحيفة فاطمة: «امه شهربانو بنت يزد جرد».

---

(١) الإرشاد للمفيد ٢: ١٢٧، مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٧٢، سنن ابن ماجة ١: ٥١.

(٢) شرح أصول الكافي ـ مولي محمد صالح المازندراني ٦: ١٤٨
روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ اعتنق الحسن وقال «اللهمّ إنّي أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه، وأحبب من يحبه». صحيح مسلم ٧: ١٢٩.

(٣) دلائل الإمامة: ١٩، وقد رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٥: ٨٧، باختلاف حيث ورد فيه: «إنّ هذا الدين لا يزال ظاهراً على مَن ناواه، لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتّى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة...».
ورواه البخاري في صحيحه مع اختلاف يسير ٨: ١٢٨، وكذلك رواه مسلم النيسابوري في صحيحه ٦: ٣.

وقال النوبختي وابن قتيبة والحافظ عبد العزيز: «سلافة»، وعن ابراهيم بن اسحاق «غزالة»، وعن بعضهم: «برّة»، وفي إثبات الوصية: «جهانشاه»، و«شهربانو» أختها، تزوّجها الحسن ﷺ، وجعل النوبختي «جهانشاه» اسمها قبل السبي[١].

جده من طرف الأم:

قال الشيخ التستري قدس سره: واختلف أيضاً في ابيها: فقيل: انه يزدجرد آخر ملوك فارس ـ صرّح به الكليني والمفيد والمسعودي في اثباته والنوبختي ـ وهو يزدجرد بن شهريار كسرى پرويز، ووهم الكليني فقال: يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى بن پرويز، وانما شيرويه أخو شهريار، لا أبوه. وكيف كان، فنقل هذا القول عن المبرّد أيضا.

وقال الشيخ في التهذيب: «بنت شيرويه وقيل: بنت النوشجان»، قلت: والاول أصح، لأنّه أشهر، ولأنّه دلّ عليه الخبر، واليه ذهب الزمخشري فقال في ربيع الأبرار: «كان ﷺ يقول: انا ابن الخيرتين، لأنّ جده رسول الله ﷺ وامّه بنت يزدجرد الملك، وأنشد أبو الأسود:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نبطت عليه التمائم[٢]

مولده:

اختلف المؤرخون في تحديد مولد السجّاد في يومه وشهره، فقال المفيد في مساره وحدائقه والشيخ في مصباحه وصاحب المناقب ومؤلف إعلام الورى ومصنف تاريخ الغفاري: في النصف من جمادى الاولى،

(١) رسالة في تواريخ النبي والآل ﷺ: ٤٦.
(٢) رسالة في تواريخ النبي والآل ﷺ، ص٤٦ ـ ٧٤، وراجع: الكافي ١: ٢٧٠.

وقال الفتّال في روضة الواعظين: في تسع خلون من شعبان. وقال الفصول المهمة والدروس وكشف الغمة: في خامس شعبان.

واختلف في سنته أيضاً؛ فقال الكليني والمفيد في إرشاده ومساره والشيخ في تهذيبه والفتال وابن الخشاب وفي الفصول والدروس والكشف والمناقب وإعلام الورى والتذكرة: إنّه في سنة ثمان وثلاثين، ورواه ابن الخشاب عن الصادق ﷺ، وبه قال في إثبات الوصية. وقال المفيد في حدائقه والشيخ في مصباحه: في ست وثلاثين، وقيل: في سبع وثلاثين، وقيل: في خمس وثلاثين، ولم أقف على قائلهما. والتعويل على الأوّل. فروى الكليني صحيحا ـ على الأصح في ابن سنان ـ عن الصادق ﷺ: انّه قبض وهوابن سبع وخمسين سنة في عام خمس وتسعين[1].

ولا بدعَ في وجود أقوال عديدة في تأريخ أئمة الشيعة، الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن الحق والحقيقة، فعاداهم الطغاة، وحاولوا التعتيم على كلّ ما يتعلق بشخصياتهم اللامعة، ولم يكن الإمام السجّاد ﷺ بمستثنى عن هذا الأمر، ومن هنا اختلف المؤرّخون في ولادته ووفاته على أقوال عديدة، ووصلتنا في ولادته ﷺ اقوالاً اهمّها ثمانية، وهي:

١ ـ الثامن من ربيع الأوّل، نقله السيد الإمامي في جنّات الخلود: ٢٤.

٢ ـ منتصف جمادى الاولى، كما في مصباح الشيخ الطوسي: ٧٣٣.

(١) رسالة في تواريخ النبي والآل ﷺ: ٣٠.

٣ ـ منتصف جمادى الثانية، كما في إعلام الورى ١ : ٤٨٠.

٤ ـ الحادي عشر من رجب، نقله السيد الإمامي قولاً في جنّات الخلود: ٢٤.

٥ ـ الخامس من شعبان، ذكره الكفعمي في جدول المصباح: ٥٢٢ والمحدّث البحراني في الحدائق ١٧ : ٤٣٥.

٦ ـ السابع من شعبان، نقله السيد الإمامي قولاً آخر في جنّات الخلود: ٢٤.

٧ ـ الثامن من شعبان، حكاه العلامة المجلسي في البحار ٤٦ : ١٢ و١٣.

٨ ـ التاسع من شعبان، نقله قولاً، العلامة الطبرسي في إعلام الورى ١ : ٤٨٠.

وعلى هذا الاساس وقع الخلاف في سنة وفاته أيضاً ـ بعد الاتفاق على أنّه كان في شهر محرم الحرام ـ على أقوال تتراوح بين السنوات ٩٢ إلى ٩٥، كما اختلف في اليوم الذي استشهد فيه[1].

أما في يوم الاستشهاد فاختلف فيه على أقوال، واهمها خمسة:

---

(١) فقيل: سنة أربع وتسعين، وكان يقال لها: سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها، وقيل سنة خمس وتسعين. (انظر البحار ٤٦ : ١٥١). قال الشيخ التستري: وأمّا وفاة السجّاد، فلم يتعرّض الكثير لشهره. وعيّنه بعضهم في محرم، واختلفوا؛ فالنوبختي أطلقه، وقال الشيخان في المسار والمصباح: في الخامس والعشرين منه، وفي جدول الكفعمي: في الثاني والعشرين، وفي مناقبي السروي والكنجي: في الثامن عشر.

١ ـ الثاني عشر من المحرم، ذكره الشيخ البهائي في توضيح المقاصد[١].

٢ ـ الثامن عشر من المحرم، ذهب إليه الطبرسي في إعلام الورى[٢].

٣ ـ الثانى والعشرون من المحرم، ذكره الكفعمي في جدول المصباح[٣].

٤ ـ الخامس والعشرون من المحرم، ذكره الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد[٤].

٥ ـ التاسع والعشرون من المحرم، ذكره السيد محمد علي الشاه عبدالعظيمي في جدول الإيقاد[٥].

وعلى هذا الاساس اختلف في عمره الشريف عند الوفاة وأنه ﷺ كان له من العمر يومئذ بين خمس وخمسين سنة إلى ثمان وخمسين سنة.

فروى الكليني عن سعد بن عَبْد الله، وعَبْد الله بن جعفر الحميري،

واختلف في سنته، فقال ابونعيم: سنة اثنين وتسعين، وابن عساكر: أربع وتسعين، وروي عن أبي فروة وعن الحسين ابنه، وبه قال الشيخان في المسار والمصباح والجزري والنوبختي، وقال الكليني والاثبات والشيخان في الإرشاد والتهذيب: انه في سنة خمس وتسعين، ورواه الاول عن أبي بصير عن الصادق ﷺ، فعليه المعوّل. (رسالة في تواريخ النبي والآل ﷺ: ٤٠).

(١) توضيح المقاصد (ضمن مجموعة نفيسة): ٥٦١.

(٢) إعلام الورى ١: ٤٨١.

(٣) مصباح الكفعمي: ٥٢٢.

(٤) مصباح المتهجد: ٧٢٩.

(٥) نقله السيد عبد الرزاق المقرّم في «الامام زين العابدين»: ٤١٧.

عن إبراهيم بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن مُحَمَّد بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عَبْدالله ﷺ قال: قبضَ عليٌّ بن الحسين وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام خمس وتسعين، وعاش بعد الحُسين خمْساً وثلاثين سنة[١].

سيرته:

كان الإمام زين العابدين ﷺ من أرأف الناس وأبرّهم وأرحمهم بأهل بيته، وكان لا يتميّز عنهم، وقد أُثر عنه أنّه قال: «لَئن أدخل السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحماً وقد قرموا أحبّ إلي من أن أعتق نسمة»[٢].

وكان يبكر في خروجه مصبحاً لطلب الرزق لعياله، فقيل له: يابن رسول الله، أين تذهب؟ فقال: «أتصدّق لعيالي، قيل له: أتتصدق؟ قال: من طلب الحلال فهو من الله عزّوجلّ صدقة عليهم»[٣].

وكان ﷺ يعين أهله في حوائجهم البيتية، ولا يأمر أحداً منهم فيما يخصّ شأناً من شؤونه الخاصة، كما كان يتولّى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يخصّ شؤون عبادته، فإنّه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها.

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ١٥٢.

(٢) الكافي ٤: ١٢، جامع أحاديث الشيعة ٢١: ٤٦٦. والقرم: شدّة الميل والشهوة إلى أكل اللحم. كما في القاموس.

(٣) الكافي ٤: ١٢، وسائل الشيعة ١٧: ٦٧.

مع أبويه:

وقابل الإمام المعروف الذي أسدته إليه مربّيته بكلّ ما تمكن عليه من أنواع الإحسان، وقد بلغ من جميل برّه بها أنّه امتنع أن يؤاكلها فلامه الناس، وأخذوا يسألونه بإلحاح قائلين: أنت أبرّ الناس وأوصلهم رحماً، فلماذا لا تؤاكل أمّك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً: «أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقّاً لها»[(١)].

ومن برّه لأبويه:

دعاؤه لهما، وهو من أسمى القواعد في التربية الإسلامية الهادفة، وهذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه ﷺ: «... واخصص اللهمّ والديّ بالكرامة لديك، والصلاة منك يا أرحم الراحمين... وألهمني علم ما يجب لهما عليّ إلهاماً، واجمع لي علم ذلك كلّه تماماً، ثم استعملني بما تلهمني منه، ووفّقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه... اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن، حتّى أوثر على هواي هواهما، وأُقدّم على رضاي رضاهما، واستكثر برّهما بي وإن قلّ، واستقلّ برّي بهما وإن كثر.

اللهمّ خفّض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي، وألِن لهما عريكتي، واعطف عليهما قلبي، وصيرني بهما رفيقاً وعليهما شفيقاً... اللهمّ

---

(١) الكامل للمبرد ١: ٣٠٢، شذرات اللعب ١: ١٠٥، مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٦ عن أمالي النيشابوري، الخصال: ٥١٨ مع اختلاف يسير.

اشكرلهما تربيتي، وأثبهما على تكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاه منّي في صغري... اللهمّ لا تُنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي إناً من آناء ليلي، وفي كل ساعة من ساعات نهاري... اللهمّ صلّ على محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرّهما بي...»(١).

مع أبنائه:

أمّا سلوك الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ﷺ مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيّرة واتّجاهاته الإصلاحية العظيمة، وقد صاروا بحكم تربيته لهم من ألمع رجال الفكر والعلم والجهاد في الإسلام.

فكان ولده الإمام محمد الباقر ﷺ أشهر أئمّة المسلمين، وأكثرهم عطاءً للعلم.

وأمّا ولده عبدالله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين في فضله وسمّو منزلته العلمية.

وأمّا ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين، وقد برعَ في علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير والكلام وغيرها، وهو الذي تبنّى حقوق المظلومين المضطهدين، وقاد مسيرتهم الدامية في ثورته التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي، وساهمت مساهمة إيجابية وفعّالة في الإطاحة بالحكم الأُموي(٢).

---

(١) الصحيفة السجّادية: (دعاؤه ع لأبويه): ١٢٨، والعسوف: الظلوم. والوسنان: النعسان والعريكة: الطبيعة.

(٢) حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ٥٥ ـ ٥٦.

وزوّد الإمام ﷺ أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجاً يسيرون عليه في الحياة، قال ﷺ:

١ ـ «يا بُنيّ، أُنظر خمسةً فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا تُرافقهم في طريق.

فقلت له: يا أبه: من هم؟ قال ﷺ: إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب، يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب. وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بائعك بأكلة أو أقلّ من ذلك. وإيّاك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله، وأنت أحوج ما تكون إليه. وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك. وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله...»[1].

٢ ـ قال ﷺ: «يا بُنيّ، اصبر على النوائب، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرّته عليك أكثر من منفعته له...»[2].

٣ ـ وقال ﷺ: «يا بُنيّ، إنّ الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذّرني منك، واعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودّة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له»[3].

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٧، تحف العقول: ٢٧٩.
(٢) البيان والتبيين ٢: ٧٦، العقد الفريد: ٣: ٨٨، مستدرك الوسائل ١٢: ٣٦٣، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٢، تهذيب الكمال ٢٠: ٣٩٩.
(٣) العقد الفريد ٣: ٨٩، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٦٥ مع اختلاف يسير.

مع مماليكه:

وسار الإمام ﷺ مع مماليكه سيرة تتّسم بالرفق والعطف والحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، وقد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظلّ آبائهم، حتّى أنّه لم يعاقب أمَةً ولا عبداً فيما إذا اقترفا ذنباً[١].

وقد كان له مملوك فدعاه مرّتين فلم يجبه، وفي الثالثة قال له الإمام برفق ولطف: «يا بُنيّ، أما سمعت صوتي؟» قال: بلى..، فقال له ﷺ: «لِمَ لَمْ تُجبْني؟» فقال: أمنت منك، فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول: «الحمد للّه الذي جعل مملوكي يأمنني...»[٢].

انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين ﷺ:

اتّفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين ﷺ وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وأنّه علم شاهق في هذه الدنيا، لا يدانيه أحد في فضائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له: أنّهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم[٣]، ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، وإنّما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم واتّجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

---

(١) إقبال الأعمال ١: ٤٤٣ ـ ٤٤٥ بإسناده عن التلعكبري عن ابن عجلان عن الصادق ﷺ. وعنه في بحار الأنوار ٤٦: ١٠٣ ـ ١٠٥. و٩٨: ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) الإرشاد ٢: ١٤٧، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٦، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٧.

(٣) العقد الفريد ٢: ٢٥١.

أقوال معاصريه فيه:

عبّر المعاصرون للإمام عليه السلام من العلماء والفقهاء والمؤرّخين بانطباعاتهم عن شخصيّته، وكلها إكبار وتعظيم له، سواء في ذلك من أخلص له في الودّ أم أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلي نبذة من كلماتهم:

١ ـ قال الصحابيّ الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين عليه السلام[(١)].

٢ ـ كان عبدالله بن عباس مع تقدّمه في السنّ، يجلّ الإمام عليه السلام وينحني خضوعاً له وتكريماً، فإذا رآه قام تعظيماً ورفع صوته قائلاً: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب[(٢)].

٣ ـ وُصِف محمّد بن مسلم القرشي الزهري بالفقيه، وأحد الأئمّة الأعلام وعالم الحجاز والشام[(٣)]. ولم يكن من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولكنّه أدلى بمجموعة من الكلمات القيّمة أعرب فيها عمّا يتصف به الإمام عليه السلام من القيم الكريمة والمُثل العظيمة، وهذه بعض كلماته:

---

(١) حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل ١: ١٢٦، الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٣٧، وفيه: «والله ما أرى في أولاد الأنبياء...»، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٠ وفيه: «ما أرى من أولاد الأنبياء...».

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٦: ١٤٧، تذكرة الخواص: ٣٢٤، الطبقات الكبرى ٥: ٢١٣، البداية والنهاية ٩: ١٢٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٩: ٤٤٥.

أ ـ ما رأيت هاشمياً أفضل من عليّ بن الحسين[١].

ب ـ لم أدرك من أهل البيت رجلاً كان أفضل من عليّ بن الحسين.

ج ـ ... ما رأيت أحداً أفقه منه[٢].

٤ ـ سعيد بن المسيّب: وهو من الفقهاء البارزين في يثرب، وقال عنه الرواة: إنّه ليس في التابعين من هو أوسع منه علماً[٣]، وهو قد صحب الإمام عليه السلام ووقف على ورعه، وشدّة تحرّجه في الدين، وقد سجّل ما رآه بهذه الكلمات:

أ ـ ما رأيت قطّ أفضل من عليّ بن الحسين عليه السلام، وما رأيته قطّ إلاّ مَقَتُّ نفسي[٤]....

ب ـ ما رأيت أورع منه[٥].

ج ـ كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتىً من قريش، فطلع الإمام عليه السلام فسأل القرشيّ سعيداً عنه، فأجابه سعيد: هذا سيّد العابدين[٦].

٥ ـ زيد بن أسلم: وكان في طليعة فقهاء المدينة، ومن مفسّري القرآن[٧]، وقد أدلى بعدّة كلمات بشأن الإمام عليه السلام، منها:

---

(١) معرفة الثقات ٢: ١٥٣، تاريخ أسماء الثقات: ١٤١، الجرح والتعديل ٦: ١٧٩.

(٢) شذرات الذهب ١: ١٠٥، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٤: ٨٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٣، موسوعة المصطفى والعترة ٨: ٢٣٣.

(٥) تهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٩، تذكرة الحفاظ ١: ٧٥، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩١، تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٩، البداية والنهاية ٩: ١٣٤.

(٦) الفصول المهمة ٢: ٨٦٢، الإرشاد ٢: ١٤٥.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٤: ٣٧٣، شرح إحقاق الحقّ ٢٨: ١٦٠.

أ ـ ما جالست في أهل القبلة مثله[١].

ب ـ ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فيهم قط ـ أي: في أهل البيت[٢].

ج ـ ما رأيت مثل عليّ بن الحسين فَهِماً حافظاً[٣].

٦ ـ حمّاد بن زيد: وهو من أبرز فقهاء البصرة، ويُعتبر من أئمّة المسلمين[٤].

قال فيه: كان عليّ بن الحسين أفضل هاشميٍّ أدركته[٥].

٧ ـ يحيى بن سعيد: وهو من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء[٦].

قال: سمعت عليّ بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته[٧].

٨ ـ لقد اعترف بالفضل للإمام ﷺ حتّى أعداؤه ومبغضوه، فهذا يزيد بن معاوية وبعد أن ألحّ عليه أهل الشام في أن يسمح للإمام ﷺ أن يخطب، أبدى مخاوفه منه قائلاً: إنّه من أهل

---

(١) حياة الإمام زين العابدين ١: ١٢٩ عن تاريخ مدينة دمشق ١٢: ق١: الورقة ١٩.
(٢) حياة الإمام زين العابدين ١: ١٢٩ عن تاريخ دمشق١٢: ق١: الورقة ١٩.
(٣) طبقات الفقهاء ٢: ٣٤.
(٤) تهذيب التهذيب: ٣: ٩.
(٥) تهذيب اللغات والأسماء، القسم الأول: ٣٤٣.
(٦) حياة الإمام زين العابدين دراسة وتحليل ١: ١٣٠ عن تهذيب التهذيب.
(٧) حياة الإمام زين العابدين دراسة وتحليل ١: ١٣٠ عن تهذيب الكمال م٧: ق٢: الورقة ٣٣٦.

بيتٍ زُقّوا العلم زقّاً، إنّه لا ينزل إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان[١]..

٩ ـ عبد الملك بن مروان: وهذا عدوّ آخر يقول للإمام عليه السلام:... وإنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلاّ من مضى من سلفك[٢]..

١٠ ـ منصور الدوانيقي: وهذا عدوّ آخر لأهل البيت عليهم السلام قد أشاد بفضل الإمام عليه السلام في رسالته إلى ذي النفس الزكية بقوله: ولم يولد فيكم ـ أي في العلويّين ـ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مولود مثله، أي مثل زين العابدين[٣].

أقوال العلماء والمؤرخين فيه:

١ ـ قال اليعقوبي: كان أفضل الناس وأشدّهم عبادة، وكان يسمّي: زين العابدين، وكان يسمّى ـ أيضاً ـ: ذا الثفنات، لما كان في وجهه من أثر السجود[٤].

٢ ـ قال الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن الشافعي المعروف بابن

---

(١) نفس المهموم: ٤٤٨ ـ ٤٥٢ ط: قم، عن مناقب آل أبي طالب ٤: ١٨١ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعي: الخطبة بدون المقدمة، والمقدمة عن الكامل للبهائي ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٢ وانظر حياة الإمام زين العابدين، للقرشي ١: ١٧٥، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٨، معالم المدرستين ٣: ١٦٥.

(٢) مستدرك الوسائل ١: ١٢٥، جامع أحاديث الشيعة ١: ٤٠٣.

(٣) الكامل للمبرد ٢: ٤٦٧، العقد الفريد ٥: ٣١٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٣: ٤٦.

عساكر، في ترجمة الإمام عليه السلام: كان عليّ بن الحسين ثقةً مأموناً، كثير الحديث، عالياً رفيعاً[١].

٣ ـ قال الذهبي: كانت له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى؛ لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه وكمال عقله[٢].

٤ ـ قال الحافظ أبو نعيم: عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام زين العابدين ومنار القانتين، كان عابداً وفيّاً وجواداً صفيّاً[٣].

٥ ـ قال صفيّ الدين: كان زين العابدين عظيم الهدي والسمت الصالح[٤].

٦ ـ قال النووي: وأجمعوا على جلالته في كلّ شيء[٥].

٧ ـ قال عماد الدين إدريس القرشي: كان الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة[٦].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٦٢٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٨.
(٣) حلية الأولياء ٣: ١٣٣.
(٤) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ٢٨٠.
(٥) عن تهذيب اللغات والأسماء ق١: ٣٤٣، شرح إحقاق الحقّ ١٢: ٨، ينابيع المودّة ٣: ١٥٦.
(٦) عيون الأخبار وفنون الآثار: ١٤٤.

٨ ـ قال النسّابة الشهير ابن عنبة: وفضائله ﷺ أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف[١].

٩ ـ قال الشيخ المفيد: إنّه كان أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً..، وقال: وقد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا يُحصى كثرة، وحُفِظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء[٢].

١٠ ـ وقال ابن تيمية: أمّا عليّ بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً... وله من الخشوع وصدقة السرّ وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف[٣].

١١ ـ قال الشيخاني القادري: سيّدنا زين العابدين عليّ بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوّ في الجود محاسنه، عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة وثبت بالآثار المتواترة[٤].

١٢ ـ قال محمّد بن طلحة القرشي الشافعي: هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيّد المتقين، وإمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنّه من سلالة رسول الله ﷺ وسمته يثبت مقام قربه من الله

---

(١) عمدة الطالب: ١٩٣.

(٢) الإرشاد ٢: ١٣٨ و١٥٣.

(٣) منهاج السنّة ٢: ١٢٣.

(٤) الصراط السوي: الورقة ١٩، وقريب منه قاله المنّاوي في حقّه ﷺ، انظر: جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ٣٥.

زلفاً، وثفناته تسجّل له كثرة صلاته وتهجّده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاف التقوى فتفوّقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وآلفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها، وحالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به في مفازة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنّه من ملوك الآخرة(١).

١٣ ـ قال الشافعي: وجدت عليّ بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة(٢).

١٤ ـ قال الجاحظ: وأمّا عليّ بن الحسين بن عليّ فلم أرَ الخارجي في أمره إلاّ كالشيعي، ولم أرَ الشيعي إلاّ كالمعتزلي، ولم أرَ المعتزلي إلاّ كالعامي، ولم أرَ العامي إلاّ كالخاصي، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله ويشك في تقديمه(٣).

١٥ ـ قال سبط ابن الجوزي: وهو أبو الأئمّة وكنيته أبو الحسن ويلقب بزين العابدين وسمّاه رسول الله ﷺ سيد العابدين... والسجّاد، وذي الثفنات، والزكي والأمين، والثفنات: ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين فكان طول السجود قد أثّر في ثفناته(٤).

---

(١) مطالب السؤول: ٤٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٢٧٤، مناقب أهل البيت ﷺ: ٢٥٨.

(٣) عمدة الطالب: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٢٤.

أحداث هامة في حياة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام:

ولد الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين(١).

وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين أوثلاثاً منها في كنف جدّه الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وارتوى من نمير العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى. واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته.

كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك(٢).

لم تكن ثقة الأمّة بالإمام زين العابدين عليه السلام ـ على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها ـ مقتصرة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل

---

(١) مناقب أهل البيت عليهم السلام: ٢٥٦، وفيات الأعيان: ٢٦٩، شرح إحقاق الحقّ ٢٨: ٢٤.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ١٢٩ ـ ١٣٢ ح ٢٠٧، والجاحظ في البيان والتبيين ١: ٢٨٦، الأغاني ١٤: ٧٥ و١٩: ٤٠، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٢: ٣٣٨ ط: إيران، مستدرك الوسائل ٩: ٣٨٣، شرح الأخبار ٣: ٢٦٣، الاختصاص: ١٩١، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٦.

كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً، ومفزعاً في كلّ مشاكل الحياة وقضاياها، بوصفه امتداداً لآبائه الطاهرين ﷺ.

ومن هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين ﷺ لحلّ مشكلة تهديد الملك الروماني له بإذلال المسلمين(١).

وعاش الإمام السجّاد في حياته وقائع هائلة في تأريخ الإسلام، وأهمّها:

١ ـ محنة كربلاء الرهيبة:

حيث حاصرت جيوش الكفر والضلال ريحانة رسول الله ﷺ ومنعوه وأهله من ماء الفرات حتى قضى في سبيل الله عطشاناً.

واحرقت خيامه، وقتل أصحابه وأنصاره، وسبيت بنات الرسالة من بلد إلى بلد بأبشع صورة.

وهذه الحادثة الرهيبة معروفة نقلها جميع المؤرخين، وهي أشهر من أن تذكر.

٢ ـ واقعة الحرّة:

وهي الجريمة النكراء الثانية التي اقترفها بنواميّة ضد المسلمين، وانتقم فيها يزيد لآل أبي سفيان من الرسول ﷺ وأصحابه، بهجومه البشع على المدينة المنوّرة ومحاصرتها، ثمّ إباحتها لجنوده الغواة ثلاثة أيام، حيث لم تبق فيها حرمة للمسلمين إلاّ انتكهت.

وخلاصة هذه الفاجعة: إنّ فسق يزيد اشتهر في بلاد الإسلام بعد واقعة كربلاء، وعلى اثرها وفد جماعة من أهل المدينة إلى الشام، ورأوا

---

(١) انظر: دراسات وبحوث للسيّد مرتضى العاملي ١: ١٢٧ ـ ١٣٧.

ما سمعوه عن يزيد وفسقه بأُمّ أعينهم، فلمّا رجعوا إلى المدينة وأخبروا الناس بالحقائق، ثار الناس على عمال بني اميّة ومنهم مروان بن الحكم، وأخرجوهم من المدينة.

فلمّا بلغ خبرهم إلى يزيد استدعى أحد جلاوزته، وهو مسلم بن عقبة المري، وأرسله على رأس جيش كبير إلى المدينة، فتصدى له أهل المدينة، وجرت بينهم ملحمة عظيمة إنكسر على أثرها المدافعون، ودخل جيش يزيد المدينة، ووضع في أهلها السيف بتحريض من مروان بن الحكم، وأخذوا يقتلون كلّ من يواجهونه من أهل المدينة، وهجموا على من لاذ بالروضة الشريفة، وفيها سبع مئة من وجوه المهاجرين والأنصار والموالي، فقتلوهم في الروضة الشريفة، وراثت خيولهم بين القبر والمنبر، ولم يراعوا لرسول الله ﷺ والصحابة والتابعين حرمة. وكم من حرمات انتهكها هذا الطاغية وأعوانه بعد القتل، فقد أباح المدينة للأوباش من جيش يزيد ثلاثة أيام بلياليها، ففعلوا فيها ما يندى له جبين الإنسانية.

وقد تناقل المؤرّخون هذه الفاجعة في كتبهم عند ذكرهم لحوادث سنة ٦٣ للهجرة، فقد كانت واقعة الحرة في ٢٨ ذي الحجّة من تلك السنة، وذلك قبل موت يزيد بشهرين ونصف.

وفي هذه الفاجعة كان ممّن لاذ بقبر النبي ﷺ الإمام زين العابدين، فقد سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن الإغارة على المدينة ونهبها من قبل جيش يزيد، فقال: «انهم ربطوا خيولهم إلى أساطين مسجد رسول الله ﷺ ورأيت الخيل حول القبر، وانتهبت المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعلي بن الحسين نأتي قبر النبي ﷺ فيتكلّم علي بن الحسين بكلام

لم أقف عليه، فيحال ما بيننا وبين القوم، ونصلي [فكنا] نرى القوم وهم لا يروننا، وقام رجل عليه حلل خضر على فرس محذوف اشهب، بيده حربة مع علي بن الحسين ﷺ، فكان إذا أومأ [أحد] منهم إلى حرم رسول الله ﷺ، يشير ذلك الفارس بالحربة نحوه فيموت من غير ان تصيبه(١).

وروى العلامة المجلسي في البحار: أنّ مما حفظ من دعاء الإمام السجّاد ﷺ حين بلغه توجّه مسلم نحوالمدينة: «ربّ كم من نعمة انعمت بها عليّ قلّ لك عندها شكري، وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري، فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، وقلّ عند بلائه صبري فلم يخذلني، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ويا ذا النعماء التي لا تحصى عددا، صلّ على محمد وآل محمد وادفع عنّي شره، فانّي أدرأ بك في نحره وأستعيذ بك من شره»(٢).

٣ ـ رمي الكعبة بالمنجنيق وحرق ستارة البيت الحرام:

وهي الجريمة النكراء الثالثة التي اقترفها بنو اميّة ضد مقدسات المسلمين، حيث توجه جيش يزيد بعد واقعة الحرّة إلى مكة لمقاتلة ابن الزبير، وعلى الجيش الحصين بن نمير فحاصروا مكة ورموا بيت الله الحرام بأحجار الزيت من فوق جبل أبي قبيس فاشتعل النار في ستارة الكعبة وتضعضعت اركان البيت الحرام، واستمر الطغاة في جرائمهم في حرم الله الآمن وقتل الطائفين والعاكفين حتى وصل إليهم نبأ موت يزيد.

---

(١) بحار الانوار ٤٦: ١٣١.

(٢) بحار الانوار ٤٦: ١٢٢.

شهادته:

كان الوليد بن عبد الملك من أحقد الناس على الإمام زين العابدين عليه السلام لأنّه كان يرى أنّه لا يتمّ له الملك والسلطان مع وجود الإمام زين العابدين عليه السلام[(١)].

فقد كان الإمام عليه السلام يتمتّع بشعبية كبيرة، حتّى تحدّث الناس بإعجاب وإكبار عن علمه وفقهه وعبادته، وعجّت الأندية بالتحدّث عن صبره وسائر ملكاته، واحتلّ مكاناً كبيراً في قلوب الناس وعواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، ويتشرّف بمقابلته والاستماع إلى حديثه، وقد شقّ على الأمويين عامّة هذا الموقع المتميّز للإمام عليه السلام وأقضّ مضاجعهم، وكان من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك، الذي كان يحلم بحكومة المسلمين وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله.

وروى الزهري: عن الوليد أنّه قال: لا راحة لي وعليّ بن الحسين موجود في دار الدنيا[(٢)].

فأجمع رأيه على اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام حينما آل إليه الملك، فبعث سمّا قاتلاً إلى عامله على المدينة، وأمره أن يدسّه للإمام عليه السلام[(٣)].

---

(١) تقلّد الوليد أزمّة الملك بعد أبيه عبدالملك بن مروان، وقد وصفه المسعودي بأنّه كان جبّاراً عنيداً ظلوماً غشوماً. (مروج الذهب٣: ٩٦)، حتّى طعن عمر بن عبد العزيز الأموي في حكومته، فقال فيه: إنّه ممن امتلأت الأرض به جوراً. (تاريخ الخلفاء: ٢٢٣).
وفي عهد هذا الطاغية الجبّار استشهد العالم الإسلامي الكبير سعيد بن جبير على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي أعتى عاملٍ أمويّ.

(٢) راجع: حياة الإمام زين العابدين: ٦٧٨.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٥٤ عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٩٤.

ونفّذ عامله ذلك، فسَمَتْ روح الإمام العظيمة إلى خالقها بعد أن أضاءت آفاق هذه الدنيا بعلومها وعباداتها وجهادها وتجرّدها من الهوى. وهناك من المؤرّخين من يرى أنّ هشام بن عبد الملك هو الذي دسّ السمّ للإمام ﷺ[١]، ويمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما آمراً والآخر منفّذاً للجريمة.

تاريخ الشهادة:

استشهد الإمام السجّاد ﷺ متأثرا بالسّم الذي دسّ اليه، في المدينة المنورة، ودفن بالبقيع عند عمّه الحسن بن علي ﷺ.

وكان يوم وفاته مشهودا، فقد خرج إلى تشييعه جميع أهل المدينة، وأثنى عليه كلّهم[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ١٥٣.

(٢) نقل العلامة المجلسي (في البحار ٤٦:١٥٠) رواية مفصلة ترتبط بوفاة الامام، وإليك نصها: «عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين، فخرج ﷺ فخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبّح في سجوده فلم يبق شجر ولا مدر إلاّ سبّحت معه ففزعنا، فرفع رأسه وقال: يا سعيد أفزعت؟ فقلت: نعم يا بن رسول الله. فقال: هذا التسبيح الاعظم، حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ انّه قال: لاتبقى الذنوب مع هذا التسبيح. فقلت: علّمنا ـ إلى ان قال: ـ يا سعيد أخبرني أبي الحسين عن أبيه عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله جل جلاله انه قال: «ما من عبد من عبادي آمن بي وصدق بك وصلى في مسجدك ركعتين على خلأ من الناس الأ غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». فلم أرشاهدا أفضل من علي بن الحسين حيث حدثني بهذا الحديث فلمّا أن مات شهد جنازته البرّ والفاجر وأثنى عليه الصالح والطالح، وانهال]الناس[يتبعونه حتى وضعت الجنازة فقلت: ان أدركت الركعتين يوما من الدهر فاليوم هو، ولم يبق الا رجل وامرأة، ثم خرجا إلى الجنازة، ووثبت لاصلّي، فجاء تكبير من السماء فأجابه تكبير من الأرض، فأجابه تكبير من السماء فأجابه تكبير من الأرض، ففزعت وسقطت على وجهي، فكبّر من في السماء سبعا ومن في=

وقال العلامة المجلسي: ذكر السيد ابن طاوس رحمه الله في كتاب الإقبال[١] في الصلاة الكبيرة التي أوردها فيه: وضاعف العذاب على من قتله وهو الوليد. وقال ابن طلحة في الفصول[٢]: ويقال: إن الذي سمه الوليد بن عبد الملك. وقال الشيخ في المصباح: «اليوم الخامس والعشرين من المحرم سنة أربع وتسعين كانت وفاة زين العابدين ﷺ»[٣].

مراحل حياته ﷺ:

ويمكن تقسيم حياته الكريمة كسائر الأئمة الأطهار، إلى مرحلتين أساسيتين، هما:

أولاً: مرحلة ما قبل تصديه للإمامة.

ثانياً: مرحلة ما بعد تصدية للإمامة.

أما بالنسبة إلى المرحلة الأولى:

فقد عاش الإمام السجّاد ﷺ في أيام خلافة جدّه أمير المؤمنين ﷺ وحينما استشهد أمير المؤمنين ﷺ في سنة ٤٠هـ كان له من العمر سنتين أو أربع سنوات. حسب الاختلاف المتقدم في سنة ولادته.

=الأرض سبعا وصلى على علي بن الحسين صلوات الله عليهما ودخل الناس المسجد...الى آخر الرواية». وراجع نص التسبيح في اختيار معرفة الرجال: ١١٨ و١١٩.

(١) الإقبال: ٣٤٥ في اعمال شهر رمضان.

(٢) الفصول المهمة: ١٩٤، وهو تأليف علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ المتوفى سنة ٨٥٥ وليس لابن طلحة، والذي لابن طلحة هو مطالب السؤول وهو مطبوع مكررا، وليس فيه ما نقله المجلسي ﷺ عنه.

(٣) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي ٤٦: ١٥٣.

وعاش مدة إمامة عمّه الحسن بن علي عليه السلام التي نهض بأعبائها بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ووقع الصلح بينه وبين معاوية بعد ستة أشهر وثلاثة أيام من استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فعاش الإمام السجّاد عليه السلام محنة عمّه الحسن عليه السلام إبّان حكم معاوية بن أبي سفيان، حتى مضى عمّه شهيداً في سبيل الله بالسم الذي دسّه إليه معاوية. وذلك في ليلتين بقيتا من صفر، سنة خمسين من الهجرة. ورأى المظالم والمآسي التي جرت على آله الطاهرين وهو في الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره الشريف. فقد عاش مرض عمّه الحسن أربعين يوما متأثراً بالسم، ثمّ شاهد رشق جنازته بالنبال، ومنع الظالمين من دفنه في جوار جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأيضاً ما جرى على أهل البيت إبّان إمامة أبيه الإمام الحسين عليه السلام من سنة ٥٠هـ إلى سنة ٦٠هـ حيث عاش تطاول بني اميّة، وبني مروان على الحكم، وسبّهم أهل بيت النبي عليه السلام علناً على رؤوس المنابر، وفي المدينة ذاتها، بل على منبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، واستمر به الحال إلى فاجعة كربلاء التي استشهد فيها الإمام وأصحابه بأفظع وجه شهده التأريخ، كل هذه عاشها الإمام السجّاد عليه السلام وقد بلغ من العمر ٢٢ أو ٢٤ سنة.

واستقل بأعباء الإمامة بعد استشهاد الإمام الحسين في ١٠ محرم سنة ٦١هـ، وعاصر في مدة إمامته التي كانت خمساً وثلاثين سنة، ملوكاً عتاة طغاة من آل أبي سفيان وآل مروان.

فقد كان في أيام إمامته ملك يزيد بن معاوية(ت: ٦٤هـ)، ثم ملك معاوية بن يزيد(ت: ٦٤هـ)، ثم مروان بن الحكم(ت: ٦٥هـ)، وعبد

الملك بن مروان (ت: ٨٧هـ)، وأخيراً: الوليد بن عبد الملك (ت: ٩٦هـ) الذي خطط لانهاء حياة الإمام واستشهاده بدس السم اليه.

المرحلة الثانية: إمامة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام:

قُدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه عليه السلام فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدقّ المراحل التي مرّت بها الأمة وقتئذٍ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوحات الأولى، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، وضمّت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة، وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذ خلال نصف قرن.

فقد تعرضت الأمة الإسلامية في عصر هذا الإمام عليه السلام لخطرين كبيرين:

الأول: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة، والذي كاد ان ينتهي بالأمة إلى التميّع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لابدّ من عمل علمي يؤكد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدة من الكتاب والسنّة. وكان لابدّ من تأصيل للشخصية الإسلامية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد.

وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ يحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتربية وعرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين عليهم السلام.

وهكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسيّة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة المباركة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامي، وكانت الأساس لحركة الفقه الناشطة.

الثاني: هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسياق مع ملذّات الحياة الدنيا، والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالي ضمور الشعور بالقيم الخلقية.

وقد اتّخذ الإمام زين العابدين ﷺ من الدعاء أساساً لدرء هذا الخطر الكبير، الذي كان ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً، ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها.

ومن هنا كانت «الصحيفة السجّادية» تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام ﷺ إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء، ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد إليه حاجة كلّما ازداد الشيطان للإنسانية إغراءً، والدنيا فتنةً له[1].

وقد تميّز الأئمة المعصومون ﷺ بالعلوم الزاخرة والمعارف الباهرة، والتي ظهر شيء منها في الأوساط التي اكتنفتهم، ووصل الينا بعض ما نقل عنهم.

كما أجمع المؤرّخون على أنّ الأئمة ﷺ كانوا من أوسع الناس علماً وأكثرهم دراية في أكثر من مجال علمي.

---

(١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدّس سرّه في مقدمته للصحيفة السجّادية.

إنّ الإمامة والقيادة الرشيدة للأُمّة الإسلامية وللإنسانية المفتقرة إلى الهداية الربّانية تتطلّب إحاطة الإمام بكلّ علم يرتبط بمجال عمله ودائرة مسؤوليته، وقد أثبت أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذه الحقيقة بشكل عملي سجّله التاريخ لهم بكلّ وضوح، ممّا أدّى إلى إثارة التيارات المخالفة لخط أهل البيت عليهم السلام، ولا سيما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمّة أنداداً لهم ـ لا يضاهيهم ندٌّ ولا شريك ـ باعتبار تفوّقهم علماً وعملاً، وانتهت هذه الإثارات إلى السعي لاختبار الأئمّة عليهم السلام في أكثر من مجال وفي أكثر من عصر، بحيث سُجّلت هذه الاختبارات في التاريخ الإسلامي ودخلت مصادر التاريخ، ولم تترك مجالاً للريب في جدارة الأئمّة من أهل البيت للقيادة الربّانية، باعتبار ما أثبتوه للأُمّة بكلّ وضوح، وحقّقوه من مرجعيّتهم العلمية على مختلف الأصعدة لكلّ من حاول اختبارهم وأراد الاطّلاع على واقع علمهم.

وجاء في نصوص الأحاديث الشريفة: أنّ المؤمن ينظر بنور الله[1]، وهو تعبير آخر عمّا جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[2]، فلا بُعد فيما يعتقده الشيعة الإماميّة في أئمتهم عليهم السلام من أنّهم مُلهمون بإلهام إلهي وتعليم ربّاني، وقد ورّثهم الرسول صلى الله عليه وآله علمه وأدبه وكماله، وهم أهل بيت الوحي والرسالة، فهم أجدر من غيرهم بوراثة العلم والكمال الربّاني المُتَمثل في شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله القيادية، وفي شخصيّة كلّ إمام من أهل البيت عليهم السلام الذين عيّنهم الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله لتلك المهمّة الكبرى والمسؤوليّة العظمى، ولاشك في أن تعيينهم للقيادة من

(١) راجع: الكافي ١: ٢١٨، ح٣.
(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٨٢.

قِبَلِ رسول الله إنما كان بأمر الله تعالى، لأن الرسول ﷺ لا يقول شيئا من قِبَلِ نفسه، فقد قال تعالى في شأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(١).

والعلماء الذين تتلمذوا لأئمّة أهل البيت ﷺ وروَوا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعة علوم الأئمّة وتميّزها عن علوم غيرهم ممّن عُرفوا بالعلم والدراية.

ويمكن أن نصنّف بعض ما روي عن الإمام زين العابدين ﷺ إلى: علوم القرآن والحديث والفقه والأخلاق والسيرة والتأريخ والعقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه في طيّات أدعيته ووصاياه واحتجاجاته في علوم: النفس والاجتماع والتربية والعرفان والإدارة والاقتصاد، إلى غيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية.

وكنموذج لمعارف الإمام ﷺ وعلومه التي سجّلها لنا التأريخ: «رسالة الحقوق»، حيث تكفّلت تنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في الحياة بنحوٍ يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرقيّ والازدهار.

فقد نظر الإمام ﷺ بعمق وشمول إلى الإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته.

(١) القرآن الكريم، سورة النجم ٥٣: ٣ ـ ٤.

بزوغ بوادر الانحراف
في عصر الإمام السجّاد

وفيه بيان الانحرافات التي سادت المجتمع في عصره ﷺ

عاش الإمام السجّاد في فترة عصيبة من تاريخ الإسلام حيث كانت فترة مخاض لأحداث وفتن وحروب داخلية ومناوشات بين القيادة الشرعية والمتآمرين على الإسلام لضربه من الداخل.

فعاش الإمام السجّاد مؤازراً للقيادة الشرعية التي كان رائدها جده أميرالمؤمنين ﷺ ومن بعده عمه الإمام الحسن ﷺ كما عاش أيام المحن التي مرّت على أهل البيت في عصر إمامة أبيه الحسين ﷺ إلى حين استشهاده في كربلاء سنة ٦١هـ.

وكانت للأحداث والظروف التي عاشها ﷺ الأثر البالغ في تأهيله لتحمل مسؤولية الإمامة بجدارة بعد إستشهاد أبيه الحسين ومباشرته لقيادة الأمة في تلك الظروف الصعبة.

عاش الإمام السجّاد في فترة عصيبة من تاريخ الإسلام حيث كان الأئمة يواجهون موجات عنيفة من الإنحرافات التي عصفت بالأمة في تلك الفترة، وعاش الإمام السجّاد قمّة تلك الموجات في عصره.

فبعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ بدأت موجات عارمة من محاولات المغرضين على تحريف مسيرة الإصلاح التي بدأها الرسول الأعظم ﷺ بتبديل القيادة الشرعية للأمة إلى وسيلة عملية لقمع الحريات والتسلط على مقدرات المسلمين وتحكيم الروح القبلية في المجتمع.

واستمرت الحالة إلى أن استبد معاوية بن أبي سفيان بالحكم في الشام وحوّل الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض يتوارثها الأبناء عن الآباء كالحكم الكسروي والقيصري.

وكان تمرير هذه السياسة يجري خلف الكواليس ولم يظهر إلا في حكم يزيد بن معاوية الذي حكم ثلاث سنوات قام خلالها بثلاث فجائع، أهمها: قتل الإمام الحسين ﷺ في السنة الأولى والهجوم على المدينة المنوّرة وقتل الصحابة والتابعين فيها في السنة الثانية، ورمي بيت الله الحرام بمكة بالمنجنيق وإشعال النار فيها في السنة الثالثة من حكمه الغاشم.

وعاش الإمام السجّاد هذه الفجائع وأمثالها وشاهد التمثيل بالمسلمين بقطع الأيدي والأرجل ووسم الصحابة والتابعين في الأيدي والأعناق والقتل والإرهاب الذي أشاعه الحكام في حكمهم ضد الشعب الأعزل؛ حيث صار كل ذلك حديث الساعة في الشارع العام.

هذا كله صورة من الحياة التي كانت تعيشها الشعوب المسلمة آنذاك.

وأما ماكان يجري في أروقة دور الحكومة وفي أقبية دور الإمارة فكان على عكس ذلك تماما. حيث كان الأمويون غارقون في الترف والنّعيم وملتهون بالرقص والغناء وتبذير الموارد الإقتصادية وجعلها

وسائل لتثبيت دعائم حكمهم الغاشم وبذل أموال المسلمين على الشعراء والفساق وشراء الذمم والضمائر[١] ومحاولة تغيير السيرة الإجتماعية المبتنية على أساس الحب والإحترام إلى التفكير في الفسق والفجور والإعتداء على حقوق الآخرين والميل إلى الشهوات والغناء وتكريم الشعراء بأكثر من الحدود المتعارفة[٢].

وكان هدفهم الأساسي هو تمييع الروح الإسلامية في حاضرتي الإسلام: مكة والمدينة بالذات.

وفي هذا العصر شاع الغناء والموسيقى في المدينة المنورة، بحيث صارت مركزا لهذه الأمور إبان حكم بني مروان.

ويقول أبو الفرج الإصفهاني في كتابه «الأغاني»: إن الوضع سار على وتيرة منع حتى العلماء والعباد من إمكانية ممارسة دورهم في النهي عن المنكر في المدينة المنورة[٣].

وكانت المدينة آنذاك مركزاً من مراكز تدريب الجواري على الرقص والغناء[٤].

وقد سيطر الجو العام على جميع من فيها بحيث لم يتمكن المؤمنون من إبداء رأيهم في الأمر أو ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع.

---

(١) حياة الامام زين العابدين، دراسة وتحليل: ٦٦٥.
(٢) الأغاني ١: ٥٥، ٤: ٤٠٠، ٥: ١١١.
(٣) الأغاني ٨: ٢٢٤.
(٤) الأغاني ٢: ٢٢٦، ٣: ٣٠٧، ٤: ٢٢٢.

وهكذا ضيق الخناق على العلماء والمتدينين، وهذه كانت من أهداف الدولة الأموية بأن تقتلع جذور الصحوة الإسلامية من أساسها بدئاً بالمدينة وانتقالا إلى سائر العواصم والمدن الإسلامية.

وإرجاع الناس إلى ماكانوا عليه في العصر الجاهلي من الانغماس في الملذات والتنكر للإنسانية والعدل والأمن.

ذلك لأن الأمويون كانوا يرون أن يقظة الشعوب واستمرارها على الخط الصحيح قد يهدد كيانهم ويؤدي بدولتهم إلى السقوط وإنما كانوا يسيطرون على الناس على أساس الجهل بالحقائق الإسلامية وعدم إلتفات الجماهير إلى الوظائف الملقاة على عاتق الولاة تجاه الشعوب، نتيجة للغفلة عن تعاليم الإسلام وأهداف الدين الحنيف.

ويمكن التعرف على المنهج الأدبي الذي كان سائداً في ذلك العصر من خلال مراجعة المقاطع الشعرية والنصوص التي وصلتنا عن ذلك المقطع من التاريخ.

المقاطع الشعرية التي لم تتطرق بأي شكل من الأشكال إلى المشاكل الإجتماعية التي كان يعيشها المسلمون آنذاك. ولا إلى ماكان يمارسه الحكام من الضغط على الشعوب من أجل الحصول على أكبر كمية من الثروات.

وإرغام الشعوب على بذل أقصى حد من الخراج من أجل تأمين نفقات الحكام في الفساد والمجون.

بل كان الجو العام للأشعار في تلك الحقبة الزمنية تتجه إلى إثارة النعرات القبلية والتفاخر بالانساب والتكاثر في الثروات والعدة والعدد،

أو كانت تساق للنيل من كرامة الآخرين وتحقيرهم مما يوجب بزوغ العداوة والحقد فيما بين القبائل والأفراد.

وتؤدي بالنتيجة إلى المشاجرات والمطاحنات والحروب الدامية.

هكذا كان عصر الإمام السجّاد وهو يعيش في المدينة المنورة مع كل هذه الظروف المعاكسة لتوجهاته وتوجيهاته.

أضف إلى كل ذلك الظروف السياسية التي خيمت على المدينة وعموم بلاد المسلمين جرّاء اعلان ابن الزبير تمرده على حكم يزيد في الشام والذي أدى إلى نصب مسلم بن عقبة أميراً على جيش الشام وإرساله إلى الحرمين الشريفين وآلت إلى سقوط المدينة وتسلط الشاميين على أعراض وأموال ونفوس الصحابة والتابعين في المدينة المنورة. وأدى أيضاً إلى إحراق ستارة البيت ورمي الكعبة بالمنجنيق.

ومع كل هذه الأحداث والظروف غير الملائمة استمر الإمام السجّاد في مسيرة الإصلاح ومحاولة انتشال ما أمكن انتشاله من السقوط في آتون الفتن والإنحرافات التي سادت بلاد الحرمين. ان الانحراف عن المسير الإسلامي بعد استشهاد الإمام الحسين اصبح في عصر الامويين امرا علنيا، فبعد ان كان الخلفاء السابقين يحاولون التغطية على بعض المفاسد الاجتماعية في عصرهم، حفاظا على ظاهر حكمهم من النقد، اخذ بنو أمية لايرعون هذه الناحية ولا يتورعون من اظهار رغباتهم وشهواتهم بصورة علنية، لانهم لم يروا ما يهدد حكمهم وسلطانهم بعد الوقائع التي فعلوها بمقدسات المسلمين، فلم يكن هناك من يجرؤ على اعلان فسادهم أو يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في حكمهم.

ومن هنا أخذ الانحراف يسري في جميع مفاصل المجتمع بصورة

ملفتة للنظر، ونحن نتعرض هنا لبيان بعض الانحرافات في تلك الحقبة الزمنية:

الانحرافات الثقافية:

بلغ الجهل بالأحكام الإسلامية يتفشى في اوساط المجتمع، بحيث لم يعلم الكثير من المسلمين أحكام الإسلام الا ما سمعه من أبيه أو معلمه[(١)]، ووصل الأمر إلى حد قيل ان كثيراً من بني هاشم ـ الذين كانوا في عداد الطبقة المثقفة في المجتمع آنذاك ـ لم يكونوا يعرفوا كيفية الصلاة الصحيحة!

وكنموذج لحال أهل تلك الفترة الزمنية نذكر مثالا، فقد نقل عن الحسن البصري أنه قال: لو بعث الرسول الاعظم من جديد في هذا العصر لم ير من تعاليم الإسلام التي علمها للأمة سوى معرفتهم بالكعبة[(٢)].

وهذه الأرضية هي التي انتجت شيوع افكار منحرفة بين افراد المجتمع من الغلاة والمشبهة والمجبرة والمرجئة والمتصوفة، مما كان لزاما على الإمام ان يواجه كل هذه الفرق والأفكار المنحرفة ويتصدى لها ويقوم ببيان المنهج الصحيح لمعتنقيها بالأساليب التي سوف نتعرض لبيانها في هذه الدراسة.

وفي مثل هذه الظروف الحرجة كانت المنابر والمساجد تحت سيطرة

---

(١) مرتضى الحسيني العاملي، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام١ : ٥٦، ومقال: «الامام السجّاد باعث الإسلام من جديد».

(٢) المصدر المتقدم.

حكام بني أمية وكان القضاة يحكمون حسب أهواء الولاة، فيقتلون ويسجنون من لا يوافق آراء الولاة، وصدرت المئات من الأحاديث المنسوبة إلى النبي لتبرر مواقف الحكام وتكون وسيلة للدعاية للولاة الأمويين وأخذ علماء البلاط ووعاظ السلاطين يفسرون الأحاديث وحتى الآيات القرآنية بما يصب في مصالح بني أمية وطغاتهم.

واستولى على حكم البصرة الحجاج بن يوسف الذي قتل عشرات الآلاف من الناس لمجرد عدم مواكبتهم خطط بني أمية وولاتهم وصار الناس يهابون الحكام ويتجنبونهم إتقاء شرهم بل أخذ الكثير منهم يتنكرون لمعتقداتهم ويخالفون عقائدهم لأجل ذلك وأما الولاء لأهل البيت أو الدين فقد كان جرما لا يغتفر. ووصل الأمر إلى أن اتهام الشخص بأنه زنديق أوملحد أهون من اتهامه بأنه من الشيعة[1].

والمهم عند بني أمية، هو الولاء المطلق للحاكم وان الحاكم هو أفضل منزلة حتى من رسول الله ﷺ حتى أن أحدهم صرح بأن الوليد هو أفضل منزلة حتى من النبي محمد ﷺ لأن النبي رسول والوليد خليفة الله.

أهم أسباب الانحراف في عصر الإمام السجّاد عليه السلام:

بدراسة الوضع الاجتماعي لعصر الإمام السجّاد وبالأخص في المدن المقدسة كمكة والمدينة نقف على عوامل عديدة كان لها الأثر البالغ في جرّ المجتمع إلى السقوط والإنحراف، وإليك بعض تلك العوامل:

---

(١) من مذكرات محسن قرائتي: المجلد الاول.

أ ـ سيرة الملوك الأمويين:

كانت حياة الملوك الأمويين مكللة بالترف والبذخ والفسق والفجور والليالي الحمراء التي كان يقضيها الحاكم الأموي، وكانت محور الحديث في المجالس العامة.

وأوّل من أكرم المغنين وجمعهم في ظل حكومته هو يزيد بن معاوية، فقد دعا المغنين إلى الشام لاقامة مجالس الطرب في بلاطه وكان يعلن شرب الخمر ضارباً كل المفاهيم الدينية والأخلاق الإسلامية عرض الحائط[١].

وينقل لنا التاريخ أن يزيد بن عبدالملك دعا ابن عائشة وكان من مشاهير المغنين والمطربين في عصره. فطلب منه أن يغنّي له، وفي خلال ذلك كان يحتسي الخمر، فطرب وأخذ يتلفظ بألفاظ الكفر والالحاد وطلب من الساقي أن يسقيه الخمر قائلاً: أعطني الخمر بحقّ السماء الرابعة![٢].

فإذا كان الملوك والحكام يمارسون المجون والخلاعة بهذا الأسلوب، فكيف سيكون حال المجتمع الذي يحكمونه، فمن الطبيعي جداً أن يسلك الناس مسالك ملوكهم ويتحولون إلى نماذج مصغرة تحاول تقليد الحاكم في أسلوب الحياة تدريجياً. وكلما انتشر اللهو والفساد لابدّ وان تنقمع العفة والسداد ويتخلى الناس عن الدين والمعنويات والاخلاق.

---

(١) الأغاني ٨: ٣٢٤.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٩.

قال المسعودي: ان فساد يزيد سرى إلى البلاط بشكل تدريجي، فصار ممارسة الغناء والطرب أمرا علنيا في مكة والمدينة، وانتشرت مجالس اللهو وشرب الخمور فيها وصارت أمرا علنيا[١].

في مثل هكذا ظروف حرجة سياسيا واجتماعيا عاش الإمام السجّاد وتولى قيادة الأمة، ومع كل ذلك حاول بكل جهده القيام بالمسؤولية على أكمل وجه وتمكن من حفظ السيرة النبوية عن أن تناله حالة الاحباط والاجهاض التي أراده لها أعداء الدين، وتمكن من نشر المعارف الدينية والأخلاق الإسلامية على أوسع نطاق.

الترويج لبغض أولياء الله:

روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، قول الإمام ﷺ: ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل. ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا. ووجد الكاذبون والجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا... فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن. فقتلت شيعتنا بكل بلدة. وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة. ومن يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره. ثم لم يزل البلاء يزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين. ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة. حتى أن الرجل يقال له زنديق أحب إليه من أن يقال: شيعة علي[٢].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٦٧.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤: ٦٣ ـ ٧٤.

وروى أبو عمر النهدي، قال: سمعت علي بن الحسين يقول: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلا يحبنا»[١].

وروي عن أبي عثمان الجاحظ: أن معاوية كان مما يقوله في آخر خطبة الجمعة: «اللهم إن أبا تراب ـ يعني الإمام علي رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة ـ ألحد في دينك، وصد عن سبيلك، فالعنه لعنا وبيلا، وعذبه عذابا أليما». وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على منابر المسلمين، حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فألغاها، ثم عادت مرة أخرى بعد عهده.

وروي أن قوما من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل (أي الإمام علي) فقال: «لا، والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلا»[٢].

ومما ذكر المؤرخون: أن الحجاج الثقفي كان يلعن الإمام علي، ويأمر بلعنه، وقال له متعرض يوما، وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عقوني فسموني عليا، فغير اسمي، وصلني بما أتبلغ به، فإني فقير، فقال للطف ما توسلت به، قد سميتك كذا، ووليتك العمل الفلاني، فأشخص إليه[٣].

إن ما ذكر عن حال أهل البيت في العصر الأموي ـ الذي استمر حتى عصر الإمام الباقر ـ صادق كل الصدق، ولم يذكر الباقر ما اتخذه ملوك

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٤: ١٠٤.
(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٦ ـ ٥٧.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٧.

بني أمية من سنة لعن إمام الهدى ـ علي كرم الله وجهه في الجنة ـ وإنه ليدل على مقدار ما يكنه حكام بني أمية من حقد دفين لآل البيت، ولقد لام كثيرون معاوية على ذلك العمل البالغ أقصى حدود الحقد، ولقد أرسلت أم المؤمنين، السيدة أم سلمة، تقول: إنكم تلعنون الله ورسوله إذ تلعنون علي بن أبي طالب، ومن يحبه، وأشهد أن الله ورسوله يحبانه[(١)].

وكانت الأوامر تصدر من بغداد إلى أرجاء الإمبراطورية التي تدين لبني العباس ومنها مصر: أن لا يقبّل علوي ضيعة ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد (والرقيق يومذاك قوة العمل) وإن كانت بين العلوي وبين أحد خصومة فلا يقبل قول العلوي ويقبل قول خصمه بدون بينة. وكانوا يسفّرون من الأطراف إلى العاصمة ليكونوا تحت الرقابة. بل أمر الرشيد أن يضمن العلويون بعضهم بعضا، وكانوا يعرضون على السلطان كل يوم، فمن غاب عوقب، وكأنّ أهل بيت النبي جالية من العدو أو شرذمة من المشبوهين. ولقد كان يكفي للحيطة أقل القليل من حاكم يريد أن يطمئن، وإنما كان ذلك الكيد سياسة إبادة مستمرة، يشترك في تنفيذها الخلفاء، والأشياع الظلمة، تدفع الثائرين إلى أن يثوروا، فيؤخذوا بثوراتهم، أو يؤخذ غيرهم بجرائر تنسب إليهم. أما سياسة أهل البيت فواضحة من شعار أبناء علي في كلمة مسلم بن عقيل «إنا أهل بيت نكره الغدر». قالها عند ما عرض عليه البعض قتل عبيد الله بن زياد في إحدى زياراته. فنجا ابن زياد بهذا الشعار ليقتل مسلما فيما بعد. أما شعار

(١) الإمامة وأهل البيت ـ محمد بيومي مهران ٣: ٤٨.

حاشية معاوية فكان «إن لله جنودا من عسل» يقصدون دس السم إلى أعدائهم فيه. ولقد طالما استعمل الطغاة السم في أهل البيت في القرون التالية، فإن لم يكن سم في خفاء فالقتل جهرة، وفي الروايات أن أئمة أهل البيت الاثني عشر ماتوا مسمومين ما عدا أمير المؤمنين عليا وأبا الشهداء الحسين ماتا شهيدين.

واستمرت هذه السيرة إلى أيام الخليفة الهادي (سنة ١٦٩) حيث كان أهل بيت النبي في المدينة يستعرضون كل يوم، لكل واحد منهم كفيل من نسيب أو قريب، بل ولّى عليهم واحد من ذرية عمر بن الخطاب هو عبد العزيز بن عبدالله. فولى بدوره على أهل البيت رجلا يقال له عيسى الحائك. فحبسهم الحائك في المقصورة فثارت لأجلهم المدينة إذ ثاروا وكسرت السجون[١].

ب ـ شيوع اللهو والغناء:

حدّث عباس بن المفضل قاضي المدينة، قال: حدّثني الزبير بن بكار قاضي مكة، عن مصعب بن عبدالله قال: دخل الشعبيّ على بشر بن مروان وهو والي العراق لأخيه عبد الملك بن مروان، وعنده جارية في حجرها عود؛ فلما دخل الشعبيّ أمرها فوضعت العود، فقال له الشعبي: لا ينبغي للأمير أن يستحي من عبده. قال: صدقتم، ثمّ قال للجارية: هاتي ما عندك. فأخذت العود وغنّت:

وممّا شجاني أنّها يوم ودّعت تولّت وماء العين في الجفن حائر
فلما أعادت من بعيد بنظرة إليّ التفاتا أسلمته المحاجر

(١) الإمام جعفر الصادق، لعبد الحليم الجندي: ١٠٨. شرح إحقاق الحق ٢٨: ٤٦٠.

فقال الشعبيّ: الصغير أكيسهما. يريد الزير، ثمّ قال: يا هذه، أرخي من بمك، وشديّ من زيرك. فقال له بشر: وما علمك؟ قال: أظنّ العمل فيهما. قال: صدقت، ومن لم ينفعه ظنّه لم ينفعه يقينه[١].

وحدّث عن أبي عبدالله البصريّ قال: غنّى رجل في المسجد الحرام وهو مستلق على قفاه صوتا، ورجل من قريش يصلّي في جواره؛ فسمعه خدّام المسجد فقالوا: يا عدوّ الله، تغنّي في المسجد الحرام! ورفعوه إلى صاحب الشرطة، فتجوّز القرشيّ في صلاته؛ ثمّ سلّم واتّبعه، فقال لصاحب الشرطة: كذبوا عليه أصلحك الله، إنّما كان يقرأ! فقال: يا فسّاق، أ تأتوني برجل قرأ القرآن تزعمون أنّه غنّى؟ خلوا سبيله! فلمّا خلّوه قال له القرشيّ: واللّه لو لا إنّك أحسنت وأجدت ما شهدت لك، اذهب راشدا[٢].

وكان لأبي حنيفة جار من الكيّالين مغرم بالشراب، وكان أبو حنيفة يحيي الليل بالقيام، ويحييه جاره الكيّال بالشراب، ويغني على شرابه:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذه العسس ليلة فوقع في الحبس، وفقد أبو حنيفة صوته واستوحش له؛ فقال لأهله: ما فعل جارنا الكيّال؟ قالوا: أخذه العسس فهو في الحبس. فلما أصبح أبو حنيفة وضع الطويلة على رأسه، وخرج حتّى أتى باب عيسى بن موسى، فاستأذن عليه، فأسرع في إذنه ـ وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي الملوك ـ فأقبل عليه عيسى بوجهه، وقال: أمر ما جاء بك أبا حنيفة؟! قال: نعم، أصلح الله الأمير، جار لي من

(١) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٣.
(٢) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٤.

الكيّالين، أخذه عسس الأمير ليلة كذا، فوقع في حبسك. فأمر عيسى بإطلاق كل من أخذ في تلك الليلة، إكراما لأبي حنيفة؛ فأقبل الكيّال على أبي حنيفة متشكرا له، فلما رآه أبو حنيفة قال: أضعناك يا فتى؟ يعرّض له بقصيدته؛ قال: لا واللّه، ولكنّك بررت وحفظت[1].

---

(١) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٥، وورد أيضاً نماذج أخرى في الكتاب المذكور، منها: ما عن الأصمعي قال: قدم عراقيّ بعدل من خمر العراق إلى المدينة، فباعها كلّها إلّا السود، فشكا ذلك إلى الدارميّ، وكان قد تنسّك وترك الشعر ولزم المسجد فقال: ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة تبيعها كلّها على حكمك؟ قال: ما شئت!! قال: فعمد الدارميّ إلى ثياب نسكه! فألقاها عنه وعاد إلى مثل شأنه الأوّل، وقال شعرا ورفعه إلى صديق له من المغنّين، فغنى به وكان الشعر:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ما ذا فعلت بزاهد متعبّد
قد كان شمّر للصلاة ثيابه ... حتى خطرت له بباب المسجد
ردّي عليه صلاته وصيامه ... لا تقتليه بحقّ دين محمّد

فشاع هذا الغناء في المدينة، وقالوا: قد رجع الدارميّ وتعشّق صاحبة الخمار الأسود. فلم تبق مليحة بالمدينة إلّا اشترت خمارا أسود، وباع التاجر جميع ما كان معه؛ فجعل إخوان الدارميّ من النساك يلقون الدارميّ فيقولون: ما ذا صنعت؟ فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين. فلما أنفذ العراقيّ ما كان معه، رجع الدارمي إلى نسكه ولبس ثيابه.

وحدّث عبدالله بن مسلم بن قتيبة ببغداد، قال: حدّثني سهل عن الأصمعيّ قال: كان عروة بن أذينة يعدّ ثقة ثبتا في الحديث، روى عنه مالك بن أنس؛ وكان شاعرا لبقا في شعره غزلا، وكان يصوغ الألحان والغناء على شعره في حداثته وينحلها المغنّين؛ فمن ذلك قوله، وغنّى به الحجازيون:

يا ديار الحيّ بالأجمه ... لم يبيّن رسمها كلمه

وهو موضع صوته، ومنه قوله:

قالت وأبثثتها وجدي وبحت به ... قد كنت عندي تحبّ الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها ... غطّي هواك وما ألقى على بصري

قال: فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذة، فقالت: أنت الذي يقال فيك: الرجل الصالح، وأنت القائل:

إذا وجدت أوار الحبّ في كبدي ... عمدت نحو سقاء القوم أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتّقد

وقد كان بعض السامعين يقتات السماع فيجعله قوته ويتقوى به على زيادة طيّه[1] وكان أحدهم يطوي اليومين والثلاثة فإذا تاقت نفسه إلى القوت عدلَ بها إلى السماع فأثار منه مواجيده وأهاج فيه أذكاره فجعله ذلك [كذا] عن الطعام وأغناه عن الأنام، فهذا لا يصلح إلّا لقلب صاف

لا واللّه ما قال هذا رجل صالح قطّ!.

قال: وكان عبد الرحمن الملقب بالقسّ عند أهل مكّة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة، وإنّه مرّ يوما بسلّامة وهي تغنّي، فقام يستمع غناءها، فرآه مولاها فقال له: هل لك أن تدخل فتسمع؟ فأبى، فلم يزل به حتّى دخل، فقال له: أوقفك في موضع بحيث تراها ولا تراك. فغنّته فأعجبته، فقال لها مولاها: هل لك في أن أحوّلها إليك؟ فأبى ذلك عليه، فلم يزل به حتى أجابه، فلم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها؛ ولما شعرت لحظه إيّاها غنّته:

ربّ رسولين لنا بلّغا ... رسالة من قبل أن يبرحا
لم يعملا خفّا ولا حافرا ... ولا لسانا بالهوى مفصحا
حتى استقلّا بجوابيهما ... بالطائر الميمون قد أنجحا
الطرف والطّرف بمعناهما ... فقضيا حاجا وما صرّحا

قال: فأغمي عليه وكاد أن يهلك، فقالت له يوما: واللّه إنّي أحبّك! قال لها: وأنا واللّه أحبّك! قالت: وأحبّ أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا واللّه.

وذكر رجل من أهل المدينة أنّ ابن أبي عتيق ـ وهو عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ـ دخل على عائشة أمّ المؤمنين ـ وهي عمّته ـ فوضع رأسه في حجرها ـ أو على ركبتها ـ ثمّ رفع عقيرته يتغنّى:

ومقيّر حجل جررت برجله ... بعد الهدوّ له قوائم أربع
فأطرب زمان اللهو من زمن الصّبا ... وانزع إذا قالوا أبى لا ينزع
فليأتينّ عليك يوما مرّة ... يبكى عليك مقنّعا لا تسمع

قالت عائشة: يا بنيّ، فاتّق ذلك اليوم. (الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٤ ـ ٢٤٢٦)..

(١) يقال: طوى من الجوع يطوى طوى فهو طاو: أي خالي البطن جائع لم يأكل. وطوى يطوى إذا تعمد ذلك. ومنه الحديث «يبيت شبعان وجاره طاو». والحديث الآخر «يطوى بطنه عن جاره» أي يجيع نفسه ويؤثر جاره بطعامه. والحديث الآخر «أنه كان يطوى يومين» أي لا يأكل فيهما ولا يشرب. (النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لمجد الدين ابن الأثير ٣: ١٤٦).

من الأكدار نقي نظيف من الآثام ومن شهد فيه خلقا فذلك علامة كدر قلبه، ومن أحدث فيه لعبا ولهوا فهو دليل نقص لبّه. حدّثني بعض الشيوخ عن شيخ له قال: رأيت أبا العباس الخضر فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي يختلف فيه أصحابنا؟ فقال: هو الصفا الزلال لا يثبت عليه إلّا أقدام العلماء(١).

وهكذا حاول الأمويون ـ ولأجل إخماد ثورة الإسلام في نفوس الناس ـ ترويج الفحشاء والمنكر، والفجور والخمور، والظلم والخيانة، حتى ضرب بهم المثل في خرق العهود والمواثيق، وتجاوز الأعراف والموازين المقبولة بين الناس، وتلاعبوا بكل المقدرات والمقررات، وانغمسوا ـ وجروا الناس معهم ـ في الرذيلة واللعب، ومعهم الجيل الناشئ من الأمة، الذي نما على هذه الروح الطاغية اللاهية. حتى جعلوا من مدينة الرسول الطيبة، مركزا للفساد.

قال أبو الفرج الأصبهاني: إن الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم(٢) وحتى كانت يثرب تعج بالمغنيات.

ومن المؤسف ـ حقا ـ أن مدينة النبي ﷺ صارت ـ في العصر الأموي ـ مركزا للحياة العابثة، وكان من المؤمل أن تصبح معهدا للثقافة الدينية، ومصدرا للإشعاع الفكري والحضاري في العالم الإسلامي، إلا أن الأمويين سلبوها هذه القابلية، وأفقدوها مركزيتها الدينية والسياسية(٣).

---

(١) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٤.

(٢) الأغاني ـ طبع دار الكتب ـ (٨: ٢٢٤) ولاحظ (٤: ٢٢٢) ففيه موقف مالك فقيه المدينة، وانظر العقد الفريد (٣: ٢٣٣ و ٢٤٥).

(٣) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ١٥٩.

ولما خرج عروة بن الزبير من المدينة واتخذ قصرا بالعقيق، وقال له الناس: قد أجفرت مسجد رسول الله ﷺ! قال: إني رأيت مساجدهم لاهية، وأسواقهم لاغية، والفاحشة في فجاجهم عالية[١].

ج ـ تقريب المطربين وأهل الخلاعة والمجون إلى البلاط:

تحدّث الزبيريّون عن خالد صامة أنّه كان من أحسن الناس ضربا بالعود. قال: فقدمت على الوليد بن يزيد وهو في مجلس ناهيك به مجلسا، فألفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح، وابن عائشة، وأبو كامل غزيّل الدمشقيّ، فجعلوا يغنّون حتى بلغت النوبة إليّ فغنّيته:

سرى همّي وهمّ المرء يسري   وغار النجم إلّا قيد فتر
أراقب لي المجرّة كلّ نجم   تعرّض أو على المجراة يجري
لهمّ ما أزال له قرينا   كأنّ القلب أبطن حرّ جمر
على بكر أخي فارقت بكرا   وأيّ العيش يصلح بعد بكر

فقال لي: أعد يا صام، ففعلت، فقال لي: من يقول هذا الشعر؟ فقلت: هذا يقوله عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا. فقال لي الوليد: وأيّ العيش يصلح بعد بكر هذا العيش الذي نحن فيه، والله لقد تحجّر واسعا على رغم أنفه[٢].

وورد في أخبار ابن عائشة ونسبه اسمه وكنيته: أنه لم يعرف لابن عائشة أب، فنسب إلى أمه، فهو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر،

---

(١) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ١٥٩.
(٢) الغناء والموسيقى ٣: ٢٣٩٢.

وكان يلقبه من عاداه أو أراد سبّه: «ابن عاهة الدار». وكان هو يزعم أنّ اسم أبيه جعفر؛ وليس يعرف ذلك. وعائشة أمّه كانت مولاة لكثير بن الصّلت الكنديّ حليف قريش. وقيل: إنها كانت مولاة لآل المطّلب بن أبي وداعة السّهميّ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلّام. وحكى ابن الكلبيّ القول الأوّل، وقال إسحاق: هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبيّ. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه: إنّ محمد بن معن الغفاريّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أن ابن عائشة مولى المطّلب بن أبي وداعة السّهميّ وإنّه كان لغير رشدة، فأدركت المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتا حسنا قالوا: أحسن ابن المرأة.

قال إسحاق: وقال عمران بن هند الأرقميّ: بل كان مولى لكثير بن الصّلت. سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه فأجابه. قال إسحاق: قال عبيد الله بن محمد بن عائشة: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد، ألغيّة أنت؟ قال: كانت أمّي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاما، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة؛ فغلبت على نسبي.

كان يفتن كل من سمعه وأخذ عن معبد ومالك قال إسحاق: وكان ابن عائشة يفتن كلّ من سمعه، وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتّى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما(١).

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٢: ٤٦٣.

توفّي ابن عائشة فيما قيل في أيّام هشام بن عبد الملك، وقيل في أيّام الوليد. وما أظنّ الصحيح إلّا أنه توفّي في أيام الوليد، لأنه أقدمه إليه.

ذكر من زعم أنّه توفّي في خلافة هشام: أنّه إنّما وفد على الوليد وهو وليّ عهد. قيل: إن الغمر بن يزيد أمره بالغناء فأبى، فأمر برميه من السطح فمات[1].

وقال: أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: ذكر عمران بن هند: أنّ الغمر بن يزيد خرج إلى الشام، فلما نزل قصر ذي خشب شرب على سطحه، فغنى ابن عائشة صوتا طرب له الغمر، فقال: اردده، فأبى، وكان لا يردّ صوتا لسوء خلقه، فأمر به، فطرح من أعلى السّطح فمات. ويقال: بل قام من الليل وهو سكران ليبول فسقط من السطح فمات[2].

وغنّى أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في لحن لابن عائشة، وهو:

جنّبانـي أذاة كـلّ لـئيـم إنّـه مـا علـمـت شـرّ نـديـم

للوليد في أشعار كثيرة، فخلع عليه ثيابه كلّها حتى قلنسيته. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه؛ وزاد فيه أنه أوصى أن تجعل في أكفانه[3].

وفي التذكرة الحمدونية، قيل: خرج ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه في شعر النابغة:

أبـعـدك مـعـقـلا أبـغـي وحـصـنـا قـد اعـيـتـنـي الـمـعـاقـل والـحـصـون

(١) الأغاني ٢: ٤٨٤ ـ ٤٨٥.
(٢) الأغاني ٢: ٤٨٤ ـ ٤٨٥.
(٣) الأغاني ٧: ٦٦ ـ ٦٧.

فأطربه. فأمر له بثلاثين ألف درهم [وبمثل] كارة القصّار ثيابا. فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النّبيذ، فدنا من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغنّي، فدنا منه فقال: جعلت فداءك، أنت ابن عائشة أمّ المؤمنين؟ قال: لا أنا مولى لقريش وعائشة أمّي، وحسبك هذا ولا عليك أن تكثر. قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة؟ قال: غنّيت أمير المؤمنين صوتا فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وبهذه الكسوة(١).

د ـ شيوع الفساد في المجتمع:

ساد الفساد في المجتمع العربي، وتهالك الناس على الفسق والفجور، ومن طريف ما ينقل في هذا الموضوع انه أوتي بشيخ إلى هشام ابن عبد الملك وكان معه قيان وخمر وبربط، فقال: اكسروا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ فقال له أحد الجالسين: عليك بالصبر،

---

(١) التذكرة الحمدونية ٩: ٦٣. وذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني: أخبار دحمان ونسبه، فقال: كان مغنيا صالحا مقبول الشهادة ملازما للحج: دحمان لقب لقب به، واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. ويكنى أبا عمرو، ويقال له: دحمان الأشقر. قال إسحاق: كان دحمان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثير الصلاة معدّل الشهادة مدمنا للحجّ؛ وكان كثيراً ما يقول: ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء. قال إسحاق: وحدّثني الزّبيريّ أنّ دحمان شهد عند عبد العزيز بن المطّلب بن عبدالله بن حنطب المخزوميّ، وهو يلي القضاء لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعدّله؛ فقال له العراقيّ: إنه دحمان؛ قال: أعرفه، ولو لم أعرفه لسألت عنه؛ قال: إنه يغنّي ويعلّم الجواري الغناء؛ قال: غفر الله لنا ولك، وأيّنا لا يتغنّى! اخرج إلى الرجل عن حقّه. (الأغاني ـ لأبي الفرج الأصفهاني ٦: ٣٠٥).

فقال له الشيخ: أتراني أبكي للضرب؟ إنما أبكي لاحتقاره البربط إذ سماه طنبورا[١].

لقد كانت سيرة الأمويين في جميع أدوارهم امتدادا لسيرة معاوية الذي أشاع حياة اللهو والخلاعة في البلاد للقضاء على أصالة الأمة، وسلب وعيها الديني والاجتماعي. إشاعة المجون في الحرمين: وعمد معاوية إلى إشاعة الدعارة والمجون في الحرمين للقضاء على قدسيتهما واسقاط مكانتهما الاجتماعية في نفوس المسلمين، يقول العلائلي: «وشجع الأمويون حياة المجون في مكة والمدينة إلى حد الإباحة، فقد استأجر طوائف من الشعراء والمخنثين من بينهم عمر بن أبي ربيعة لأجل أن يمسحوا عاصمتي مكة والمدينة بمسحة لا تليق، ولا تجعلهما صالحتين للزعامة الدينية. وقد قال الأصمعي: دخلت المدينة فما وجدت الا المخنثين، ورجلا يضع الاخبار والطرف. وقد شاعت في يثرب مجالس الغناء، وكان الوالي يحضرها ويشارك فيها وانحسرت بذلك روح الأخلاق، وانصرف الناس عن المثل العليا التي جاء بها الإسلام.

هـ ـ الاستخفاف بالقيم الدينية:

واستخف معاوية بكافة القيم الدينية، ولم يعن بجميع ما جاء به الإسلام من الأحكام فاستعمل أواني الذهب والفضة، وأباح الربا، وتطيب في الاحرام، وعطل الحدود، وقد ألغيت معظم الأحكام الإسلامية في أغلب أدوار الحكم الأموي، وفي ذلك يقول شاعر الإسلام الكميت:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٠: ٣١٧.

وعطلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التي نتنحل
أأهل كتاب نحن فيه وأنتم على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
كأن كتاب الله يعني بأمره وبالنهي فيه الكودني المركل
فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم فحتام حتام العناء المطول
وما ضرب الأمثال في الجور قبلنا لأجور من حكامنا المتمثل[١]

وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق:

بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير عزة فجاءها فقالت له: ما الذي يدعوك إلى ما تقول في الشعر من عزة وليست على ما تصف من الحسن والجمال، فلو شئت صرفت ذلك إلى غيرها فمن هو أولى به أنا وأمثالي، فأنا أشرف وأفضل من عزة. وإنما أرادت أن تخبره وتبلوه[٢].

وقال ابن عساكر: ولما تزوجها مصعب ودخل بها دعت عائشة عزة ونسوانا من قريش، فلما أصبن من طعامها غنتهن ومصعب قائم في دهليز الدار[٣].

إشاعة الحقد على النبي ﷺ وأهل بيته:

كان معاوية حاقدا على النبي ﷺ فقد مكث في أيام خلافته أربعين جمعة لا يصلي عليه، وسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: «لا يمنعني عن ذكره الا ان تشمخ رجال بآنافها».

وسمع المؤذن يقول: اشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،

---

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٤٦.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ـ لابن عساكر ٥٠: ١٠٠.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ـ لابن عساكر ٦٩: ٢٧٥.

فلم يملك اهابه، واندفع يقول: «لله أبوك يا ابن عبدالله لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك الا ان يقرن اسمك باسم رب العالمين».

ومن مظاهر حقده على الرسول الأعظم ﷺ ما رواه مطرف بن المغيرة قال: وفدت مع أبي على معاوية، فكان أبي يتحدث عنده ثم ينصرف إليّ وهو يذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، واقبل ذات ليلة، وهو غضبان فامسك عن العشاء، فانتظرته ساعة، وقد ظننت انه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له:

ـ مالي أراك مغتما منذ الليلة؟

ـ يا بني جئتك من عند أخبث الناس.

ـ ما ذاك؟

ـ خلوت بمعاوية فقلت له: «إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه..» فثار معاوية واندفع يقول: «هيهات!! هيهات ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره، الا أن يقول قائل أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل به ما عمل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره وان أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: اشهد ان محمدا رسول الله ﷺ فأي عمل يبقى بعد هذا لا أم لك الاّ دفناً دفناً..»[1].

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٥٠ ـ ١٥٢.

تتبّعه لشيعة أهل البيت وإذلالهم:

لقد كان معاوية لا يتهيب من الاقدام على اقتراف أية جريمة من اجل ان يضمن ملكه وسلطانه، وقد كانت الشيعة تشكل خطرا على حكومته فاستعمل معهم أعنف الوسائل وأشدها قسوة من اجل القضاء عليهم، ومن بين الاجراءات القاسية التي استعملها ضدهم ما يلي:

سنّه للقتل الجماعي:

وأسرف معاوية إلى حد كبير في سفك دماء الشيعة، فقد عهد إلى الجلادين من قادة جيشه بتتبع الشيعة وقتلهم حيثما كانوا، وقد قتل بسر بن أبي أرطاة ـ بعد التحكيم ـ ثلاثين ألفا عدا من أحرقهم بالنار[١] وقتل سمرة بن جندب ثمانية آلاف من أهل البصرة[٢] وأما زياد بن أبيه فقد ارتكب أفظع المجازر فقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وانزل بالشيعة من صنوف العذاب ما لا يوصف لمرارته وقسوته.

إبادته للقوى الواعية:

وعمد معاوية إلى إبادة القوى المفكرة والواعية من الشيعة، وقد ساق زمرا منهم إلى ساحات الإعدام، واسكن الثكل والحداد في بيوتهم، وفيما يلي بعضهم:

١ ـ حجر بن عدي: لقد رفع حجر بن عدي علم النضال، وكافح عن حقوق المظلومين والمضطهدين، وسحق إرادة الحاكمين من بني أمية

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٦٦.
(٢) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٦٦.

الذين تلاعبوا في مقدرات الأمة وحولوها إلى مزرعة جماعية لهم ولعملائهم واتباعهم... لقد استهان حجر من الموت وسخر من الحياة، واستلذ الشهادة في سبيل عقيدته، فكان أحد المؤسسين لمذهب أهل البيت عليهم السلام[1].

٢ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي: ومن شهداء العقيدة: الصحابي العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي الذي دعا له النبي صلى الله عليه وآله أن يمتعه الله بشبابه، واستجاب الله دعاء نبيه فقد اخذ عمرو بعنق الثمانين عاما ولم تر في كريمته شعرة بيضاء وتأثر عمرو بهدي أهل البيت واخذ من علومهم فكان من اعلام شيعتهم[2]، واحتز رأسه الشريف وأرسل إلى طاغية دمشق فامر ان يطاف به في الشام، ويقول المؤرخون انه أول رأس طيف به في الإسلام، ثم أمر به معاوية ان يحمل إلى زوجته السيدة آمنة بنت شريد، وكانت في سجنه، فلم تشعر الا ورأس زوجها قد وضع في حجرها، فذعرت وكادت أن تموت وحملت من السجن إلى معاوية وجرت بينها وبينه محادثات دلت على ضعة معاوية واستهانته بالقيم العربية والإسلامية القاضية بمعاملة المرأة معاملة كريمة ولا تؤخذ باي ذنب يقترفه زوجها أو غيره[3].

٣ ـ أوفى بن حصن: وكان أوفى بن حصن من خيار الشيعة ـ في الكوفة ـ واحد اعلامهم النابهين، وهو من أشد الناقمين على معاوية فكان يذيع مساوءه وأحداثه، ولما علم به ابن سمية أوعز إلى الشرطة

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٦٦ ـ ١٦٨.
(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٠.
(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٠.

بإلقاء القبض عليه ولما علم أوفى بذلك اختفى، وفي ذات يوم استعرض زياد الناس فاجتاز عليه أوفى فشك في امره فسال عنه فأخبر باسمه، فامر باحضاره فلما مثل عنده سأله عن سياسته فعابها وأنكرها، فامر زياد بقتله، فهوى الجلادون عليه بسيوفهم وتركوه جثة هامدة[١].

٤ ـ الحضرمي مع جماعته: وكان عبدالله الحضرمي من أولياء الإمام أمير المؤمنين ومن خلص شيعته كما كان من شرطة الخميس، وقد قال له الإمام يوم الجمل: «ابشر يا عبدالله فإنك وأباك من شرطة الخميس، لقد اخبرني رسول الله باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس». ولما قتل الإمام جزع عليه الحضرمي وبنى له صومعة يتعبد فيها وانضم إليه جماعة من خيار الشيعة، فامر ابن سمية باحضارهم، ولما مثلوا عنده أمر بقتلهم، فقتلوا صبرا[٢].

٥ ـ جويرية العبدي: ومن عيون شيعة الإمام جويرية بن مسهر العبدي، وفي فترات المحنة الكبرى التي امتحنت بها الشيعة أيام ابن سمية، بعث خلفه فامر بقطع يده ورجله وصلبه على جذع قصير.

٦ ـ صيفي بن فسيل: ومن ابطال العقيدة الإسلامية صيفي بن فسيل

---

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧١.

(٢) وكتب إليه الإمام الحسين ﷺ: «أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين علي ﷺ فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم. ومثل فيهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف. ودلت هذه المذكرة ـ بوضوح ـ على أن معاوية قد عهد إلى زياد بقتل كل من كان على دين علي ﷺ الذي هو دين رسول الله ﷺ، كما دلت على أن زيادا مثل بهؤلاء البررة بعد قتلهم تشفيا منهم، لولائهم لعترة رسول الله ﷺ». (حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٢ ـ ١٧٥).

الذي ضرب أروع الأمثلة للايمان فقد سعي به إلى الطاغية زياد فلما جيئ به إليه صاح به: ـ يا عدو الله ما تقول في أبي تراب؟ فقال: ما اعرف أبا تراب. قال: ما أعرفك به؟، اما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى. قال: فذاك أبو تراب. فقال: كلا ذاك أبو الحسن والحسين. وانبرى مدير شرطة زياد منكرا عليه: «يقول لك الأمير: هو أبو تراب، وتقول: أنت لا: !!» فصاح به البطل العظيم مستهزءا منه ومن أميره: «وإن كذب الأمير، أتريد أن أكذب؟ وأشهد على باطل كما شهد!!؟. وتحطم كبرياء الطاغية، وضاقت به الأرض فقال له: «وهذا أيضاً مع ذنبك» وصاح بشرطته عليّ بالعصا، فأتوه بها، فقال له: «ما قولك؟» وانبرى البطل بكل بسالة وإقدام غير حافل به قائلاً: «أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين». وأوعز السفاك إلى جلاديه بضرب عاتقه حتى يلتصق بالأرض، فسعوا إليه بهراواتهم فضربوه ضربا مبرّحا حتى وصل عاتقه إلى الأرض، ثم أمرهم بالكف عنه، وقال له: «إيه، ما قولك في علي؟» وحسب الطاغية ان وسائل تعذيبه سوف تقلبه عن عقيدته. فقال له: «والله لو شرحتني بالمواسي والمدى، ما قلت الا ما سمعت مني». وفقد السفاك إهابه فصاح به: «لتلعنه أو لأضربن عنقك». وهتف صيفي يقول: «إذا تضربها والله قبل ذلك، فإن أبيت الا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت». وأمر به ان يوقر في الحديد، ويلقى في ظلمات السجون ثم بعثه مع حجر بن عدي فاستشهد معه(١).

٧ ـ عبد الرحمن العنزي: وكان عبد الرحمن العنزي من خيار الشيعة، وقد وقع في قبضة جلاوزة زياد، فطلب منهم مواجهة معاوية

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٥.

لعله أن يعفو عنه، فاستجابوا له وأرسلوه مخفورا إلى دمشق، فلما مثل عند الطاغية قال له: «إيه أخا ربيعة، ما تقول في علي؟» فقال له: «دعني ولا تسألني فهو خير لك». فقال: «والله لا أدعك»، فانبرى البطل الفذ يدلي بفضائل الإمام، ويشيد بمقامه قائلاً: «أشهد انه كان من الذاكرين الله كثيرا، والآمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس». فالتاع معاوية فعرج نحو عثمان، لعله أن ينال منه فيستحل إراقة دمه، فقال له: «ما قولك في عثمان؟» فاجابه عن انطباعاته عن عثمان، فغاظ ذلك معاوية وصاح به: «قتلت نفسك». فقال عبد الرحمن: «بل إياك قتلت، ولا ربيعة بالوادي». وظن عبد الرحمن أن أسرته ستقوم بحمايته وانقاذه، فلم ينبر إليه أحد، ولما أمن منهم معاوية بعثه إلى الطاغية زياد، وأمره بقتله. فبعثه زياد إلى «قس الناطف»، فدفنه وهو حي(١).

هؤلاء بعض الشهداء من اعلام الشيعة الذين حملوا مشعل الحرية، وأضاؤا الطريق لغيرهم من الثوار الذين أسقطوا هيبة الحكم الأموي، وعملوا على أنقاضه(٢).

ترويعه للنساء:

ولم يقتصر معاوية في تنكيله على السادة من رجال الشيعة، وانما تجاوز ظلمه إلى السيدات من نسائهم، فأشاع فيهم الذعر والإرهاب، فكتب إلى بعض عماله بحمل بعضهن إليه، فحملت له هذه السيدات:

١ ـ الزرقاء بنت عدي.

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٢) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٦.

٢ ـ أم الخير البارقية.

٣ ـ سودة بنت عمارة.

٤ ـ أم البراء بنت صفوان.

٥ ـ بكارة الهلالية.

٦ ـ أروى بنت الحارث.

٧ ـ عكرش بنت الأطرش.

٨ ـ الدارمية الحجونية. وقد قابلهن معاوية بمزيد من التوهين والاستخفاف، وأظهر لهن الجبروت والقدرة على الانتقام غير حافل بوهن المرأة وضعفها، وقد ذكر الشيخ باقر القرشي ما جرى عليهن في مجلسه من التحقير في كتابه «حياة الإمام الحسن»[1].

هدم دور الشيعة:

أوعز معاوية إلى جميع عماله بهدم دور الشيعة، فقاموا بنقضها وتركوا شيعة آل البيت ﷺ بلا مأوى يأوون إليه، ولم يكن هناك أي مبرر لهذه الاجراءات القاسية سوى تحويل الناس عن عترة رسول الله ﷺ.

حرمان الشيعة من العطاء:

ومن المآسي الكثيبة التي عانتها الشيعة في أيام معاوية أنه كتب إلى جميع عماله نسخة واحدة جاء فيها «انظروا إلى من قامت عليه البينة انه

---

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ـ الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٦.

يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه» وبادر عماله في الفحص في سجلاتهم فمن وجدوه محبا لآل البيت ﷺ محوا اسمه وأسقطوا عطاءه.

عدم قبول شهادة الشيعة:

وعمد معاوية إلى اسقاط الشيعة اجتماعيا فعهد إلى جميع عماله بعدم قبول شهادتهم في القضاء وغيره مبالغة في اذلالهم وتحقيرهم.

إبعاد الشيعة إلى خراسان:

وأراد زياد ابن أبيه تصفية الشيعة من الكوفة، وكسر شوكتهم فأجلى خمسين ألفا منهم إلى خراسان المقاطعة الشرقية في فارس. وقد دق زياد بذلك أول مسمار في نعش الحكم الأموي، فقد اخذت تلك الجماهير التي أبعدت إلى فارس تعمل على نشر التشيع في تلك البلاد، حتى تحولت إلى مركز للمعارضة ضد الحكم الأموي، وهي التي أطاحت به تحت قيادة أبي مسلم الخراساني.

هذا بعض ما عانته الشيعة في عهد معاوية من صنوف التعذيب والإرهاب، وكان ما جرى عليهم من الماسي الأليمة من أهم الأسباب في ثورة الإمام الحسين، فقد رفع علم الثورة لينقذهم من المحنة الكبرى التي امتحنوا بها ويعيد لهم الامن والاستقرار.

إجبار الناس على البيعة ليزيد:

وختم معاوية حياته بأكبر إثم في الإسلام وأفظع جريمة في التاريخ، فقد أقدم غير متحرج على فرض خليعه يزيد خليفة على المسلمين يعيث

في دينهم ودنياهم، ويخلد لهم الويلات والخطوب، وقد استخدم معاوية شتى الوسائل المنحطة في جعل الملك وراثة في أبنائه، ويرى الجاحظ أنه تشبه بملوك الفرس والبيزنطيين، فحول الخلافة إلى ملك كسروي، وعصب قيصري(١).

وساعد على هذه المآثم من وعاظ السلاطين أبو هريرة الدوسي، فاخذ يتزلف لمعاوية والحكم الأموي بما يقربه إليهم من المديح والاطراء، ومنها أنه نظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة ـ وكانت مشهورة بالجمال الفائق ـ فقال: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك! (والله) ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله(٢).

هذا بعض حال معاوية ويزيد، واما حال غيرهما من طغاة بني أميّة، فاستعرض بعضاً منها محمد بيومي مهران، حيث قال:

---

(١) وإليك عرضاً موجزاً لسيرة يزيد، وما يتصف به من القابليات الشخصية التي عجت بلمها كتب التاريخ من يومه حتى يوم الناس هذا، وفيما يلي ذلك. ولادة يزيد: ولد يزيد سنة (٢٥) أو (٢٦هـ) وقد دهمت الأرض شعلة من نار جهنم وزفيرها تحوط به دائرة السوء وغضب من الله، وهو أخبث انسان وجد في الأرض، فقد خلق للجريمة والإساءة إلى الناس، وأصبح علما للانحطاط الخلقي والظلم الاجتماعي وعنوانا بغيضا للاعتداء على الأمة وقهر ارادتها في جميع العصور، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: «اما كلمة يزيد، فقد كانت من قبل اسما لابن معاوية، أما هي الان عند الشيعة فإنها رمز للفساد والاستبداد، والتهتك والخلاعة وعنوان للزندقة والالحاد، فحيث يكون الشر والفساد فثم اسم يزيد، وحيثما يكون الخير والحق والعدل فثم اسم «الحسين». وقد أثر عن النبي ﷺ انه نظر إلى معاوية يتبختر في بردة حبرة وينظر إلى عطفيه فقال ﷺ: أي يوم لامتي منك، وأي يوم سوء لذريتي منك من جرو يخرج من صلبك، يتخذ آيات الله هزوا ويستحل من حرمتي ما حرم الله عز وجل». (حياة الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٦ ـ ١٨٠).

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة ـ لمحمود أبو رية: ٢٣٥.

وأما عبد الملك بن مروان فقد كان طاغية جبارا، لا يبالي بما يصنع، وهو القائل ـ بعد أن ولي الخلافة ـ وكان يقرأ في مصحف: هذا فراق بيني وبينك، وقيل: أنه قال: هذا آخر العهد بك، ثم هو الذي خطب الناس فقال: لا يأمرني أحد بتقوى الله، بعد مقامي هذا، إلا ضربت عنقه، ثم هو القائل: لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف، وهو القائل: وإني لست بالخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا الخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا الخليفة المأفون (يعني يزيد بن معاوية).

وفي عهده ظهر الحجاج الثقفي لينشر الخراب والقتل في كل مكان باسم الأمويين، وعبد الملك هذا ـ كما يقول السيوطي ـ أول من غدر في الإسلام، وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف. وأما الوليد فكان فاجرا ماجنا فاسقا، حتى اشتهر بلقب (خليع بني أمية)، بسبب ولعه بالنساء وحتى اتهم بالتحرش الجنسي بأمهات أولاد أبيه، وحتى أن رأسه ـ بعد أن طيف بها على رمح في دمشق ـ دفعت إلى أخيه سليمان، فلما نظر إليها قال: بعداً له، أشهد أنه كان شروباً للخمر، ماجناً فاسقاً، ولقد راودني في نفسي الفاسق.

و ـ شيوع شرب الخمر والفسق والفجور:

ولعل أول من شرب المسكر من الخلفاء، إنما هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقد روي أنه كان لا يمسي إلا سكراناً، ولا يصبح إلا مخموراً، فقيل له (يزيد الخمور).

وكان عبد الملك بن مروان يشرب في كل شهر مرةً، حتى لا يعقل: أفي السماء أو في الماء؟ وكان يقول: إنما أقصد من هذا إلى إشراق العقل، وتقوية منة الحفظ، وتصفية موضع الفكر، غير أنه إذا بلغ آخر

الشراب ـ أو السكر ـ أفرغ ما كان في بدنه حتى لا يبقى في أعضائه منه شيء.

وأما ولده الوليد بن عبد الملك فكان ـ فيما رووا ـ يشرب يوماً، ويدع يوماً، واعتاد هشام بن عبد الملك الشرب يوم الجمعة من بعد الصلاة.

وأما الوليد الثاني فقد بز الجميع في الشراب والتهتك، وقد حكي أنه اتخذ بركة في قصرة، فكان يملؤها خمرا، ثم ينزع ثيابه ويغتسل فيها، ويشرب منها، ويظل كذلك حتى يظهر النقص في البركة، وكان يقضي معظم أيامه في قصوره في البادية، في قريتين تقعان في منتصف الطريق بين دمشق وتدمر.

وقد أورد صاحب الأغاني خبرا يصور مجلسا من مجالس شربه، رواه شاهد عيان، ووصف فيه ما كان يمارسه هذا الخليفة من التهتك والمجون. ولم يكتف ملوك بني أمية بالشراب، بل استهواهم الغناء والموسيقى وبعض ضروب الرقص، فإذا كان الخليفة ممن لا يريد أن يشهر عنه ذلك، جعل ستارة بينه وبين الندماء، ولم يكن الوليد الثاني ممن يتحاشى الرفث والمجون.

ز ـ إشاعة الطرب والغناء في الحرمين:

وكان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أول من سن الملاهي، واستجلب المغنين إلى الشام، وكان شاعرا، فجعل يقيم الحفلات الكبرى في بلاطه، ومن ثم فقد أصبح الغناء والشراب صنوين متآلفين في تاريخ الدولة الإسلامية، وقد شمل عبد الملك بن مروان برعايته (ابن مسجح) من مغني الحجاز، واستقدم ولده الوليد (ابن شريح) و(معبدا) إلى دمشق،

واحتفى بهما، ثم أعاد الوليد الثاني الشعر والموسيقى إلى البلاط، بعد أن حال دونهما الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز. هذا وقد شاع الغناء في عهد ملوك بني أمية شيوعا عظيما، وعظم الشغف به في حواضر الدولة الإسلامية، حتى يزور مغن مثل (حنين) ـ الحيري النصراني، وكان يعيش في العراق ـ يزور المدينة، ويجتمع الناس في أحد منازل المدينة، ويزدحمون على السطح ويكثرون ليسمعوه، فيسقط الرواق على من تحته، ويموت المغني (حنين) (حوالي عام ٧٢٠ م) ـ على أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ = ٧٢٠ ـ ٧٢٤ م). تحت الهدم.

ويقول الدكتور أحمد أمين: واجتمع في زمن واحد من مشهوري المغنين والمغنيات في الحجاز: جميلة وهيت و(طويس) (٦٣٢ ـ ٧١٥م) و(الدلالا) و(برد الفؤاد) و(نومة الضحى) و(رحمة) و(هبة) و(معبد) (ت: ٧٤٣ م) و(مالك) و(ابن عائشة) و(نافع بن طنبورة) و(عزة الميلاء) و(حبابة) و(سلامة) و(بلبلة) و(لذة العيش) و(سعيدة) و(الزرقاء)... الخ، ويرون أن هؤلاء حجوا فتلقاهم في مكة (سعيد بن مسجح) (ت: ٧١٤م)، و(ابن شريح) (٦٣٤ ـ ٧٢٦ م) و(الغريض) ـ واسمه عبد الملك ـ و(ابن محرز) (ت: ٧١٥ م)، وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى حسن هيئتهم. هذا وقد اشتهر (يزيد بن عبد الملك) باللهو والخلاعة، والتشبب بالنساء، كما كان يبالغ في المجون بحضرة الندماء، كما سوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأذن للندماء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه، فلم يتورعوا عن الرد عليه، وحذا حذوه ولده الوليد[1].

---

(١) الإمامة وأهل البيت ـ لمحمد بيومي مهران ٢: ٥٩ ـ ٦٢.

ح ـ ترويج وتأييد الفرق الكلامية المنحرفة:

عمد بنو أمية في عصر الإمام السجّاد إلى ترويج الفرق الكلامية المنحرفة بغية إيجاد التفرقة في اوساط المسلمين والهاءهم بالمجادلات الكلامية لصرفهم عن التفكير السليم والعمل على سلامة وأمن المجتمع الإسلامي، فظهرت المرجئة[١] والقدرية[٢] ونجم قرن الخوارج[٣]

---

(١) المرجئة: هم المعتقدون بان الإيمان لا يضره المعصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا بذلك؛ لاعتقادهم ان الله تعالى أرجأ تعذيبهم أي أخره عنهم، وعن ابن قتيبة: هم الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. وفى الاخبار: المرجئي يقول: من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل عن جنابة وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل، وقيل: هم الذين يقولون: كل الأفعال من الله تعالى، وربما فسر المرجئي بالأشعري. يقال لمن أخر أمرا: أرجأت الأمر يا رجل، فأنت مرجئ قال الله: «أرجه وأخاه» أي أخره، وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي مؤخرون إلى مشيته، وأما الرجاء فإنما يقال: منه رجوت فأنا راج، فيجب أن تكون الشيعة راجية لا المرجئة والمرجئة هم الذين أخروا الاعمال، ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان، وقد لعنهم النبي فيما وردت به الاخبار. وفي بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٢٣: ١٨ ـ ١٩: المرجئة: فرقة من المخالفين يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا مرجئة لأنهم قالوا: إن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي، أي أخره، وقد يطلق على جميع العامة لتأخيرهم أمير المؤمنين ﷺ عن درجته إلى الرابع، والحرورية: طائفة من الخوارج نسبوا إلى الحروراء موضع قرب الكوفة كان أول اجتماعهم فيه. وفي الكافي والكشي: والقدري. وقد يطلق على الجبرية والمفوضة كما مر.

(٢) القدرية: وهم قائلون: أن كل أفعالهم مخلوقة لهم وليس لله تعالى فيها قضاء ولا قدر، وفى الحديث: لا يدخل الجنة قدري، وهم الذين يقولون: لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس وربما فسر القدري بالمعتزلي. نقل ذلك صاحب منتهى المقال عن الوحيد قدس سره.

(٣) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي ﷺ وللفرق الثلاثة أبحاث ضافية في كتاب الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي فليراجع.

والوعيدية[١] والجبرية[٢] وغيرهم.

(١) الوعيدية: فرقة من الخوارج يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، ويقابلهم المرجئة وهم يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وليس العمل على مذهبهم ركنا من الإيمان فعليه معنى الارجاء تأخير العمل عن النية والعقد. وقيل: الارجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، ويقابلهما القائلون بالمنزلة بين المنزلتين وهم الواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء البصري الغزال المتكلم المتوفى في ١٣١، وواصل أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين، وأراد بذلك أن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين الكفر، والإيمان وذلك أن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا، والفاسق لم يستجمع خصال الخير فلا يسمى مؤمنا، وليس بكافر مطلق أيضاً لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه.

(٢) إن عقيدة الجبر هي من بقايا عقائد أهل الكتاب، وقد صرحت بها كتبهم المحرفة بصورة واضحة، فراجع: التوراة، والتلمود، والإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾. وقد كان سكان الجزيرة على احتكاك متواصل باليهود، الذين يعتقدون بالجبر، وخصوصاً الفريسيين منهم، فقد كان: «الفريسيون من اليهود لا يرون للإنسان إرادة، ولا اختياراً، ولا تأثيراً، ولا جزءاً كسبياً، ولذا لا يرونه جديراً بالمدح والثناء، لأن فعل الله فعل بيده». الحكّام ومقولة الجبر: وقد راقت مقولة الجبر الإلهي هذه للحكام والمتسلطين، فسعوا إلى نشرها، وحَمْلِ الناس عليها، لأن هذه العقيدة تجعل الناس يستكينون لحكمهم، ويخضعون لسلطانهم، مهما صدر منهم من ظلم وعسف، وبه يبررون للناس كل ما ارتكبوه من جرائم وموبقات، وهم يفرضون على الناس من خلال هذه العقيدة كل ما يحلو لهم، أو يخطر على بالهم، وبه احتج معاوية لصحة ما أقدم عليه من فرض ولده يزيد المجرم والطاغي والفاسد، على الناس من بعده، فقد قال لعائشة تارة ولابن عمر أخرى: «وإن أمر يزيد قد كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خيرة في أمرهم». واحتج به عمر بن سعد «لعنه الله» لقتله الإمام الحسين ﷺ، فقد قال له ابن مطيع: اخترت همدان والريّ على قتل ابن عمك؟! فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: كانت أموراً قضيت من السماء. وقد أعذرت إلى ابن عمي قبل الوقعة. وحين ذكرت عائشة لأبي قتادة ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله»، في حق الخوارج، وأن الذي يقتلهم أحبهم إليّ، أحبهم إلى الله. فقال لها أبو قتادة: يا أم المؤمنين، فأنت تعلمين هذا فلم كان منك؟! قالت: يا أبا قتادة! ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. فهي تبرر حرب الجمل وقتل المئات أو الألوف من المسلمين بالقدر=

=الإلهي!! وحين سألت أم الحارث الأنصارية عمر بن الخطاب عن سبب فراره يوم حنين، قال: أمر الله. وأجاب نسيبة بنت كعب المازنية بذلك أيضاً، وكذا الحال بالنسبة لأبي قتادة الأنصاري. وبهذه العقيدة استدل خالد بن الوليد لقتل مالك بن نويرة، وبرر بها عثمان تمسكه بالحكم إلى أن قتل، وبرر بها معاوية والمنصور منع الناس حقوقهم في بيت مال المسلمين.. وبها برر عمر بن الخطاب تمزيقه لكتاب كان قد كتبه في إرث الجدة. (الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ـ للسيد جعفر مرتضى العاملي ٢٨: ١٩٥ ـ ١٩٨).

والجبرية نشروا في الناس الكثير من الأمور التي يأباها العقل والوجدان، والفطرة، وتخالف القرآن. مثل: نفي عصمة النبي «صلى الله عليه وآله» إلا في التبليغ، عقيدة الجبر، التجسيم والتشبيه، لزوم الخضوع للحاكم الظالم، والمنع من الاعتراض عليه، غير ذلك من أمور أدخلوها في عقائد المسلمين، وفي تاريخهم، وهي مأخوذة في الأكثر من أهل الكتاب (الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ـ السيد جعفر مرتضى العاملي ١: ٢٧٠).

وروي عن أبي عبد الرحمن بن يزيد الفهري ـ يقال: اسمه كرز ـ قال: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حنين في يوم قائظ شديد الحر، فنزلنا تحت ظلال السمر، فلما زالت الشمس لبست لامتي، وركبت فرسي، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في فسطاطه، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمته. الرواح قد حان، الرواح يا رسول الله. قال: «أجل». ثم قال رسول الله: «يا بلال»! فثار من تحت سمرة كأن ظله طائر، فقال: لبيك وسعديك، وأنا فداؤك. قال: «أسرج لي فرسي». فأتاه بسرج دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر، فركب فرسه، ثم سرنا يومنا، فلقينا العدو، وتشامت الخيلان، فقاتلناهم، فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى. فجعل رسول الله الخ... ولا نجد في هذا النص ما يوجب الإشكال سوى التعبير بكلمة: «الفرس»، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في حنين يركب بغلة لا فرساً كما هو معلوم.

أسباب الهزيمة عند عمر بن الخطاب: والتفسير الذي له دلالاته وغاياته هو تفسير عمر بن الخطاب للهزيمة. فقد قال بعض من حضر تلك الوقعة: «وانهزم المسلمون، فانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب، فقلت له: ما شأن الناس؟! قال: أمر الله. ثم تراجع الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..». كما أن أم الحارث الأنصارية قالت لعمر بن الخطاب حين مر عليها: يا عمر، ما هذا؟! قال: أمر الله تعالى. ونقول: إن لنا على هذا النص العديد من الملاحظات، نذكر منها: ١ ـ إن هذا الذي انهزم مع الجماعة، لم يرض أن ينسب لنفسه المشاركة في الهزيمة، فلم يقل: انهزم الناس وانهزمت معهم. بل قال: «انهزم الناس، فانهزمت معهم»، فاستعمل الفاء، بدلاً عن الواو، وكأنه يريد الإيحاء: بأنه لم يكن يريد هذا الأمر، ولا شارك فيه، بل هم الذين انهزموا، فتبعهم. لأنهم قد اضطروا=

ومن أخطر ما روج له الامويون الجبرية، فقد جعلوا عقيدة الجبر ـ الواضح لكل أحد زيفها وسخفها ـ من العقائد الدينية الإسلامية، من أجل أن يسهلوا على أولئك الحكام استغلال الناس، ولكي يوفروا لهم حماية لتصرفاتهم تلك. التي يندى لها جبين الإنسان الحر ألماً وخجلاً، إذ أنهم يكونون بذلك قد جعلوا كل ما يصدر منهم هو بقضاء من الله وقدره، ولذا فليس لأحد الحق في أن ينكر عليهم أي تصرف من تصرفاتهم، أو أي جناية من جناياتهم. وكان قد مضى على ترويجهم هذه العقيدة المبتدعة ـ حتى زمان المأمون ـ أكثر من قرن ونصفاً، أي من أول خلافة معاوية، بل وحتى قبل ذلك أيضاً. بزمان طويل! عقيدة الخروج على سلاطين الجور(١).

ط ـ العمل على تجويع الأمة على حساب رفاه أعوان الحكام:

قام عمال بني أمية بتبذير بيت المال وصرفه في مصالحهم الشخصية وبذل الأموال الطائلة على من يعاضدهم ويؤيد سلطانهم تاركين المسلمين في الفقر المدقع، قال أبو الفرج الأصفهاني: أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزّبير قال: حدّثني عبد الرحمن بن عبدالله الزّهريّ قال:

=إلى ذلك.. ٢ ـ إن كلام عمر يشير: إلى أن الناس لا ذنب لهم في هذه الهزيمة، لأن الله تعالى هو الذي فعل ذلك بهم، فإن كان ثمة من اعتراض، فلا بد أن يوجه إليه تعالى، لا على المنهزمين. وبذلك يكون قد برّأ نفسه من عار الهزيمة، وسلم من تبعاتها.. ٣ ـ لم يقدم عمر دليلاً على ما يدّعيه من أن أمر الله هو السبب فيما حصل.. إلا أن من الواضح: أنه اعتمد على عقيدة الجبر الإلهي، وقد قلنا أكثر من مرة: أن هذه العقيدة من بقايا عقائد المشركين، والظاهر أنهم أخذوها من اليهود. (الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، للسيد جعفر مرتضى العاملي ٢٤: ١٣٤ ـ ١٣٦).

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا ﷺ ـ للسيد جعفر مرتضى العاملي: ٣١١.

حدّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لمّا ولي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأقدم عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم. فلمّا قدم قباء صبّ المال على نطع ودعا جماعة من قومه، وقال: إنّي قد عملت لكم طعاما. فلمّا دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال، وقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

وقال أبو الفرج الأصفهاني:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزّبير بن بكار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أن أبا عبيدة حدّثه عن غير واحد من أهل المدينة: أن يزيد بن عبد الملك لمّا قدم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كثيّر يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عوّده من كان قبل يزيد من الخلفاء أن يلقى عليهم بيوت الشعر ويسألهم عن المعاني. فألقى على يزيد بيتا وقال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشمّاخ بقوله:

فما أروى وإن كرمت علينا بأدنى من موقّفة حرون
تطيف على الرّماة فتتّقيهم بأوعال معطّفة القرون

فقال يزيد: وما يضرّ يا ماصّ بظر أمّه ألّا يعلم أمير المؤمنين هذا! وإن احتاج إلى علمه سأل عبدا مثلك عنه!. فندم كثيّر وسكته من حضر من أهل بيته، وقالوا له: إنه قد عوّده من كان قبلك من الخلفاء أن يلقى عليه أشباه هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطفىء عنه غضبه. وكانت جائزته ثلاثين ألفا، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص[2].

---

(١) الأغاني ـ لأبي الفرج الأصفهاني ٤: ٤٢٩، والآية من سورة الطور ٥٢: ١٥.
(٢) الأغاني ـ لأبي الفرج الأصفهاني ٩: ١١٨.

وقال المدائني: غلبت حبابة على يزيد وتبنى بها عمر بن هبيرة، فعلت منزلته حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء... وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة... فلم تزل حبابة تعمل له في العراق حتى وليها(١).

❁ ❁ ❁

(١) الأغاني للأصفهاني ١٥ : ٩٩. وقال الاصفهاني : أراد يزيد بن عبد الملك أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز... فشق ذلك على حبابة... فدست حبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتا... ومكث جمعة لا يرى حبابة... فغنت البيت الأول... ثم غنت: وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي، فعدل إليها وقال: صدقت والله فقبح الله من لامني فيك... وأقام معها يشرب وتغنيه وعاد إلى حاله... وقال عمر بن شبة...: فقال يزيد: صدقت والله فعلى مسلمة لعنة الله.. ثم قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت الأحوص... فكتب إليه في نحو من أربعين ألف درهم... واستأذن الأحوص على يزيد فاذن له... فأنشده... فلما سمعها وثب حتى دخل على حبابة وهو يتمثل:

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي   وان لام فيه ذو الشنان وفندا

فأعطاه ألف دينار. (الأغاني للأصفهاني ١٥: ٩٩، وراجع: تشجيع الخلفاء للشعر والغناء، وتسامحهم في انتشار الخمور والمجون، نشر: مركز المصطفى ﷺ ـ قم).

الفصل الثاني

الأساليب القولية للإمام في إصلاح المجتمع

إنّ سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام جمعت له روح الثورة ضدّ الطغيان والتحمس الجهادي إلى جانب المعرفة الإلهية الحقّة وشدّة التعبّد للّه جلّ جلاله، فكانت سيرته عليه السلام توضيحاً للإجابة عن التساؤلات التي تثار عن إمكانية الجمع بين الدعاء والمناجاة من جهة والروح النهضوية والتضحوية من جهة أخرى.

وكان الإمام على غزارة علمه متواضعاً رفيقاً مع كل من يعرف ومن لا يعرف، وكم تلقى من إساءات من بعض الحمقى والأغبياء وذوي النفوس المعقدة أو الضمائر العفنة أو ذوي الفظاظة، فما قابلها إلا بالابتسام أو بالصبر. كان يتمثل قول الله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1].

وقد تكلمنا في البحث السابق عن الاوضاع الاجتماعية والسياسية وما حصل فيهما من الانحرافات، وفي هذا البحث نذكر أهم مواقف الإمام تجاه كل ما حصل في عصره وأيضاً نشير إلى الطرق التي سلكها

---

(١) شرح إحقاق الحق ٢٨: ٤٦٠، والآية من سورة الأعراف ٧:١٩٩.

الإمام في الإصلاح، ونبدأ: بالإصلاح بوسيلة التخاطب والكلام، فالإمام سلك هذه الطريقة عملا بالآية الكريمة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(١)، فالموعظة الحسنة ترتبط باصلاح عوام الناس في المجتمع، والحكمة ترتبط بالخواص منهم، والجدال بالتي هي أحسن ترتبط بالمخالفين.

وهذة ثلاثة طرق تبينها الآية الكريمة، وهي ثلاثة طرق مهمة في اصلاح المجتمع وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وقد مارسها الإمام إضافة إلى طريقة فريدة سلكها الإمام في الإرشاد وهو طريقة الدعاء. وعليه تكون وسائل الإمام في الإصلاح هي اربعة انواع، سوف نبحثها بالترتيب فيما ما يلي:

النوع الأول: الموعظة

إن من الأساليب الناجعة والمؤثرة في اصلاح المفاسد الاجتماعية هو القول المقرون بالعمل وخصوصا إذا كان نابعا من الصميم، فإن الكلام إذا صدر من القلب وقع في القلب وكم من كلام كان له أثراً أحد من وقع السيف وضرب السياط!

ولقد مارس الإمام زين العابدين هذه الوسيلة إلى جانب الوسائل الأخرى التي سنذكرها تباعا فكان له الاثر البالغ في نفوس المخاطبين وصار سببا لرجوعهم إلى أنفسهم وتصحيح مسيرتهم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ١٢٥.

والوعظ من الأساليب التي أكد عليها القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الصلاح. والإصلاح هوالموعظة الحسنة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[١]، فالموعظة تؤثر في القلب خصوصا إذا خرجت من القلب.

والموعظة ـ في اللغة ـ: هي النصيحة، ومايذكر الانسان بنتائج عمله.

والموعظة أيضاً هي الوعظ والزجر المقترن بالتخويف كما في مفردات الراغب.

وبالنظر إلى المعنى اللغوي يظهر ان هذه الطريقة تؤثر في تنظيف القلب من درن الذنوب وتوجب طهارته واستعداده لقبول الحق. ومن هنا قال أمير المؤمنين في كتابه لابنه الحسن ﷺ: احيي قلبك بالموعظة[٢].

والقرآن الكريم هو كتاب موعظة كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣].

وقال علي ﷺ: المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب[٤].

ومن هنا استعمل الإمام السجّاد هذه الوسيلة وكانت سيرته على انواع:

يمكن إيصال الوعظ إلى المتعظ بعدة طرق، منها:

---

(١) القرآن الكريم، سورة يونس ١٠:٥٧.
(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٣١.
(٣) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.
(٤) غرر الحكم: ٤١٩١.

أ ـ الدعوة إلى التحلي بمكارم الاخلاق:

والصحيفة السجّادية مشحونة بالكثير من الفقرات التي تؤكد على ضرورة التحلي بمكارم الاخلاق، منها قول الإمام زين العابدين عليه السلام: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، واكفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الِاهْتِمَامُ بِهِ، واسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْه، واسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَه، وأَغْنِنِي وأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِك، ولَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وأَعِزَّنِي ولَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وعَبِّدْنِي لَك ولَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ ولَا تَمْحَقْه بِالْمَنِّ، وهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلَاقِ، واعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ[١]...

وفي الكافي من كلام الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ما رواه باسناده عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعا، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن غالب الأسدي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عنه وكتب كان يقول: أيها الناس اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه، ويحك يا ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه[٢].

ومن مظاهر ما كان يتصف به عليه السلام: الحلم، فكان الإمام من أعظم الناس حلماً، وأكظمهم للغيظ، فمن صور حلمه التي رواها المؤرّخون:

---

(١) الصحيفة السجّادية: (دعاء مكارم الاخلاق): ٩٢.

(٢) الكافي ـ الشيخ الكليني ٨: ٧٢ ـ ٧٣.

١ ـ كانت له جارية تسكب على يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ وأسرع الإمام قائلاً: «كظمت غيظي»، وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزيد قائلة: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فقال الإمام ﷺ: «عفا الله عنك»، ثمّ قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. فقال ﷺ لها: «اذهبي فأنت حرّة»[١].

٢ ـ سبّه لئيمٌ. فأشاح ﷺ بوجهه عنه، فقال له اللئيم: إيّاك أعني... وأسرع الإمام قائلاً: «وعنك أغضي...» وتركه الإمام ولم يقابله بالمثل[٢].

٣ ـ ومن عظيم حلمه ﷺ: أنّ رجلاً افترى عليه وبالغ في سبّه، فقال ﷺ له: «إن كنّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك...»[٣].

ب ـ الدعوة إلى الزهد:

قال سعيد بن المسيب: كان عليّ بن الحسين ﷺ يعظ الناس ويزهّدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كلّ جمعة في مسجد رسول الله ﷺ وحفظ عنه وكتب، وكان يقول: «أيّها الناس،

---

(١) أمالي الصدوق: ١٦٨، ح ١٢، الإرشاد ٢: ٢٤٦، مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٥٧، تاريخ مدينة دمشق ٣٦: ١٥٥ وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٤٠، سير أعلام النبلاء٤: ٣٩٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب٤: ١٧١، البداية والنهاية٩: ١٠٥، تهذيب التهذيب ٧: ٢٧٠.

(٣) الإرشاد ١: ١٤٦ عن نسب آل أبي طالب للعبيدلي النسّابة م ٢٧٠ هـ

اتّقوا الله واعلموا أنّكم إليه تُرجعون... يابن آدم، إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى قبرك وحيداً، فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك... فاتّقوا الله عباد الله، واعلموا أنّ الله عزّوجلّ لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغّبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدنيا وأهلها ليبلوهم فيها أيّهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وعرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلاّ بالله، فازهدوا فيما زهّدكم الله عزّوجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا... ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركونَ من اتّخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنّها دار بُلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل، فتزوّدوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيّامها، وقبل الإذن من الله في خرابها... جعلنا الله وإيّاكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة، فإنّما نحن به وله...»[1].

وفي الكافي أيضا: قال أبو حمزة: كان الإمام علي بن الحسين ﷺ إذا تكلم في الزهد ووعظ أبكى من بحضرته، قال أبو حمزة: وقرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين ﷺ وكتبت ما فيها ثم أتيت علي بن الحسين صلوات الله عليه فعرضت ما فيها عليه فعرفه وصححه وكان ما فيها: بسم الله الرحمن الرحيم كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين، أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا المائلون إليها،

(١) الكافي: ٨: ٧٢ ـ ٧٦، تحف العقول: ٢٤٩ ـ ٢٥٢.

المفتتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد غدا واحذروا ما حذركم الله منها وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها[١]...

ج ـ تنوير العقول وتوجيه الناس لمعرفة الحقائق:

كان الإمام عليه السلام حريصا على تنوير العقول وايقاظها من سباتها فيما حاول الأعداء تعميته عليهم، بالخطب الفاضحة للنظام الحاكم، وايصال الحقيقة إليهم بشتى الطرق ليكونوا على بصيرة مما يجري حولهم ويمكنهم تمييز الحق من الباطل بالتأمل في الأحداث والوقائع، وإليك بعض النماذج مما قاله الإمام في هذا المجال:

١ ـ بلغ عليه السلام كلام نافع بن جبير في معاوية قوله: «إنه كان يسكته الحلم وينطقه العلم». فقال عليه السلام: بل كان ينطقه البطر ويسكته الحصر[٢].

٢ ـ ومن مظاهر ذلك أيضاً ما نقله المؤرخون: أنه عندما كان في الشام وواجه شيخاً شامياً دنا من الإمام السجّاد عليه السلام عند دخول سبايا آل محمّد صلى الله عليه وآله الشام وقال له: «الحمد الله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم».

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، أقرأت القرآن؟

قال: بلى.

(١) الكافي: ٨: ١٤.

(٢) كنز الفوائد ـ أبي الفتح الكراجكي: ١٩٥، وبحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٣٣: ٢١٩. ٢٢٠. والحصر ـ بالتحريك ـ: العي.

قال ﷺ: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١)؟

قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال له عليّ ﷺ: فنحن القربى، يا شيخ!

فهل قرأت في بني إسرائيل ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾(٢)؟

فقال: قد قرأت ذلك.

قال عليّ ﷺ: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٣)؟

قال: نعم.

فقال له عليّ ﷺ: فنحن القربى. يا شيخ، ولكن هل قرأت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤)؟

قال: قد قرأت ذلك.

قال عليّ ﷺ: فنحن أهل البيت الذين اختصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ.

قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به، وقال: بالله إنّكم هم؟!

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى ٤٢: ٢٣.
(٢) القرآن الكريم، سورة الاسراء ١٧: ٢٦.
(٣) القرآن الكريم، سورة الانفال ٦: ٤١.
(٤) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: تالله إنّا لنحن هم من غير شك وحقّ جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد»[1].

٣ ـ وذكر المؤرّخون أنّه لمّا قدم عليّ بن الحسين عليه السلام وقد قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟ وهو مغطٍّ رأسه وهو في المحمل، فقال له عليّ بن الحسين: «إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذّن ثمّ أقم»[2].

لقد كان جواب عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ الصراع إنّما هو على الدين الذي تتجلّى مظاهره في الأذان وتكبير الله تعالى والإقرار بوحدانيّته، وليس الصراع صراعاً على الحكم والسلطان، وأنّ استشهاد الحسين والصفوة من أهل بيته وأصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمّدي وثباته أمام جاهلية بني أُميّة وعتوّها وطغيانها وطغيان من حذا حذوهم ممّن لم يذوقوا حلاوة الإيمان والإسلام.

٤ ـ قال طاووس: رأيت رجلاً يصلّي في المسجد الحرام تحت الميزاب ويدعو ويبكي في دعائه، فتبعته حين فرغ من صلاته، فإذا هو عليّ بن الحسين عليه السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله، رأيتك على حالة

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، مقتل المقرم: ٤٤٩ عن تفسير ابن كثير والآلوسي، لواعج الأشجان: ٢١٩، كتاب الفتوح ٥: ١٣٠، مع اختلاف يسير.

(٢) أمالي الطوسي: ٦٧٧.

كذا، ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدهما: أنّك ابن رسول الله ﷺ، والثانية: شفاعة جدّك، والثالثة: رحمة الله. فقال: يا طاووس، امّا أنّي ابن رسول الله ﷺ فلا تؤمنني، وقد سمعت الله يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾[1] وأمّا شفاعة جدّي فلا تؤمنني؛ لأنّ الله يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2] وأمّا رحمة الله؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] ولا أعلم أنّي محسن[4].

٥ ـ وقال طاوس الفقيه: رأيته يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحدا رمق السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد في عرصات القيامة ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك. وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني علىٰ ذلك سترك المرخى به علي، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني، فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن استحي من ربي؟ ثم بكى، ثم أنشأ يقول:

---

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١.
(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٢٨.
(٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٥٦، والآية هكذا ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.
(٤) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٦: ١٠١ ـ ١٠٢، ح ٨٩، عن كشف الغمة ٢: ٣٠٥.

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح ردية وما في الورى خلق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعصى، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم.

ثم خر إلى الأرض ساجدا فدنوت منه وشلت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالسا وقال: من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربي! فقلت: انا طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون. أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله؟ قال: والتفت إلي وقال: هيهات هيهات يا طاوس، دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن اطاعه وأحسن ولو كان حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيدا قرشيا، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[1] والله لا ينفعك غدا إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح[2].

إنّ اشتهار الإمام بلقب زين العابدين وسيّد الساجدين ممّا يشير إلى وضوح عنصر الإنابة إلى الله، والانقطاع إليه في حياة الإمام وسيرته وشخصيّته.

على أنّ أدعية الصحيفة السجّادية هي الدليل الآخر على هذه

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١.
(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

الحقيقة، فإنّ إلقاء نظرة سريعة وخاطفة على عناوين الأدعية يكشف لنا مدى التجاء الإمام إلى الله في شؤون حياته، فما من موقف إلاّ وللإمام فيه دعاء وابتهال وتضرّع، هذا فضلاً عن مضامين الأدعية التي يكاد ينفرد بها هو عليه السلام في الصحيفة المعروفة وغيرها، لقد ذاب الإمام في محبّة الله وأخلص له أعظم الإخلاص، وقد انعكس ذلك على جميع حركاته وسكناته.

وعن الكافي: أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار عن فضالة، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إني لأحب أن أقدم على العمل وإن قل[1].

وعن الكافي بالاسناد عن فضالة. عن العلا، عن محمد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إني لأحب أن أقدم على ربي وعملي مستو[2].

٦ ـ ومن خطبه الفاضحة للنظام عند دخوله المدينة النورة ـ على ما رواه ابن نما الحلي في «مثير الأحزان»، عن بشير بن حذلم ـ، قال: فلما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين عليه السلام فحط رحله، وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير! رحم الله أباك فقد كان شاعرا، فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله، إني لشاعر.

قال: فادخل المدينة وانع أبا عبدالله.

---

(١) الكافي ٢: ٨٢.
(٢) الكافي ٢: ٨٣.

قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي ﷺ رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج ... والرأس منه على القناة يدار

قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم اعرفكم مكانه.

فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوما أمر على المسلمين منه، وسمعت جارية تنوح على الحسين فتقول:

نعى سيدي ناع نعاه فأوجعا ... وأمرضني ناع نعاه فأفجعا
فعينيّ جودا بالدموع وأسكبا ... وجودا بدمع بعد دمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا ... فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبي الله وابن وصيه ... وإن كان عنا شاحط الدار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبدالله، وخدشت منا قروحا لما تندمل، فمن أنت رحمك الله؟

فقلت: أنا بشير بن حذلم، وجهني مولاي علي بن الحسين عليهما الصلاة والسلام، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وبادروا، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط، وكان علي بن الحسين عليه السلام

داخلا، ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء، وحنين الجواري والنساء، والناس من كل ناحية يعزونه فضجت تلك البقعة ضجة شديدة، فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم فقال عليه السلام:

الحمد للّه ربّ العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين، الذي بَعُد فارتفع في السماوات العُلى، وقَرُب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة الجائحة.

أيّها الناس، إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبدالله الحسين عليه السلام وعترته وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها الناس، فأيّ رجالاتٍ منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحزن مِن أجله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضنّ[1] عن انهمالِها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون.

يا أيّها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أيّ فؤادٍ لا يحنّ إليه؟! أم أيّ سمعٍ يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصمّ؟!

---

(١) تضن: أي تبخل.

أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين وشاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل، من غير جرمٍ اجترمناه، ولا مكروهٍ ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إنْ هذا إلاّ اختلاق.

واللّه، لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها وأفظعها وأمرّها وأفدحها! فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام.

قال: فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان، وكان زمِنا فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجليه. فأجابه بقبول معذرته، وحسن الظن فيه وشكر له وترحم على أبيه(١).

وجسّد هذا الخطاب ـ على قصره ـ واقعة كربلاء على حقيقتها مركزاً على المظلومية التي لحقت بأهل البيت ﷺ في قتل الحسين بن عليّ ﷺ من جانب، وأسرِ أهل بيته من جانبٍ آخر، بالإضافة إلى المظلومية التي لحقتهم بعد واقعة الطفّ، إذ حملت رؤوس الشهداء بما فيهم سيّدهم الحسين ﷺ فوق الأسنّة من بلد إلى بلد.

وعقّب الإمام زين العابدين ﷺ ـ بلمحة سريعة ومعبّرة ومؤثّرة ـ واصفاً ما لقيه آل البيت من السبي والتشريد والتعامل السيّء والمهين، وهم أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة، وهم قادة أهل الإيمان وأبواب الخير والرحمة والهداية.

---

(١) مثير الأحزان، لابن نما الحلي: ٩٠، وبحار الأنوار، للعلامة المجلسي ٥٤: ١٤٧.

وأنهى الإمام خطابه بوصفٍ في منتهى الدقّة عن عظمة الجرائم التي ارتكبها جيش السلطة الأموية في حقّ أهل البيت ﷺ، فإن الرسول ﷺ لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت وتعذيبهم؛ لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم وقد نهاهم عن التمثيل حتّى بالكلب العقور؟! وكيف يمكن توجيه كلّ ما فعلوه وقد أوصاهم النبيّ ﷺ بحفظه في عترته، ولم يطالبهم بأجر للرسالة سوى المودّة في قرباه؟!

فالإمام زين العابدين ﷺ حاول في خطابه هذا تكريس مظلومية أهل البيت لاستنهاض الروح الثورية في أهل المدينة، وتحريك الوعي النهضوي ضدّ الظلم والجبروت الأموي والطغيان السفياني.

وفي الحقيقة فإن ردود الفعل على مقتل الإمام الحسين ﷺ بدأت بالظهور مع دخول سبايا أهل البيت ﷺ إلى الكوفة، بالرغم من القمع والإرهاب اللّذين مارسهما ابن زياد مع كلّ من كان يبدي أدنى معارضة ليزيد، فإنّ أصواتاً بدأت ترتفع محتجّةً على الظلم السائد. فانه عندما صعد ابن زياد المنبر وأثنى على يزيد وحزبه وأساء إلى الحسين ﷺ وأهل بيت الرسالة «قام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي وقال له: يا عدوّ الله، إنّ الكذّاب أنت وأبوك والذي ولاّك وأبوه يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيّين وتقوم على المنبر مقام الصدّيقين؟! فقال ابن زياد: عليّ به، فأخذته الجلاوزة فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة فانتزعوه من الجلاوزة، فلمّا كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه وصلبه»[1].

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٧ وعنه في وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٦٥، ٢٦٦.

وأنّ تلك المواجهة انتهت لصالح ابن زياد لكنّها كانت مقدّمة لإعتراضات أُخرى.

فقد ظهرت في الشام ـ أيضاً ـ بوادر السخط والاستياء، الأمر الذي جعل يزيد ينحو باللائمة في قتل الحسين عليه السلام على ابن زياد، إلاّ أنّ أشدّ ردود الفعل كانت تلك التي برزت في الحجاز، فقد انتقل عبدالله بن الزبير إلى مكة في الأيّام الأُولى من حكومة يزيد، واتّخذها قاعدة لمعارضته للشام، وقام بتوظيف فاجعة كربلاء للتنديد بنظام يزيد، وألقى خطاباً وصف فيه العراقيّين بعدم الوفاء، وأثنى على الحسين بن عليّ عليه السلام ووصفه بالتقوى والعبادة[١].

هـ ـ التعريف بالاسوة والقدوة التي ينبغي الاقتداء بها في الحياة:

أكد الإمام زين العابدين في اكثر من موقف على لزوم متابعة الرسول الكريم الذي جعله الله اسوة للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢].

وممّا رواه المؤرّخون:

١ ـ أنّه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثريّ فبادره الإمام قائلاً: «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء، فقال عليه السلام: قم فأُرشدك إلى بابٍ خير من بابه وإلى ربٍّ خير لك منه...».

ونهض معه الرجل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلّمه ما يعمله من

(١) راجع: اللهوف: ١١٦، بحار الأنوار: ٤٥: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن، وطلب الحاجة من الله والالتجاء إلى حصنه الحريز[١].

٢ ـ وعن المنهال، يعني ابن عمرو، قال: دخلت على عليّ بن حسين فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا، فأمّا إذا لم تدر أو تعلم فسأخبرك: أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرّب إلى عدونا بشتمه أو سبّه على المنابر.

وأصبحت قريش تعدّ أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمّداً ﷺ منها، لا يُعدّ لها فضل إلّا به وأصبحت العرب مقرّة لهم بذلك، وأصبحت العرب تعدّ انّ لها الفضل على العجم لأنّ محمّداً ﷺ منها، لا يعدّ لها فضل إلاّ به، وأصبحت العجم مقرّة لهم بذلك. فلئن كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمّداً ﷺ منها إنّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأنّ محمّداً ﷺ منّا، فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يعرفون لنا حقاً، فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا.

قال ـ المنهال ـ: فظننت أنّه أراد أن يُسمع من في البيت[٢].

٣ ـ وفي رواية: عن المنهال، قال: دخلت على علي بن الحسين ﷺ وقلت له: *يا بن رسول الله كيف أصبحت؟* فقال: أنت

---

(١) حياة الإمام زين العابدين ﷺ دراسة وتحليل١: ٩٣، بحار الأنوار ٨٨: ٣٧٥ مع اختلاف يسير.

(٢) حاشية ابن ادريس على الصحيفة السجّادية (المقدمة): ١٩، عن طبقات ابن سعد ٧: ٢١٧.

تزعم إنك لنا شيعة وأنت لا تعرف صباحنا ومسائنا أصبحت في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبنائهم ويستحيون نسائهم. وأصبح خير البرية بعد نبيها ﷺ يلعن على المنابر. ويعطى الفضل والأموال على شتمه وأصبح من يحبنا منقوص على حبه إيانا[1].

٤ ـ وفي الأنوار النعمانية، للسيد الجزائري. قال منهال بن عمرو الدمشقي: رأيت علي بن الحسين عليه السلام في بعض أسواق الشام وقد اتكى على عصاه والصفرة قد غلبت على وجهه ورجلاه كأنهما قصبتان والدم يجري من ساقيه فقلت له: يا بن رسول الله كيف أصبحت؟ قال: وكيف يصبح من كان أسيرا... الخ[2].

٥ ـ وفي بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: باب نادر فيما قيل في جواب كيف أصبحت؟، عن جامع الأخبار: قيل لعلي بن الحسين عليه السلام: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: أصبحت مطلوبا بثمان خصال: الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبي ﷺ بالسنة والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان بالمعصية، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال مطلوب[3].

٦ ـ وروى معتب عن الصادق عليه السلام، قال: كان علي بن الحسين عليه السلام شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر

(١) حاشية ابن ادريس على الصحيفة السجّادية (المقدمة): ١٩، عن طبقات ابن سعد ٧: ٢١٨.
(٢) شجرة طوبى ـ للشيخ محمد مهدي الحائري ٢: ٣٧١.
(٣) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٧٣: ١٥، عن جامع الأخبار: ١٠٥.

ذلك بجسمه، فقلت له: يا أبه كم هذا الدؤب؟ فقال له: أتحبب إلى ربي لعله يزلفني[١].

٧ ـ وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة، قال: حدثنا علي بن عبدالله الوراق قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفي، عن عبدالله بن موسى، عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني رضي الله عنه قال: حدثني صفوان ابن يحيى، عن إبراهيم بن أبي زياد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله عز وجل طاعتهم ومودتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال لي: يا كنكر إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عزو جل أئمة للناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن، ثم الحسين ابنا علي بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا. ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين (علي) عليه السلام: أن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني جعفر، واسمه في التوراة باقر، يبقر العلم بقرا، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون، قال: حدثني أبي، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا

(١) الأنوار البهية ـ الشيخ عباس القمي: ١١٥، عن المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٥، وانظر: مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٤.

ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ فسموه الصادق، فإن للخامس من ولده ولدا اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراء على الله وكذبا عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله عز وجل، والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله عز وجل، ثم بكى علي بن الحسين ﷺ بكاء شديدا، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصا منه على قتله إن ظفر به، (و) طمعا في ميراثه حتى يأخذه بغير حقه.

قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن، فقال: إي وربي إن ذلك لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله ﷺ.

قال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟

قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله عز وجل الثاني عشر من أوصياء رسول الله ﷺ والأئمة بعده.

يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺبالسيف، أولئك المخلصون حقا وشيعتنا صدقا، والدعاة إلى دين الله عز وجل سرا وجهرا. وقال علي بن الحسين ﷺ: انتظار الفرج من أعظم الفرج.

وقال الصدوق: حدثنا بهذا الحديث علي بن أحمد بن موسى. ومحمد بن أحمد الشيباني وعلي بن عبدالله الوراق، عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي، عن سهل بن زياد الآدمي عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني رضي الله عنه، عن صفوان، عن إبراهيم أبي زياد عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين ﷺ.

وقال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: ذكر زين العابدين ﷺ (لـ) جعفر الكذاب دلالة في إخباره بما يقع منه[١].

٨ ـ وروى الحسين بن أحمد البيهقي، عن محمد بن يحيى الصولي، عن الجوهري عن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي، عن عمه، عن الصادق ﷺ قال: «كان علي بن الحسين ﷺ لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه فقال لهم: أتدرون من هذا؟ فقالوا: لا، قال: هذا علي بن الحسين، فوثبوا إليه فقبلوا يده ورجله وقالوا: يا ابن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدهر؟ فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله ﷺ ما لا أستحق، فاني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إليّ»[٢].

٩ ـ روى السيد ابن طاووس، عن مُحَمَّد بن الحسن بن داوُد

(١) كمال الدين وتمام النعمة ـ للشيخ الصدوق: ٣٢٠.
(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٦٩.

الخراجي، عن أبيهِ، ومُحَمَّد بن علي بن حسن المقري، عن علي بن الحسين بن أبي يعقوب الهمداني، عن جعفر بن مُحَمَّد الحسيني، عن الآمدي، عن عَبْد الرَّحْمن بن قريب، عن سُفيان بن عيينة، عن الزُّهري، قال: دخلتُ مع علي بن الحُسين عليهما الصَّلاة والسلام على عَبْد الملك بن مروان، قال: فاستعظمَ عَبْد الملك ما رأى من أثرِ السجود بين عيني علي بن الحسين ﷺ فقال: ياأبا مُحَمَّد لقد بيَّن عليك الأجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنتَ بضعة من رسول الله ﷺ قريب النسب وكيد السبب، وإنَّك لذو فضل عظيم على أهلِ بيتك وذوي عصرك، ولقد أُوتيت من الفضل والعلم والدِّين والورع ما لم يؤتَهُ أحد مثلك ولا قبلك إلاَّ من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليهِ ويطريهِ.

قال: فقال علي بن الحسين ﷺ: كلُّ ما ذكرتهُ ووصفتهُ من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكرهُ على ما أنعم يا أمير المؤمنين؟ كان رسول الله ﷺ يقف في الصَّلاة حتى تورّم قدماهُ، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوهُ، فقيل لهُ: يا رسول الله، ألم يغفر لك الله ما تقدَّمَ من ذنبك وماتأخر؟ فيقول ﷺ: أفلا أكون عَبْداً شكوراً، الحمدُ للهِ على ما أولى وأبلى، ولهُ الحمدُ في الآخرةِ والأولى، والله لو تقطَّعَت أعضائي، وسالت مُقلتاي على صدري، لن أقوم للهِ جلَّ جلالهُ بشكرِ عشر العُشَيْر من نعمة واحدة من جميع نعمهِ التي لا يُحصيها العادُّون، ولا يبلغُ حد نعمة منها على جميعِ حمدِ الحامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكرهِ وذكرهِ في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية، ولولا أنَّ

لأهلي عليّ حقّاً، ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلاّ القيام بها حسب الوسع والطاقة حتّى أؤدّيها إليهم لرميت بطرفي إلى السّماء، وبقلبي إلى الله، ثمّ لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خيرُ الحاكمين، وبكى ﷺ وبكى عَبْد الملك وقال: شتّانَ بين عَبْد طلبَ الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلَبَ الدُّنيا من أينَ جاءتهُ مالهُ في الآخرةِ من خلاق، ثمّ أقبلَ يسألهُ عن حاجاتهِ وعمّا قصدَ لهُ فشَفّعهُ فيمن شفعَ، ووصلهُ بمال[1].

و ـ بيانه ﷺ لأسباب السعادة والشقاء وكيفية المواجهة:

ان الإصلاح الاجتماعي لا يمكن ان يكون ناجحا الا برعاية امور عديدة ترتبط بالظروف والشرائط الخاصة، فقد يكون ممارسة نوع خاص ناجحا في زمان ومكان خاص بينما لا يكون ناجحا في ظرف آخر أو مكان مغاير لما نجحت فيه سابقا، ورعاية كل ذلك من مهمة الداعية المصلح، وحسن اختياره للاسلوب والكيفية في إيصال نداء الوجدان إلى الآخرين.

ومما يتراآى في سيرة المعصومين بصورة عامة وسيرة الإمام زين العابدين ﷺ بصورة خاصة موارد عديدة تبين الطريقة الصحيحة للناس مع ملاحظة الظروف اللازمة رعايتها في كيفية إرشاد المنحرفين عن الصراط المستقيم وبالأخص المخالفين والأعداء، ومنها: ما روي أن عبّاد البصري قال للإمام وهو في طريق مكة: «يا عليّ بن الحسين،

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٥٦ ـ ٥٧.

تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينه، وإنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم...﴾[1].

فقال له عليّ بن الحسين ﷺ: أتمّ الآية ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقال عليّ بن الحسين ﷺ: إذا ظهر هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ[2].

وبهذه الإجابة حدّد الإمام ﷺ بشكلٍ صارم سياسته ولون كفاحه، ووجهة حركته في عصره، ومن ثمّ الأسباب الموجبة لذلك المسار، فإنّ عدوله عن الكفاح المسلّح والمواجهة العسكرية للحكم الأموي لم تأتِ حبّاً في الحياة ونعيمها كما تصوّر عبّاد البصري، وإنّما جاء ذلك لأنّ مستلزمات العمل العسكري الناجح غير متوفرة، ولأنّ النتائج من أيّ تحدٍّ للسلطان في تلك الظروف تكون عكسيّة تماماً.

ح ـ التأكيد على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة:

إن الرسول ﷺ العالم بما ستواجه به الأمة من بعده جعل مصدرين مهمين يلجأ إليهما المسلمون لحل مشاكلهم، وقد صرح بذلك في طول حياته أكثر من مرة، حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ١١١.
(٢) الكافي ٥: ٢٢، وسائل الشيعة ١٥: ٤٦، الاحتجاج ٢: ٤٤.

عليّ الحوض»[1] فحرض المسلمين باتباع هذين الثقلين وجعلهما في

(١) حديث الثقلين حديث مستفيض بل متواتر المعنى عن الرسول ﷺ، تناقله المحدثون وأصحاب الصحاح والمسانيد والمعاجم والتواريخ والسير، حديث التمسّك بالثقلين القرآن والعترة متواترٌ في جميع طبقاته، والكتب التي ذكرته أكثر من أن تحصى وطرقه إلى الصحابة كثيرة ورواته من الصحابة كثيرون جداً، وفيه عدّة روايات صحيحة بل في أعلى درجات الصحّة، بينما حديث «وسنّتي» فهو من أحاديث الآحاد: فأقدم مصدر له هو موطأ مالك، فقد رواه مرفوعاً عن رسول الله ﷺ حيث قال راوي الموطّأ: وحدّثني عن مالك: أنّه بلغه أنّ رسول الله ﷺ قال: تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وسنّة نبيّه. ثم إن وصف العترة بنفس ما وصف به القرآن يفيد أن العترة في كلامه ﷺ عدل للقرآن وشريك للوحي، ولا يمكن أن تكون العترة عدلا للقرآن ـ في كلام النبي ﷺ الذي هو ميزان الحقيقة ـ إلا إذا كانت العترة، فيما وصف الله الكتاب بقوله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة النحل ١٦: ٨٩) شريكا لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (سورة فصلت ٤١: ٤٢) شريكا في عصمته. ويدل قوله ﷺ «لن يفترقا» على التلازم الدائم بين القرآن والعترة، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر، وذلك أن القرآن الكريم كتاب أنزل لكافة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم وقابلياتهم، فكانت عباراته للعوام، وإشاراته للعلماء، ولطائفه للأولياء، وحقائقه للأنبياء عليهم السلام إن مثل هذا الكتاب الذي جاء لجميع أفراد البشر، والمتكفل لكل ما تحتاج إليه الانسانية في الدنيا والبرزخ والآخرة، لابد له من معلم عالم بكل ذلك، فإن الطب بلا طبيب، والعلم بلا معلم ناقص، وكذلك القانون ـ خاصة القانون الإلهي الذي به نظم أمور المعاش والمعاد ـ بلا مفسر مناسب له ناقص ومناف لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) (سورة المائدة ٥: ٣)، وناقض للغرض من نزول هذا الكتاب ويخالف قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة النحل ١٦: ٨٩). والحكيم على الإطلاق يستحيل أن ينزل دينا ناقصا، أو ينقض غرضه من تنزيله! ولذا قال النبي ﷺ: (لن يفترقا). وانما سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن والعترة الثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والاسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية ولذا حث صلى الله عليه وسلم على الاقتداء والتمسك بهما. الثاني ثقالة التمسك بهما والعمل بما يتلقى عنهما ورعاية حقوقهما على الناس لأنهما يأمران بالعبودية والاخلاص لله تعالى ومخالفة الهوى والعدل والاحسان وينهيان عن الفحشاء والمنكر وعن متابعة النفس والشيطان وعن الظلم والعدوان ومعلوم ان تباعة الحق والاخلاص ومخالفة الهوى وترك الفحشاء أثقل الأشياء وأمرها. قال أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري في كتاب تهذيب اللغة=

عرض واحد. وبذلك أشار إلى أن القرآن ـ وإن كان هو المصدر الوحيد والأصيل للتشريع ـ لكنه يحتاج إلى مفسر، فجعل عترته الطاهرة وهم الذين تربوا في حجره وفي بيته الذي نزل فيه القرآن، مفسرين له. وبعد أن واجه المسلمون قضية الخلافة حصل الانشقاق بينهم، فصاروا فريقين: فريق اتبعوا قول الرسول ﷺ فتمسكوا بالكتاب والعترة، وفريق رفضوا العترة وقالوا «حسبنا كتاب الله». وكان لهذا الانشقاق أثر كبير في كيفية التفكير.

ومما أثر عنه عليه السلام في هذا المجال:

١ ـ روى علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس رفعه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قل»[(١)].

٢ ـ كما أكد عليه السلام على قراءة القرآن بقوله:

وعليك بقراءة القرآن والعمل بما فيه ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فإنه عهد من الله تبارك وتعالى إلى خلقه فهو واجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم

=ومحمد بن مكرم الأنصاري في لسان العرب وأبو عبدالله محمد بن خلفة المالكي في اكمال المعلم وأبو عبدالله محمد بن محمد بن يوسف في مكمل اكمال الاكمال ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ومحمد بن مرتضى الواسطي في تاج العروس في شرح الحديث المذكور قال ثعلب سميا ثقلين لأن الاخذ بهما ثقيل والعمل بهما ثقيل. وقال مجد الدين بن الأثير الجزري في نهاية اللغة في لغة ثقل سماها ثقلين لأن الاخذ بهما والعمل بهما ثقيل وقال أيضاً في جامع الأصول سمى النبي صلى الله عليه وسلم القرآن العزيز وأهل بيته ثقلين لأن الاخذ بهما والعمل بما يجب لهما ثقيل.

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني ١: ٧٠.

في عهده ولو خمسين آية، واعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه[1].

٣ ـ وروى علي بن إبراهيم في تفسيره: عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود، رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: (عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة بيده، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، جعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصبائها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ القرآن قال له: اقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنة، لم يكن في الجنة أعلى درجة منه، ما خلا النبيون والصديقون[2].

٤ ـ وفي الإحتجاج: روي أن موسى بن جعفر عليه السلام كان حسن الصوت، حسن القراءة، وقال يوما من الأيام: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن فربما مر به المار فصعق من حسن صوته، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئا لما احتمله الناس، قيل له: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل من خلفه ما يطيقون[3].

٥ ـ وفي الكافي: العدة، عن سهل، عن الحجال، عن علي بن عقبة، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين

---

(١) من لا يحضره الفقيه ـ للشيخ الصدوق ٢: ٦٢٨.
(٢) مستدرك الوسائل ـ للميرزا حسين النوري الطبرسي ٤: ٢٥٦، ح٤٦٣٥.
(٣) بحار الأنوار ـ للعلامة المجلسي ٤٦: ٦٩، ح٤٣.

صلوات الله عليهما أحسن الناس صوتا بالقرآن، وكان السقاؤون يمرون فيقفون ببابه، يستمعون قراءته، وكان أبو جعفر ﷺ أحسن الناس صوتا[١].

٦ ـ وفي الكافي: علي، عن أبيه والقاساني جميعا، عن القاسم بن محمد، عن سليمان ابن داود، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري قال: قال علي بن الحسين ﷺ: لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، وكان ﷺ إذا قرأ: «مالك يوم الدين» يكررها، حتى كان أن يموت[٢].

٧ ـ وعن أحمد بن محمد بن فهد الحلي في عدة الداعي: عن حفص بن غياث، عن الزهري، قال: سمعت علي بن الحسين ﷺ يقول: آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة، فينبغي لك ان تنظر [ما] فيها[٣].

٨ ـ وروى الحر العاملي في وسائل الشيعة، بالاسناد عن أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج) عن علي بن الحسين ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٤]: ولكم يا أمة محمد في القصاص حياة لأن من هم بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكف لذلك عن القتل كان ذلك حياة الذي هم بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي

---

(١) بحار الأنوار ـ للعلامة المجلسي ٤٦: ٦٩ ـ ٧٠، ح ٤٥.
(٢) بحار الأنوار ـ للعلامة المجلسي ٤٦: ١٠٧.
(٣) مستدرك الوسائل ٤: ٢٣٨، ح٤٥٩٢.
(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٧٩.

أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجترون على القتل مخافة القصاص[١].

ح ـ الدعوة إلى ولاية وإمامة أهل البيت:

ان الإمام السجّاد أكد على ضرورة ولاية أهل البيت من دون أي تقية وبكل صراحة، فقد ذكر ما يتعلق بأئمة الهدى ﷺ. وأجاب فيه على توهمات البعض بشأن علم الغيب والقدرة الربانية التي منحها الله لهم جوابا كاملا مستدلا فيه بالآيات والروايات، وذكر فيه أيضاً معاجز كثيرة يصلح كل منها كدليل قاطع على هذا الأمر، وعنى بالولاية ولاية أهل البيت ﷺ، لأن ولاية[٢] أهل البيت ﷺ من شروط التوحيد كما جاء في حديث الرضا ﷺ ثامن الأئمة الطاهرين ووارث علوم الأنبياء والمرسلين، عن آبائه المقدسين، عن رسول الله خاتم المرسلين، عن جبرئيل عن الله عز وجل أنه قال: لا إله إلا الله حصني من دخل حصني أمن من عذابي، ولكن بشروطها، وأنا من شروطها[٣]. فإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

---

(١) وسائل الشيعة ٢٩: ٥٣، ح ٣٥١٣٤(ط: آل البيت).

(٢) قال في المصباح: الولاية بالفتح والكسر: النصرة، ويحتمل أن يراد بها الحكومة العامة والإضافة على الثاني لامية وعلى الأول من باب إضافة المصدر إلى المفعول وهو أنسب بما بعده، ولعل المراد بالدخول مع الصادقين الدخول فيما دخلوا من الأحكام وغيرها ومتابعتهم فيها وإن لم يعلم وجه الحكمة إذ صدقهم وعصمتهم يقتضي وجود الحكمة في نفس الأمر ووجوب التسليم بها. (شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني ٨: ٦٢).

(٣) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ـ لمحمد تقي المجلسي الأول، ج ١٣،=

وإليك بعض النماذج:

١ ـ في الاحتجاج، باسناده إلى أبي حمزة الثمالي، قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي بن الحسين ﷺ فقال له: جعلني الله فداك! أخبرني عن قول الله عزو جل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[١].

قال له: ما يقول الناس فيها قِبَلَكُمْ؟

قال: يقولون: أنها مكة.

فقال: وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة.

قال: فما هو؟

قال: إنما عنى الرجال.

قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

=ص٢١١، فقد روى المصنف وغيره بطرق كثيرة: أنه لما وافى أبو الحسن الرضا ﷺ بنيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون فاجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وقد كان قعد في العمارية فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت جبرئيل ﷺ يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي، فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها). (عيون اخبار الرضا ﷺ باب ما حدث به الرضا ﷺ في مربعة نيسابور وهو يريد قصد المأمون: الخبر ٤، والأمالي للصدوق (المجلس الحادي والأربعون)، الحديث ٨ ص ١٤٢ طبع قم.

(١) القرآن الكريم، سورة سبأ ٣٤: ١٨.

فقال: أو ما تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾(١) وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾(٢) وقال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾(٣) أفيسأل القرية أو الرجال أو العير؟

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك! فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال: أو ما تسمع إلى قوله: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾(٤)؟

قال: آمنين من الزيغ(٥).

٢ ـ وفي أمالي الشيخ الصدوق، قال: حدثنا محمد بن أحمد السناني رحمه الله، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا بكر بن عبدالله بن حبيب، قال: حدثنا الفضل بن الصقر العبدي، قال: حدثنا أبو معاوية، عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام، قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك

(١) القرآن الكريم، سورة الطلاق ٦٥: ٨.
(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف١٨: ٥٩.
(٣) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٨٢.
(٤) القرآن الكريم، سورة سبأ ٣٤: ١٨.
(٥) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي ٢: ٤١.

الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها. ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله.

قال سليمان: فقلت للصادق ﷺ: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب(١).

٣ ـ وأورد ابن عساكر: قال أبو المنهال نصر بن أوس الطائي: رأيت علي بن الحسين، وله شعر طويل، فقال: إلى من يذهب الناس؟

قال: قلت: يذهبون هاهنا وهاهنا!

قال: قل لهم: يجيئون إلي(٢).

وانما بادر الإمام إلى الإعلان عن إمامته ﷺ كي لا يبقى هذا المنصب شاغرا، وإن لم تكن الإمامة الحقة حاكمة ظاهرا. ومهما يكن، فإن خطورة إعلان الإمام السجّاد ﷺ عن إمامة نفسه وأهل بيته، لا تخفى على أحد ممن عرف جور بني أمية وطغيانهم وقسوتهم في مواجهة المعارضين. وقد تعددت الأحاديث الناقلة لهذا الإعلان، حسب تعدد المناسبات والظروف.

---

(١) الأمالي، للشيخ الصدوق: ٢٥٢، ح٢٧٧.
(٢) جهاد الإمام السجّاد: ٩٧، عن تاريخ مدينة دمشق (الحديث ٢١) ومختصره لابن منظور ١٧: ٥٣١.

٤ ـ وقال ﷺ: نحن أفراط الأنبياء، وأبناء الأوصياء، ونحن خلفاء الأرض، ونحن أولى الناس بالله، ونحن أولى الناس بدين الله(١).

٥ ـ وفي أعلام الدين، للحسن بن محمد الديلمي، ما نصه: قيل: تشاجر هو وبعض الناس في مسألة من الفقه، فقال ﷺ: «يا هذا، إنك لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل ﷺ في رحالنا، أفيكون أحد أعلم بالسنة منا!؟»(٢).

٦ ـ وفي كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق، باسناده، قال: قال علي بن الحسين ﷺ: إن دين الله عز وجل لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقائيس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئا مما نقوله أو نقضي به حرجا كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم(٣).

٧ ـ وفي الحديث: قال له أبو خالد الكابلي: يا مولاي! أخبرني كم يكون الأئمة بعدك؟ فقال: ثمانية، لأن الأئمة بعد رسول الله ﷺ اثنا عشر إماما، عدد الأسباط، ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدي، أئمة أبرار، من أحبنا وعمل بأمرنا كان في السنام الأعلى، ومن أبغضنا أو رد واحدا منا فهو كافر بالله وبآياته(٤).

---

(١) جهاد الإمام السجّاد: ٩٧، عن بلاغة علي بن الحسين: ٦٠.
(٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين، للحسن بن محمد الديلمي: ٣٠٠.
(٣) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق: ٣٢٤، ح٩.
(٤) كفاية الأثر للخزاز، ص ٢٤٣. جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ٩٩.

وفي عرض مثل هذه الأوصاف والواجبات ـ التي يبتعد عنها الحكام المدعون للإمامة أشواطا ومسافات طويلة ـ يعد تعريضا بهم، وتحديا لوجودهم. وأن الإمام السجّاد ﷺ لما كان يعرف الإمامة بهذا الشكل، فهو ـ بلا ريب يستبعد عنها كل أدعياء الإمامة من غير ما لياقة، فضلاً عن الاستحقاق. فأين أولئك المغمورون في الرذيلة والظلم والجهل بالدين، بل المعارضون له عقائديا وعمليا، أين هم من هذه الإمامة المقدسة!؟[1].

والمهم في الأمر أن الإمام السجّاد ﷺ بصراحته هذه، وإعلانه عن أهم ما يرتبط باستمرار العقيدة ودوامها، تمكن من تثبيت الإمامة بعد أن تعرض التشيع لأوحش الحملات في ذلك التأريخ، فأدت بالعقيدة إلى تضعضع لم يسبق له مثيل! كما أدت إلى يأس في النفوس، وتمزق بين صفوف الشيعة بما لا يتصورا فكانت مواقف الإمام السجّاد ﷺ هذه، الواضحة، والجريئة، والمكررة، سببا للملمة الكوادر من جديد، ورص الصفوف ثانية، وتكريس الجهود المكثفة، واستعادة القوى المهدورة، والتركيز على ترسيخ القواعد الأصلية من أن تحرف أو يشوبها التشويه لتكوين الأرضية الصالحة لبذر علوم آل محمد على أيدي الأئمة لا سيما الباقر والصادق ﷺ[2].

٨ ـ وعن علي بن محمد عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر عن عبدالله بن حماد عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن الحكم بن عتيبة قال: لقي رجل الحسين بن علي ﷺ بالثعلبية وهو يريد كربلاء،

---

(١) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ٩٧.

(٢) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ١٠٠.

فدخل عليه فسلم عليه، فقال له الحسين ﷺ: من أي البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أما واللّه يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل ﷺ من دارنا ونزوله بالوحي على جدي، يا أخا أهل الكوفة، أفمستقى الناس للعلم من عندنا، فعلموا وجهلنا!! هذا ما لا يكون»[١].

٩ ـ وقد تقدم مما يروى في هذا الشأن: أنّ شيخاً شامياً دنا من الإمام السجّاد ﷺ عند دخول سبايا آل محمّد ﷺ الشام وقال له: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له عليّ بن الحسين ﷺ: يا شيخ، أقرأت القرآن؟

قال: بلى ـ إلى قوله ـ:

قال عليّ ﷺ: فنحن أهل البيت الذين اختصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ، قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به، وقال: بالله إنّكم هم؟!

فقال عليّ بن الحسين ﷺ: تاللّه إنّا لنحن هم من غير شك وحقّ جدّنا رسول الله ﷺ إنّا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد»[٢].

---

(١) الوافي ـ الفيض الكاشاني ٣: ٦٠٨.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، مقتل المقرم: ٤٤٩ عن تفسير ابن كثير والآلوسي، لواعج الأشجان: ٢١٩، كتاب الفتوح ٥: ١٣٠، مع اختلاف يسير.

ي ـ تنوير الأفكار بالقرآن:

وقد شغف الإمام زين العابدين ﷺ كآبائه الكرام ـ بشكل ملفت للنظر ـ بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثّل ذلك في سلوكه اليومي وأدعيته واهتماماته، تلاوةً وتدبّراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أنّ الإمام ﷺ كان هو القرآن الناطق، والتجسيد الحيّ لكلّ آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة.

وسوف نشير إلى مدى اهتمام الإمام ﷺ بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن، بالإضافة إلى ما مرّ في البحوث السابقة.

ك ـ الترغيب في تحصيل العلم والمعرفة:

أسّس الإمام زين العابدين ﷺ حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، وكان يفيض فيها الإمام من علومه وعلوم آبائه الطاهرين، ويمرّن النابهين منهم على الفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين.

واستقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القرّاء وحملة الكتاب والسُنّة، حتّى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتّى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب[1].

وعلم الفقه بالمعنى المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكلّفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، وكان الإمام هو

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٣٣.

المرجع الوحيد في عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، وتعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، والمربي الفذّ الذي تخرّج على يديه فقهاء المدينة، وكانت مدرسته هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهيّة.

وورد عنه عليه السلام في هذا المجال:

١ ـ بالاسناد عن الحسين بن محمد عن علي بن محمد بن سعد رفعه عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج إن الله تعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدي إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وإن أحب عبيدي إلي التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القائل عن الحكماء»[١].

٢ ـ كان عليه السلام إذا جاءه طالب علم فقال: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة[٢].

---

(١) الوافي ـ الفيض الكاشاني ١: ١٥٨ . ١٥٩، ح٧٧، عن الكافي ١: ٣٥. بيان: السفك الإراقة وربما يخص بالدم. والمهج: جمع مهجة وهي دم القلب. والخوض: الدخول في الماء واللجج: جمع لجة وهي معظم الماء. والمقت: البغض. والحليم: العاقل من الحلم بمعنى العقل. والحكيم: العالم بالعلوم النظرية والعملية العامل بعلمه. قابل التقي بالجاهل لأن التقوى من آثار كمال العقل المقابل للجهل. والمراد بطالب الثواب الجزيل: العامل بما يوصله إليه. وملازمة العلماء: كثرة مجالستهم ومصاحبتهم. ومتابعة العقلاء: سلوك طريقتهم. والقول عن الحكماء: الرواية عنهم ولو بوسائط.

(٢) الخصال ـ الشيخ الصدوق: ٥١٨.

٣ ـ وعن الباقر ﷺ قال: كان زين العابدين ﷺ إذا نظر إلى الشباب الّذين يطلبون العلم أدناهم إليه، وقال: مرحباً بكم، أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين(١)..وقريب من هذا كلام عمّه الإمام الحسن ﷺ لبنيه وبني أخيه، فقال: يا بنيّ، إنكم اليوم صغار قوم، أوشك أن تكونوا كبار قوم، فعليكم بالعلم، فمن لم يحفظ منكم فليكتبه، وليجعله في بيته في نسخة(٢).

٤ ـ وروى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين ﷺ فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين ﷺ: مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفرا ولم يزدد من الله إلا بعدا(٣).

٥ ـ وذكر ﷺ في رسالة الحقوق فضل العلم والعلماء وما للعلم والعالم من الحقوق وكذا حق المتعلم، حيث قال في حقّ المعلّم:

وأمّا حقّ سائسك بالعلم:

فالتعظيم له.

والتوقير لمجلسه.

وحسن الاستماع إليه.

---

(١) بلاغة الإمام علي بن الحسين ﷺ: ١٤٨.
(٢) بلاغة الإمام علي بن الحسين ﷺ: ١٤٩.
(٣) الكافي، للشيخ الكليني ١: ٤٤، ح ٤.

والإقبال عليه[١].

والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم.

بأن تفرغ له عقلك.

وتحضره فهمك.

وتزكي له قلبك.

وتجلي له بصرك بترك اللّذات ونقص الشهوات.

وأن تعلم أنك فيما ألقى إليك رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل.

فلزمك حسن التأدية عنه إليهم.

ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلّدتها.

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله[٢].

وهذه والكثير من أمثالها توحي إلى أنّ الحركة العلمية التي قادها الإمام خلفت وراءها أجيالاً من العلماء الفطاحل، وتراثاً علمياً ضخماً، وانّ ثلّة من تلامذته مهّدوا الطريق لظهور حركة علمية جديدة تتمتع بالاستضاءة من التراث العلمي الذي خلّفه الإمام وتلامذته مع إبداع أسلوب جديد في العالم، ورائد هذه الحركة الجديدة كان الإمام عليه السلام.

---

(١) في بعض النسخ بعد قوله: «والإقبال عليه»: «وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحدا، ولا تغتاب عنده أحدا، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّا، ولا تعادي له وليّا، وإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جل اسمه، لا للناس».

(٢) رسالة الحقوق، الحق ١٥.

فقد شهدت المدينة المنورة حركة علمية بالخصوص زمن الصادقين ﷺ، وأن المحافل العلمية في المدينة كانت تشكل الدعامة القوية لنصرة التشيع وأهل البيت ﷺ ومسجد الرسول ﷺ يشهد بذلك. كما أن علماء المدينة اتجهوا إلى الأئمة ﷺ عند تواجدهم في المدينة، كالإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الكاظم ﷺ، فمثلاً اتجه علماء المدينة في أواخر القرن الأول الهجري إلى الإمام الباقر ﷺ للاخذ عنه والاختلاف إليه مع وجود رجال من الصحابة والتابعين الذين انفردوا عن خط أهل البيت، بل وشكلوا تيارا منافسا لهم، ومع ذلك لم يحظوا بالمكانة العلمية لما كان يحتلها الإمام الباقر ﷺ وغيره من الأئمة ﷺ.

قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي وهو من أعلام القرن السادس الهجري في «إعلام الورى»: «قد اشتهر في العالم تبرزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول ﷺوقبله من علم القرآن والآثار والسنن، وأنواع العلوم والحكم والآداب ما آثر عنه، واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وعرفه رسول الله ﷺ بـ«باقر العلم» على ما رواه نقلة الاخبار، عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يوشك أن تبقى إلى أن تلقى ولدا لي من الحسين يقال له: محمد، يبقر علم الدين، فإذا لقيته فاقرأه عني السلام»[1].

وقال الطبرسي: وروي عن أبي مالك، عن عبدالله بن عطاء المكي،

---

(١) روضة الواعظين، للفتال: ٢٠٢.

قال: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليهما السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه[١].

هكذا كانت المحافل العلمية في المدينة المنورة زمن الإمام الباقر عليه السلام. ومن المؤسف جداً لم يهتم مؤرخو المسلمين بتدوين تلك المحافل العلمية إلا ما ورد في بطون الكتب، وهي مبثوثة بشكل احتجاجات اضطر إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام لمحاججة خصومهم، وقد دأب أعداؤهم على إخفاء الكثير من تلك، لأنها كانت صرخات حق بوجه الظالمين من حكام الجور، وهم بنو أمية... ثم هناك مؤلفات كتبت في منتصف القرن الثاني الهجري، مثل «تاريخ المدينة» لابن زبالة الذي كان حيا سنة ١٩٩هـ، وكتب الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ تاريخاً للمدينة، وكتب المدائني المتوفى ٢١٥ هـ، وكتاب «أخبار المدينة» للزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦هـ، إلا أن جل هذه الكتب وغيرها لم تصل إلينا، حيث لعبت بها أيدي الحدثان، وأتلفتها الأزمان. لكن كل ذلك لم يفقد بصيص الامل فيما لو أراد الباحث أن يستقرئ أحوال المدينة المنورة اجتماعيا، وسياسيا، وعلميا، ودينيا، طالما كتب الأنساب والتراجم والاخبار والحديث زاخرة بفصول كثيرة ومهمة عن الصحابة والتابعين، ودورهم في الدعوة الإسلامية، ونصرتهم للرسول وأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) الإرشاد، للمفيد ٢: ١٦.

النوع الثاني: الحكمة

تقدم فيما سبق من أساليب الإصلاح عند الإمام السجّاد ﷺ من طريق الموعظة الحسنة، وقد ذكرنا في ذلك نماذج أرخها المؤرخون وكانت هي العمدة في اصلاح العامة.

وهناك طريقة ثانية، وهي الحكمة، التي ستتعرض لها في هذا الفصل وقد مارسه الإمام أيضاً ولكن بالنسبة إلى طائفة خاصة من المجتمع وهم الخواص، وهو النوع الثاني الذي ذكره الله في القرآن بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾[1]، وقبل ان نتطرق إلى أساليب الإصلاح الحكمية للإمام لابد لنا من تعريف الحكمة.

الحكمة ـ في اللغة ـ: بمعنى التفكر السليم.

وفي الاصطلاح: هو الكلام المتقن المحكم الذي يتقبّله الجميع، ولا يمكن الخدشة فيه.

وبعبارة اخرى: الحكمة هو ما له اساس مكين في العقل والفطرة الموجودة عند جميع الناس.

وأشيد بالحكمة في كلمات الأئمة ﷺ، فقال الإمام علي ﷺ: الحكمة ضالّة المؤمن.

إن الكلمة من الحكمة لتلجلج...

وبهذا يمكن التمييز بين الحكمة والموعظة، فالحكمة يغلب فيها العقل والتفكير والتعليم. بينما الموعظة هي عبارة عن مجرد تذكير.

والحكمة لتبادل المعلومات. والموعظة لمجرد التنبيه.

(١) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ١٢٥.

والحكمة تكون في مقابل الجهل. بينما الموعظة تكون في قبال الغفلة.

والحكمة تتعامل مع العقل والفطرة. بينما الموعظة تتعامل مع القلب والعاطفة.

والحكمة تضيف الحقيقة إلى الوجود الذهني. بينما الموعظة تستقي من الخلفيات المخزونة في الذهن.

والحكمة نور ينير الطريق للمسترشد. بينما الموعظة تبصير واراءة طريق فقط.

والحكمة هي لسان العقل. والموعظة هي رسالة الروح.

ولذلك يكون الواعظ المتعظ له الأثر البالغ في الموعظة، وتكون الموعظة هو الخط الواصل بين الواعظ والمتعظ، ولاجل ذلك حاول الأئمة الاستفادة منه في هداية البشر واصلاح الأمة.

واما الممارسات الحكمية التي مارسها الإمام السجّاد في الإصلاح الاجتماعي، فنتعرض لها في عدة أقسام:

أ ـ توجيه الأنظار إلى إعمال الفكر والتعقل في الأمور:

١ ـ ففي الاحتجاج، روى الشيخ الطبرسي أن الإمام زين العابدين خطب الناس فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين، المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبرا، فكفى بذلك فخرا[1].

(١) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي ٢: ٣٢.

فتأكيده ﷺ على عبارة: «من قتل صبرا»، بدلا من ذكر الشهادة إنما هو للتركيز على الاسباب التي أدت إلى استشهاد الإمام الحسين وان قتله ﷺ لم يكن في حرب متكافئة بين خصمين، بل كانت جريمة نفذت في من لم يكن له أي خيار آخر.

٢ ـ وفي التذكرة الحمدونية، لابن حمدون: قال علي بن الحسين: من مأمنه يؤتى الحذر. يكتفي اللبيب بوحي الحديث. وينبو البيان عن قلب الجاهل، ولا ينتفع بالقول وإن كان بليغا مع سوء الاستماع(١).

يقال: أُتي فلان بضم الهمزة وكسر التاء إذا أظل عليه العدو، ومنه قولهم: (من مأمنه يؤتي الحذر)، فيكون قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾(٢). أي أخذهم ودهاهم وباغتهم من حيث لم يحتسبوا من قتل كعب بن الأشرف وحصارهم، وقذف الرعب في قلوبهم.

وفي هذا تأكيد على لزوم التعقّل والتدبّر في الأمور وعواقبها قبل المباشرة فيها.

٣ ـ وفي حديث السجّاد ﷺ وقد سئل عن الكلام والسكوت أيهما أفضل قال ﷺ: لكل منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت. قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟

قال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا يجتنب سخط الله بالسكوت،

---

(١) التذكرة الحمدونية ـ ابن حمدون ١: ٢٧٣، ح ٧٠٥.
(٢) القرآن الكريم، سورة الحشر ٥٩: ٢.

إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف الكلام بالسكوت[١].

وفي كل ما تقدم فتح الباب للتفكير في القضايا المطروحة.

ونستعرض بعض النماذج التي وردت عن الإمام ﷺ في هذا الأسلوب في النقاط التالية:

ففي باب التفسير:

١ ـ روى الإمام محمّد الباقر عن أبيه ﷺ، في تفسير الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[٢]، قال: جعلها ملائمةً لطباعكم، موافقةً لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمأ والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنّه عزّوجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفون به، وتتماسكون عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثمّ قال عزوجلّ: (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) أي سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثمّ قال عزوجلّ: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعني المطر ينزله من علٍ ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثم قال عزوجلّ:

(١) التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية (مخطوط) ـ السيد عبدالله الجزائري: ٨٧.
(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٢.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى(١).

وحوت هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام أروع أدلة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والانتفاع بخيراتها وثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

٢ ـ كما استدل الإمام عليه السلام على عظمة الله تعالى بخلقه السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي تزوّد هذه الأرض بأشعتها.

فإنّ أشعّة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أنّ أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدّها وجزرها، وكذلك لأشعة سائر الكواكب، فإنّ الأثر التام في منح الحياة العامّة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في الأرض، وهذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلاّ في هذه العصور الحديثة، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام ألمح إليها في كلامه، فكان

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦. طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، والحمأ: شدّة الحرارة. وتعطبكم: أي تهلككم. والمتانة: ما صلب من الأرض وارتفع. والأوهاد: الأرض المنخفضة. والهطل: المطر الضعيف الدائم.

حقّاً هو وآباؤه وأبناؤه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم، وساهموا في تكوين الحضارة الإنسانية.

٣ ـ وأعطى الإمام ﷺ صورة متميزة عن الأمطار، وأنّها تتساقط بصورة رتيبة وفي أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة؛ لأهلك الحرث والنسل.

وبعدما أقام الإمام الأدلّة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم؛ دعا إلى عبادته وتوحيده ونبذ الأصنام والأنداد التي تدعو إلى انحطاط الفكر وجمود الوعي، لأنّها لا تضرّ ولا تنفع ولا تملك أيّ قدرة في إدارة هذا الكون وتصريف شؤونه.

٤ ـ ومن غرر كلماته في مختلف المجالات كما في تحف العقول[1]:

قال ﷺ: «الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه».

وقال ﷺ: «الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

وقال ﷺ: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».

وقال ﷺ: «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

«وقيل له: من أعظم الناس خطرا؟ فقال ﷺ: «من لم يرَ الدنيا خطرا لنفسه».

وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال ﷺ: «الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات

---

(١) راجع تحف العقول: ٢٧٨ ـ ٢٨٣.

اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد في آيةٍ من كتاب الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾»[1].

وقال بحضرته رجل: اللّهمّ أغنني عن خلقك، فقال ﷺ: «ليس هكذا، إنّما الناس بالناس، ولكن قل: اللّهمّ أغنني عن شرار خلقك».

وقال ﷺ: «لا يقلّ عمل مع تقوىً، وكيف يقلّ ما يتقبّل»؟

وقال ﷺ: «اتّقوا الكذب، الصغير منه، والكبير، في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

وقال ﷺ: «كفى بنصر الله لك أن ترى عدوّك يعمل بمعاصي الله فيك».

وقال ﷺ: «طلب الحوائج إلى الناس مذلّة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر، وقلّة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر».

وقال ﷺ: «إنّ أحبّكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدّكم خشية للّه، وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقا، وإنّ أرضاكم عند الله أسْبَغكم ـ أي أوسعكم ـ على عياله، وإنّ أكرمكم على الله أتقاكم للّه».

وقال ﷺ: «إنّ المعرفة وكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرائه، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه».

وقال ﷺ: «ابن آدم، إنّك لا تزال بخيرٍ ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعارا،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحديد ٥٧: ٢٣.

والحذر لك دثارا ـ الدثار: ما يتغطّى به النائم ـ، ابن آدم إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جلّ وعزّ، فأعدّ له جوابا».

وقال ﷺ: «لا حسب لقرشيّ ولا لعربيّ إلاّ بتواضع، ولا كرم إلاّ بتقوىً، ولا عمل إلاّ بنيّةٍ، ولا عبادة إلاّ بالتفقه، ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنّة إمام ولا يقتدي بأعماله».

وقال ﷺ: «المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدّخر له، وإمّا أن يعجّل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه».

وقال ﷺ: «إنّ المنافق ينهي ولا ينتهي، ويأمر ولا يأتي، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسي وهمّه العشاء ولم يصم، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، لا يحدّث بالأمانة للأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئا من الحقّ رياءً ولا يتركه حياءً، إن زُكي خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضرّه جهل من جهله».

وقال ﷺ: «كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر عليه»؟

وقال ﷺ: «ربّ مغرورٍ مفتونٍ يصبح لاهيا ضاحكا، يأكل ويشرب وهو لا يدري لعلّه قد سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنم».

وقال ﷺ: «إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسّع على قدر التوسّع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتداؤه إيّاهم بالسلام».

وقال ﷺ: «ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس

واغتيابهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه، وطول بكائه على خطيئته».

وقال ﷺ: «نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودّة والمحبة له عبادة».

وقال ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف الله ـ وكنف الله: حرزه ورحمته ـ، وأظلّه الله يوم القيامة في ظلّ عرشه، وآمنه من فزع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يُقَدِّم يدا ولا رجلاً حتّى يعلم أ نّه في طاعة الله قدّمها أو في معصيته، ورجل لم يعب أخاه بعيب حتّى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس».

وقال ﷺ: «ما من شيء أحبّ إلى الله بعد معرفته من عفّة بطن وفرج، وما [من] شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل».

وقال لابنه محمّد ﷺ: «افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره».

وقال ﷺ: «مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة الأمر تمام العزّ، واستنماء المال تمام المروّة، وإرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلاً أو آجلاً».

وكان عليّ بن الحسين ﷺ إذا قرأ الآية: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(١). يقول: «سبحان مَن لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلاّ

---

(١) القرآن الكريم، سورة إبراهيم ١٤: ٣٤.

المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه، فشكر عزّوجلّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفته، وجعل معرفتهم بالتقصير شكرا، كما جعل علم العالمين أنّهم لا يدركونه إيمانا، علما منه أنّه قدّر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك».

وقال ﷺ: «سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمدا، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكرا»[1].

٥ ـ كما زوّد الإمام ﷺ أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجاً يسيرون عليه، قال ﷺ:. «يا بُنيّ، أُنظر خمسةً فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا تُرافقهم في طريق.

فقلت له: يا أبه: من هم؟ قال ﷺ: إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب، يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب. وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بائعك بأكلة أو أقلّ من ذلك. وإيّاك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله، وأنت أحوج ما تكون إليه. وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك. وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله...»[2].

وقال ﷺ: «يا بُنيّ، اصبر على النوائب، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرّته عليك أكثر من منفعته له...»[3].

وقال ﷺ: «يا بُنيّ، إنّ الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك

---

(١) راجع تحف العقول: ٢٧٨ ـ ٢٨٣.

(٢) الكافي ٢: ٣٧٧، تحف العقول: ٢٧٩.

(٣) البيان والتبيين ٢: ٧٦، العقد الفريد ٣: ٨٨، مستدرك الوسائل ١٢: ٣٦٣، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٢، تهذيب الكمال ٢٠: ٣٩٩.

فحذّرني منك، واعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودّة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له»[١].

ب ـ التأكيد على البرهان والاستدلال:

ان للاستدلال اثر بالغ في تثبيت الرؤية الصحيحة عند الانسان، ومطالبة الدليل من الخصم يوجب مراجعة العقل بدقة اكبر لتقرير الموضوع سواء عند المدعي أو المنكر. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢]، فإن الاستناد إلى البرهان دليل على التعقل والتفكير الصحيح.

وهذا مما مارسه الإمام السجّاد عليه السلام في طرح طائفة من النظريات الإصلاحية في المجتمع:

١ ـ فممّا ورد عنه في القضاء والقدر أنّ رجلاً سأله: جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟

فأجابه عليه السلام: «إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئا لا يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر؛ لم يمضِ ولم يتمّ. ولكنهما باجتماعهما، ولله فيه العون لعباده الصالحين».

---

(١) العقد الفريد ٣: ٨٩، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٦٥ مع اختلاف يسير.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة٢: ١١١.

ثم قال ﷺ: «ألا إنّ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جورا، ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزوجل بعبدٍ خيرا فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب ـ في نسخة: فأبصر بهما الغيب ـ، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه»[(١)].

٢ ـ وقال ﷺ في بيان استحالة أن يوصف الله تعالى بالمحدودية التي هي من صفات الممكن: «يا أبا حمزة، إنّ الله لا يوصف بمحدوديّة، عظم ربّنا عن الصفة، فكيف يوصف بمحدوديةٍ من لا يُحَدّ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير؟»[(٢)].

٣ ـ وفي جامع الأخبار: دخل علي بن الحسين ﷺ مسجد المدينة فرأى قوما يختصمون، فقال لهم: فيما تختصمون؟ قالوا: في التوحيد، قال: أعرضوا عليّ مقالتكم، قال بعض القوم: إن الله يعرف بخلقه سماواته وأرضه، وهو في كل مكان. قال علي بن الحسين ﷺ: قولوا: نور لا ظلام فيه، وحياة لا موت فيه، وصمد لا مدخل فيه. ثم قال: من كان ليس كمثله شيء وهو السميع البصير كان نعته لا يشبه نعت شيء فهو ذاك[(٣)].

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٦٦ ـ ٣٦٧ منشورات جامعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة السادسة.

(٢) الكافي ١: ١٠٠.

(٣) بحار الأنوار ـ للعلامة المجلسي ٤: ٣٠٤.

ج ـ العمل في مجال العلم والمعرفة:

أسّس الإمام زين العابدين عليه السلام حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، وكان يفيض عليها الإمام من علومه وعلوم آبائه الطاهرين، ويمرّن النابهين من طلاب العلم والمعرفة على الفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين.

واستقطب الإمام بهذا الطريق الجمهور الأعظم من القرّاء وحملة الكتاب والسُنّة، حتّى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتّى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب[1].

وعلم الفقه بالمعنى المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكلّفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، وكان الإمام هو المرجع الوحيد في عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، وتعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، والمربي الفذّ الذي تخرّج على يديه فقهاء المدينة، وكانت مدرسته هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهيّة.

وقد قال عنه الزهري: ما رأيت هاشميا أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه[2].

وعدّه الشافعي أفقه أهل المدينة. وروى المؤرّخون: أنّ الزهري كان يعترف بالفضل والفقه للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وكان ممّن يرجع إليه في ما يهمّه من الأحكام الشرعية، ورُوي أنّه رأى في منامه كأنّ يده

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٣٣.

(٢) راجع ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودي: ٢٧.

مخضوبة، وفسّرت له رؤياه بأنّه يبتلي بدم خطأ، وكان في ذلك الوقت عاملاً لبني أُميّة، فعاقب رجلاً فمات في العقوبة، ففزع وخاف من الله، وفرّ هاربا فدخل في غار يتعبّد فيه، وكان الإمام ﷺ قد مضى حاجّا إلى بيت الله الحرام فاجتاز على الغار الذي فيه الزهري، فقيل له: هل لك في الزهري حاجة؟ فأجابهم إلى ذلك، ودخل عليه فرآه فزعا خائفا، قانطا من رحمة الله، فقال ﷺ له: «إنّي أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك».

فقال له: فرّجت عنّي يا سيّدي، الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

د ـ المواجهة مع العقائد والأفكار المنحرفة:

حاول الامويون سد باب المعرفة في وجه من ارادها بسياسات كان بعضها استمرارا للمخطط الاموي الذي بدأها أسلافهم وبعضها نتيجة لافكار اخترعوها للحيلولة دون نشر الوعي في المجتمع، فمن الاول: ظاهرة منع تدوين الحديث، ومن الثاني: الترويج للأفكار المنحرفة.

ظاهرة منع تدوين الحديث:

ان الحديث الشريف هو أرسخ وأنمى سبل المعرفة من بعد القرآن الكريم، ولا يتيسر إدراك مضامين القرآن والإسلام الحقيقي إلا من خلال كلام وسنة المعصومين ﷺ. ولا يتسنى نيل المعارف الإلهية السامية والسير على طريق الكمال الانساني إلا عن هذا الطريق. وبكلمة واحدة

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٩٨، مع اختلاف يسير، مستدرك الوسائل ١٨: ٢٢٢، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٨.

ان الحديث لهو أم لكثير من العلوم الإسلامية أو كلها. ولكن كيف وصل الحديث إلى أيدينا؟ وكيف انتهت السنة الشريفة، بوصفها الميراث النفيس للمعصومين ﷺ، إلينا؟ هذا الموضوع له حكاية طويلة يمتزج الحديث عنها مع مرارة تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية. فالأحداث السياسية التي حصلت من بعد رحيل رسول الله ﷺاستتبعت من ورائها تقلبات ثقافية واسعة. فكان منع تدوين الحديث ونشره وفرض بعض القيود في هذا المضمار سببا لتفشي ظاهرة جعل وتحريف هذا الميراث الغني. كما أدت تلك الأسباب مضافا إليها أسباب أخرى إلى أن تمتد أيدي الزيف والنفاق لغرس الأشواك في تلك الروضة المحمدية البهية ونشروا فيها الأعشاب الضارة، عبر السبل التي انتهجها أصحاب الآراء والمعتقدات الأخرى. فشوهوا وجهها الناصع بتلك الاغراض والمآرب.

أن المصادر التاريخية والشواهد الكثيرة تشير إلى أن النبي الأكرم ﷺالذي كان عليه بيان الحقائق القرآنية كان ﷺيبين عقائد الإسلام وشرائعه وأحكامه في ضوء أحاديث يحدث بها أتباعه والمؤمنين به، ولذا حثهم في مواضع متعددة على كتابة تلك الأحاديث وتدوينها ونشرها كما قال ﷺفي رواية عبدالله بن عمرو حين قال: قلنا: يا رسول الله إن نسمع منك أشياء لا نحفظها، فنكتبها؟ قال ﷺ: بلى، فاكتبوها[1].

وقال عبدالله بن عمرو: أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر

(١) مسند أحمد ٢: ٢١٥.

يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق[(١)].

بل في اعتقادنا أن ظاهرة منع تدوين الحديث قد ضيع الكثير من حديث رسول الله ﷺفي الصحاح والسنن، وروج الوضع والتحريف فيه الحديث.

وأغلب الظن انّ الوجه في منع تدوين الحديث ونشره ومدارسته ومذاكرته وكتابته بعد رسول الله ﷺ هو نفس الوجه الذي منع من كتابة الصحيفة يوم الخميس عند احتضار النبي ﷺ، فالغاية بداية ونهاية وقبل رحلته وبعدها لم تتغير، وقد ذكر المؤرخون حديث ابن عباس في ذلك.

وكان أمير المؤمنين ﷺ أول من صنف في الفقه، ودون الحديث النبوي، ولم يوافق عمر بن الخطاب على رأيه.

قال السيوطي (ت: ٩١١هـ): كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأباحتها طائفة وفعلوها، وذكر منهم: علي وابنه الحسن[(٢)]. فكتب (الجامعة) وهي من إملاء رسول الله ﷺوخط علي ﷺ، كان يبلغ سبعين ذراعا، وقد تواتر نقله في أحاديث الأئمة من أهل البيت ﷺ[(٣)].

وكان لسلمان مدونة في الحديث كما يقول ابن شهرآشوب[(٤)].

---

(١) سنن الدارمي ١: ١٢٥.
(٢) تدريب الراوي ١: ٢، أعيان الشيعة ١: ٢٧٤.
(٣) راجع تفصيل ذلك في أعيان الشيعة ١: ٢٩٠.
(٤) راجع: معالم العلماء: ١.

وعلي بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ كان من فقهاء الشيعة وخواص أمير المؤمنين.

قال النجاشي: وهو تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين، وكان كاتبا له، وحفظ كثيرا، وجمع كتابا في فنون الفقه كالوضوء والصلاة، وسائر الأبواب وكانوا يعظمون هذا الكتاب[(١)].

ومنهم: سعيد بن المسيب، أحد الفقهاء الستة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر. قال أبو أيوب.: ما رأيت أفضل منه.

وفي كتاب الكافي عن يحيى بن جرير قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي من ثقات (علي بن الحسين) عليه السلام[(٢)].

ومهما يكن من أمر فقد كان فقهاء الشيعة وعلى رأسهم أئمة المسلمين من أهل البيت صلوات الله عليهم يقودون الحركة الفكرية في العالم الإسلامي، وتنطلق هذه الحركة من المدينة المنورة بشكل خاص واستمر على ذلك بجهود الإمام السجاد عليه السلام.

ظاهرة الترويج للأفكار المنحرفة:

إن الخلافات الكلامية إنما جاءت بايعاز وتشجيع كامل من قبل السلطات الحاكمة في ذلك الزمان، ولقد انتهج بنو أمية هذا المسار، وقاموا بإثارة الخلافات الكلاميّة فيما بين المسلمين على صعيد الجدل، وهو السبيل الذي رآه الامويون مناسبا لاشغال المسلمين عن قضاياهم

---

(١) رجال النجاشي: ٥.

(٢) الكافي ١: ٤٧٢، وعنه: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٩٩.

المصيرية. فأشاعوا الأفكار المنحرفة بغية إيجاد التفرقة في صفوف المسلمين واشغالهم بما لا يضر بسلطان بني أميّة، ومن هذه المناقشات الكلامية الخلاف الذي وقع بين المسلمين حول: هل يزيد الإيمان أم لا؟ ووضعوا لأجل كلاً منهم أحاديث يدعم بها كل فريق رأيه، ويضرب الفريق الآخر، فمثلاً في قضية زيادة ونقصان الإيمان وضعوا حديث: قال رسول الله ﷺ: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، من قال غير ذلك فهو مبتدع. وضع هذا الحديث أحمد بن محمد بن حرب[١].

فكان مقابلا لهذا الحديث حديث: قال رسول الله ﷺ: من زعم أن الإيمان يزيد وينقص فزيادته نفاق، ونقصانه كفر، فإن تابوا، وإلا فاضربوا أعناقهم بالسيف. وضع هذا الحديث محمد بن القاسم الطايكاني[٢].

وكان هذا المسير الخطير له من النتائج ما جاءت بعدها من فتنة القول بخلق القرآن في عصر العباسيين، والتي كانت مدعاة لوضع أحاديث مختلفة وجاءت أحاديث كثيرة تكفر من يقول بخلق القرآن[٣].

وفتنة القول بخلق القرآن ذهب ضحيتها الكثير من المسلمين، وألهب الحكام بسببها ظهور الكثير من الأبرياء بالسياط وقتلوا بعضا منهم لمخالفتهم رأي الأمير الذي تبناه في تلك المسألة.

ولقد نجح الأمراء في اشغال الأمة الإسلامية وابعادها عن الأمور السياسية للدولة، وكذلك نجحوا في القضاء على الكثير من العلماء

---

(١) تنزيه الشريعة ١: ١٥٠.

(٢) تنزيه الشريعة ١: ١٤٩.

(٣) اللآلئ المصنوعة ١: ٤.

والأشخاص الذين خالفوهم في الرأي الذي تبنوه. وظهرت المجسمة فوضعت أحاديثها وأباطيلها وهي تصور الله وهو ينزل في ليالي الجمعة إلى الدنيا ويجلس على كرسي من نور، أو أنه تعالى يتقدم الملائكة ماشيا وهم خلفه صفا صفا، إلى الكثير من الأقاويل والافتراءات التي ابتلي بها الإسلام والمسلمون(١).

ولقد قام الأئمة عليهم السلام بمواجهة الأفكار المنحرفة بكل ما أوتوا من قوة، ولم يتوانوا عن تنوير الأفكار حتى في أحرج الظروف، ومنهم الإمام السجّاد عليه السلام، حيث واجه فكرة القول بالجبر التي كان يتبناها الطواغيت في عصره تبعا لاسلافهم، ودافع عن الحقيقة بكل جرأة وعمل على تنوير الأفكار في أحرج الظروف، ففي مجلس ابن زياد حيث توجه الطاغية إلى الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: مَن أنت؟ قال: انا عليّ ابن الحسين. فقال الطاغية: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال عليّ عليه السلام: «قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس. فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي، وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه»(٢).

فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها عليّ عليه السلام: اسكتي يا عمّة حتّى أكلّمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أبالقتل

---

(١) راجع: السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٥ والبداية والنهاية ٦: ٢٤٦ وتاريخ بغداد ٣: ٣٢٣، وج ٤: ١١٧.

(٢) الإرشاد للمفيد٢: ١١٦، وقعة الطف: ٢٦٢، ٢٦٣، أعيان الشيعة ١: ٦١٤.

تهدّدني يابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بعلي بن الحسين ﷺ وأهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم(١).

وقد تقدم ما ورد عنه في القضاء والقدر، من أنّ رجلاً سأله: جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ فأجابه ﷺ: «إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر...الخ».

ثم قال ﷺ: «ألا إنّ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جورا، ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزوجل بعبدٍ خيرا فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب ـ في نسخة: فأبصر بهما الغيب ـ، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه»(٢).

هـ ـ مواجهته ﷺ لمن حاولوا التلبس بلباس الزهد لاغفال العامة:

ومن أساليب الإمام ﷺ في مواجهة الانحرافات الفكرية: هو مقابلته لمن حاولوا التلبس بلباس الزهد لاغفال العامة وجلب الوجوه اليهم، فقابلهم بقوله ﷺ: وقد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٣ مرسلاً، واللهوف في قتلى الطفوف: ٩٥.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٦٦ ـ ٣٦٧ منشورات جامعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة السادسة.

مفارقتها أئمة الدين والشجرة النبوية إخلاص الديانة وأخذوا أنفسهم في مخايل الرهبانية وتغالوا في العلوم ووصفوا الإسلام بأحسن صفاتهم وتحلوا بأحسن السنة حتى إذا طال عليهم الأمد وبعدت عليهم الشقة وامتحنوا بمحن الصادقين رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى وعلم النجاة يتفسحون تحت أعباء الديانة تفسح حاشية الإبل تحت أوراق البزل:

ولا تحرز السبق الرزايا وان جرت ولا يبلغ الغايات إلا سبوقها

وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوه بآرائهم واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا يقتحمون في أغمار الشبهات ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب ولا أثرة علم من مظان العلم بتحذير مثبطين زعموا أنهم على الرشد من غيهم وإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام الملة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضا والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[١] فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة إلا أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبراهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب:

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى وخير حبال العالمين وثيقها[٢]

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٠٥.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، لعلي بن أبي الفتح الإربلي ٢: ٣١٠ - ٣١١.

و ـ بيان الحقوق:

وكنموذج لمعارف الإمام ﷺ وعلومه التي سجّلها لنا التأريخ: «رسالة الحقوق»، حيث تكفّلت تنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في الحياة بنحوٍ يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرقيّ والازدهار.

فقد نظر الإمام ﷺ بعمق وشمول إلى الإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه ونفسه وأسرته ومجتمعه وحكومته ومعلّمه وكلّ من يرتبط به أدنى ارتباط. ويمكن أن يقال: إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأوّل للنظام الاجتماعي الإسلامي، وهو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامّة، فإنّ الذي يفهم عمق هذه الرسالة، ويدرس بدقّة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض، يتسنّى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامي، وفلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة الإنسان الفردية والإجتماعية.

إنّ العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية لن تتحقّق ما لم يُطبّق نظام الحقوق بشكل دقيق أوّلاً، وتنظّم الأحكام والتشريعات على أساس تلك الحقوق، وفيما نعلم أنّ الإمام ﷺ قد سبق العلماء والقانونيين جميعا في دنيا الإسلام، بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز أُصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع.

وقد كتب الإمام زين العابدين ﷺ هذه الرسالة العظيمة واتحف بها بعض أصحابه، ورواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفيّة،

المعروف بأبي حمزة الثمالي، تلميذ الإمام ﷺ، كما رواها عنه كبار علماء الأمة بأسانيدهم كالحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني (ت: ٣٣٦هـ) في «تحف العقول» والمحدّث الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) في كتابه «الخصال»، وثقة الإسلام الكليني (ت: ٣٢٩هـ) كما نقله عنه السيد ابن طاووس في «فلاح السائل» عن كتاب «الرسائل»[1] بإسناده إلى مولانا زين العابدين ﷺ وهو يدل على كون الحديث مسندا عن الكليني أيضا. إلا أن كتاب (رسائل الأئمة) للشيخ الكليني مفقود، وابن طاووس نقل ذلك عنه بحذف الإسناد، وهذه الكتب من المصادر القديمة الموثوقة.

والإمام ﷺ قبل بيانه للحقوق يشير إلى أنّ هناك حقوقا محيطةً بالإنسان، ولا بدّ له من معرفتها، ثمّ يبيّن أكبر الحقوق وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده، ثمّ يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تجاه نفس الإنسان، فيبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الآلهي، ثمّ ينتهي إلى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشتمل على قادة ومقودين ورعاة ورعية، مع بيانه لأنواع الأئمّة والمأمومين ودرجاتهم، ثمّ يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام والأسرة وأعضائها، ثمّ من تشتمل عليه الأسرة من الموالي والجواري، ثمّ سائر ذوي الحقوق كالمؤذّن والإمام في الصلاة، والجليس والشريك والغريم

---

(١) وهو كتاب «رسائل الأئمة»، للشيخ الكليني رحمه الله. وهو من الكتب المفقودة في العصر الحاضر، جراء ما حدث من الأحداث على تراث الشيعة من قبل أعداء الدين في العصور الغابرة، وقد كان الكتاب في متناول علمائنا في القرون الاولى، ونقلوا منه بعض مكاتيب الأئمة. وللتفصيل راجع كتاب: «مكاتيب الأئمة»، للشيخ الاحمدي، المطبوع مؤخرا في ثلاثة مجلدات.

والخصم والمستشير والمشير، والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير.. حتّى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثمّ حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية وفي النظام السياسي الذي يخضع له، وإن لم يكن من أهل ملّته ودينه(١).

---

(١) تصدّى جملة من العلماء والقانونيّين لشرح هذه الرسالة الفريدة وبشتّى اللغات وعلى مختلف المستويات، ومنها:
- روضة المتقين شرح الفقيه، للمحدث المولى محمد تقي المجلسي الأول (ت: ١٠٧٠هـ) في (ج ٥، ص ٥٠٠ ـ ٥٢٧).
- مكارم الأخلاق، للطبرسي صاحب مجمع البيان (ق ٦) (ص ٤٥٥).
- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي محمد باقر بن محمد تقي (ت: ١١١٠هـ) في الجزء (٧٤).
- عوالم العلوم والمعارف، للشيخ عبدالله البحراني (ق ١٢) في الجزء (١٨).
- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي (ج ٤ ص ٢١٥ ـ ٢٣٠).
- بلاغة علي بن الحسين عليه السلام، للشيخ جعفر عباس الحائري (ص ١٣٠ ـ ١٦٣).
- الإمام زين العابدين عليه السلام، للسيد عبد الرزاق المقرم الموسوي (ت: ١٣٩١هـ) (ص ١١٨ ـ ١٣٥).
- حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي (ت: ١٤٣٥هـ) (ص ٤٧٧ ـ ٥١١).
- شرح رسالة الحقوق، للخطيب السيد حسن القبانچي الحسيني، في مجلدين، طبعا في النجف، وفي قم (١٤٠٦) وبيروت.
ومن شاء التفصيل والاستضاءة بأنوارها ـ أكثر ممّا مرّ ـ فليراجعها.
مصادر رسالة الحقوق:
ان أقدم من نقل هذه الرسالة هو ابن شعبة الحراني (ت: ٣٣٦هـ) في كتابه «تحف العقول»، ص ٢٥٥، تحت عنوان: «رسالته عليه السلام المعروفة برسالة الحقوق».
كما رواها الشيخ الجليل الصدوق (ت: ٣٨١هـ) في كتابه: الخصال، ج ٢، ص٥٦٤، ح١، بالاسناد عن علي بن أحمد بن موسى رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي (٢) قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري قال: حدثنا خيران بن داهر (٢) قال: حدثني أحمد بن علي بن سليمان الجبلي، عن أبيه، عن محمد بن علي (٢)، عن محمد بن فضيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: هذه رسالة علي بن الحسين عليه السلام إلى بعض أصحابه....=

بيان الحقوق بصورة إجمالية:

قال ﷺ: إعلم ـ رحمك الله ـ أنّ لله عليك حقوقا محيطة بك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، وآلة تصرّفت بها، بعضها أكبر من بعض.

=ورواها في كتابه الآخر: من لايحضره الفقيه ٢: ٦١٨، في باب الحقوق، الحديث ٣٢١٤، وفيه: روى إسماعيل بن الفضل، عن ثابت بن دينار عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «حق الله الأكبر...» إلى آخر الحديث.

ورواها الشيخ الصدوق أيضاً في كتاب «الأمالي»، ص ٤٥١، في المجلس ٥٩، مجلس يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة، الحديث: ٦١٠، وفيه: حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي (رضي الله عنه)، قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى (رضي الله عنه)، قال: حدثنا محمد بن جعفر الكوفي الأسدي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا عبدالله بن أحمد، قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل، عن ثابت بن دينار الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: حق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عز وجل.... الحديث.

ورواها أيضاً ثقة الإسلام الكليني (ت:٣٢٩هـ) كما في المنقول عن ابن طاووس في فلاح السائل من قوله: (روينا بإسنادنا في كتاب الرسائل عن محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده إلى مولانا زين العابدين(عليه السلام» وهو يدل على كون الحديث مسندا عن الكليني أيضا. إلا أن كتاب (رسائل الأئمة) للشيخ الكليني مفقود، وابن طاووس نقل ذلك عنه بحذف الإسناد.

هذه جملة من المصادر الاساسية التي أوردت الحديث بصورة شبه كاملة مع بعض الاختلاف من حيث التقديم والتأخير في بعض الفقرات والكلمات.

ويجدر هنا الإشارة إلى ان هذه المصادر الأساسية قد قام بتحقيقها جماعة من أجلّاء علمائنا رحمهم الله تعالى، ممّا يوجب الاطمئنان إلى صحتها وامكان الاعتماد على ما ورد فيها. والى جانب ذلك هناك العشرات من المصادر الثانوية التي تكفلت نقل هذا الحديث، ومن أهم المصادر ما نقله المحدث النوري رحمه الله (ت: ١٢٢٠هـ) في كتاب «مستدرك الوسائل» ١١: ١٥٤ ـ ١٦٠، الحديث. واقدم المصادر التي نقلت هذه الرسالة هو كتاب «تحف العقول»، لابن شعبة الحراني رحمه الله (ت: ٣٣٦هـ).

وأكبر حقوق الله عليك: ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقّه الذي هو أصل الحقوق ومنه تُفرّع.

ثم ما أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقّا، ولسمعك عليك حقّا، وللسانك عليك حقّا، وليَدِك عليك حقّا، ولرجلك عليك حقّا، ولبطنك عليك حقّا، ولفرجك عليك حقّا، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال.

ثم جعل عزوجل لأفعالك عليك حقوقا؛ فجعل لصلاتك عليك حقّا، ولصومك عليك حقّا، ولصدقتك عليك حقّا، ولهديك عليك حقّا، ولأفعالك عليك حقّا.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعّب منها حقوق.

فحقوق أئمتك ثلاثة: أوجبها عليك حقّ سائسك بالسلطان، ثم حقّ سائسك بالعلم، ثم حقّ سائسك بالملك، وكلّ سائس إمام[1].

وحقوق رعيّتك ثلاثة، أوجبها عليك: حقّ رعيتك بالسلطان، ثم حقّ رعيتك بالعلم؛ فإن الجاهل رعيّة العالم، وحقّ رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيمان.

وحقوق رحمك كثيرة متّصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة؛ فأوجبها عليك: حقّ أمّك، ثم حقّ أبيك، ثم حقّ ولدك، ثم حقّ أخيك، ثم

(١) السائس: القائم بأمر والمدبّر له.

الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثم حقّ مولاك المنعم عليك، ثم حقّ مولاك الجارية نعمتك عليه، ثم حقّ ذي المعروف لديك، ثم حقّ مؤذّنك بالصلاة، ثم حقّ إمامك في صلاتك، ثم حقّ جليسك، ثم حقّ جارك، ثم حقّ صاحبك، ثم حقّ شريكك، ثم حقّ مالك، ثم حقّ غريمك الذي تطالبه[١]، ثم حقّ غريمك الذي يطالبك، ثم حقّ خليطك[٢]، ثم حقّ خصمك المدّعي عليك، ثم حقّ خصمك الذي تدّعي عليه، ثم حقّ مستشيرك، ثم حقّ المشير عليك، ثم حقّ مستنصحك، ثم حقّ الناصح لك، ثم حقّ من هو أكبر منك، ثم حقّ من هو أصغر منك، ثم حقّ سائلك، ثم حقّ من سألته، ثم حقّ من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو فعل، عن تعمّد منه أو غير تعمد منه، ثم حقّ أهل ملّتك عامة، ثم حقّ أهل الذمّة[٣].

ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب. فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفّقه وسدّده.

---

(١) لم نقف على تفاصيل (حق الغريم الذي تطالبه) في النسخ المتوفرة من هذه الرسالة، ولعلها كانت مذكورة ضمن حق الغريم المذكور بالرقم ٣٥، فإن الغريم كما يطلق على المديون فانه يطلق على الدائن أيضا، وربما كان موجودا في بعض النصوص القديمة بصورة منفردة، ولتفردها لم تنقل عنها في النسخ التي وصلتنا بين أيديناواعرض الناسخون عن اثباتها في المصادر المتوفرة، نظير ما حصل بالنسبة إلى (حق الحج) الذي اختصت بنقله رواية الخصال. (راجع الرقم ١٠من رسالة الحقوق).

(٢) الخليط: المشارك في حقوق الملك كالشرب والطريق ونحو ذلك. وخليط القوم: مخالطهم. (لسان العرب، ج ٧، ص٢٩١).

(٣) في بعض النسخ: «ثم حقّ أهل ملتك عليك، ثم حقّ أهل ذمتك».

النوع الثالث: المجادلة بالتي هي أحسن

وهذا أسلوب ثالث من الأساليب التي مارسها الإمام في إصلاح المجتمع، وهو تطبيق لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١). وغالبا ما استفاد الإمام من هذا الأسلوب في المواجهة مع المخالفين، لأن الجدل في الاساس هو عملية محاولة اقناع الخصم بالادلة التي يتعامل معها في حياته غالبا حتى لو لم تكن تلك الاسس هي ما يعتمد عليها المجادل نفسه، كالأساليب التي مارسها الإمام الرضا في قبال المسيحيين حيث قال عليه السلام طارحا السؤال على الجاثليق: هل ان عيسي كان يصلي؟

فأجاب الجاثليق: وهل يعقل لعيسى ان يترك الصلاة!؟؟

فقال عليه السلام: فلمن كان يصلي إذا كان هو الله نفسه؟

فان كان يصلي فاذن هو عبد لله، لأن العبادة هي بمعنى العبودية.

وهكذا فقد استفاد الإمام من عقيدة المسيحي نفسه. فبدأ الحديث قائلاً: إن جميع حياة المسيح كانت حسنة الا انه لم يكن يتعبد ولا يصلي.

فانبرى المسيحي متعجبا من هذا الكلام وقال: ان عيسى كان من اعبد أهل زمانه وعبادته كانت اكثر من الجميع.

فقال الإمام: ان كان عابدا حقا فهو اذن عبد لله، لا انه ابن الله.

وجرى مثل ذلك فيما حكاه القرآن لإرشاد الكفار حيث تسائل

---

(١) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ١٢٥.

أحدهم قائلاً: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ فاجابه القرآن الكريم قائلاً: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(١).

ومجادلات المعصومين كانت جميعها بالتي هي احسن، وقد جمع العلاّمة الطبرسي جملةً من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر: الرسول ﷺ والزهراء عليها السلام والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام في كتابه المعروف بالاحتجاج، ومنها: احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام.

ونشير هنا إلى الإصلاحات التي قام بها الإمام زين العابدين عليه السلام بأسلوب المجادلة بعدة طرق:

أ ـ احتجاجات الإمام بطريق المناظرة:

إنّ فن الاحتجاج والمناظرة العلمية فنّ جليل؛ لما ينبغي أن يتمتّع به المناظر من مقدرة علمية وإحاطة ودقّة ولياقة أدبية خاصة.

وقد تميّز أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بهذا الفنّ، واستطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم وإثبات جدارتهم العلمية بنحو لا يدع مجالاً للريب في أنّهم مؤيّدون بتأييد ربّاني، وكما عبّر بعض أعدائهم: أنّهم أهل بيتٍ قد زُقّوا العِلمَ زقّا.

١ ـ جاء رجل من أهل البصرة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: يا عليّ بن الحسين، إنّ جدّك عليّ بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا عليّ بن الحسين دموعا حتّى امتلأت كفّه منها، ثمّ ضرب بها على الحصى، ثم قال: «يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل عليّ مؤمنا، ولا قتل مسلما، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا

---

(١) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٧٩.

الإسلام، فلمّا وجدوا على الكفر أعوانا أظهروه، وقد علمت صاحبة الجدب[١] والمستحفظون من آل محمّد صلى الله عليه وآله أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبيّ الأمّي، وقد خاب من افترى».

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا عليّ بن الحسين، إنّ جدّك كان يقول: «إخواننا بغوا علينا».

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[٢]؟، فهم مثلهم، أنجى الله عزّوجلّ هودا والذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم»[٣].

٢ ـ وعن أبي حمزة الثمالي قال: دخل قاضٍ من قضاة أهل الكوفة على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له: جعلني الله فداك، أخبرني عن قول الله عزوجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[٤].

قال له عليه السلام: «ما يقول الناس فيها قِبَلَكمْ؟».

قال: يقولون إنّها مكة.

فقال عليه السلام: «وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة؟».

قال: فما هو؟

قال عليه السلام: «إنّما عنى الرجال».

---

(١) كذا في النسخ والمصدر، ولعله كناية عن صاحبة الجمل والهودج.
(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٦٥.
(٣) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤٠.
(٤) القرآن الكريم، سورة سبأ ٣٤: ١٨.

قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

فقال عليه السلام: «أو ما تسمع إلى قوله عزوجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾[١] وقال: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾[٢] وقال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[٣] أفيسأل القرية أو الرجال أو العير؟

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك، فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال عليه السلام: «أوما تسمع إلى قوله: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾؟».

قال عليه السلام: «آمنين من الزيغ»[٤].

٣ ـ وروي: أنّ زين العابدين عليه السلام مرّ بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى، فوقف عليه السلام عليه ثم قال: «أمسك، أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غداً؟».

قال: لا.

قال: «أفتحدّث نفسك بالتحوّل والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟» قال: فأطرق مليّا ثم قال: إنّي أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: «أفترجو نبيّا بعد محمّد صلى الله عليه وآله يكون لك معه سابقة؟».

---

(١) القرآن الكريم، سورة الطلاق ٦٥ : ٨.
(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف ١٨ : ٥٩.
(٣) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢ : ٨٢.
(٤) الاحتجاج، للطبرسي ٢ : ٤١.

قال: لا.

قال: «أفترجو دارا غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟».

قال: لا.

قال: «أفرأيت أحدا به مسكة عقلٍ رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبيّا بعد محمّد، ولا دارا غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس؟!».

قال: فلمّا ولّي ﷺ قال الحسن البصري: من هذا؟

قالوا: عليّ بن الحسين.

قال: أهل بيت علم. فما رُؤيَ الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس(١).

٤ ـ وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت عليّ بن الحسين ﷺ يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا تاب الله على آدم واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلاّ في الأرض، وذلك بعد ما تاب الله عليه، قال: وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها في الحلّ، ثمّ يغتسلان إعظاما منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت.

قال: فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكرا وعشرون أنثى، فولد له في كلّ بطن ذكر وأنثى، فأول بطن ولدت حواء «هابيل» ومعه جارية يقال لها: «أقليما»، قال: وولدت في البطن الثاني «قابيل» ومعه جارية يقال

(١) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤٣.

لها: «لوزا»، وكانت لوزا أجمل بنات آدم، (قال): فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: أُريد أن أُنكحك يا هابيل لوزا، وأُنكحك يا قابيل أقليما.

قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحني أخت هابيل القبيحة، وتنكح هابيل أُختي الجميلة؟

قال: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا وخرج سهمك يا هابيل على أقليما زوّجت كلّ واحد منكما التي خرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا، قال: فخرج سهم هابيل على لوزا أُخت قابيل، وخرج سهم قابيل على أقليما أُخت هابيل، قال: فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك».

قال: فقال له القرشي: فأولداهما؟

قال: نعم.

قال: فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال عليّ بن الحسين: «إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله».

ثمّ قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «لا تنكر هذا، إنّما هي الشرايع جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له؟! فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك»[1].

٥ ـ روي عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام قال: «لمّا قتل الحسين بن

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤٣ ـ ٤٤.

عليّ ﷺ أرسل محمّد بن الحنفية إلى عليّ بن الحسين ﷺ فخلا به ثم قال: يابن أخي! قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصيّة والإمامة من بعده لعليّ بن أبي طالب ﷺ ثمّ إلى الحسن، ثمّ إلى الحسين، وقد قتل أبوك (رضي الله عنه) وصُلّي عليه ولم يوصِ، وأنا عمّك وصنو أبيك، وأنا في سنّي وقدمتي أحقّ بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصيّة والإمامة ولا تخالفني.

فقال له عليّ بن الحسين ﷺ: «اتق الله ولا تدّعِ ما ليس لك بحقّ، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إلى قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إلى في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله ﷺ عندي، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإنّ الله تبارك وتعالى أبي إلاّ أن يجعل الوصيّة والإمامة إلاّ في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك». وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما تقدم[1].

٦ ـ وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين ﷺ قال: «نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض ولو لا ما في الأرض منّا؛ لساخت الأرض بأهلها».

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤٦ ـ ٤٧.

ثمّ قال: «ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة للّه فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله، ولو لا ذلك لم يعبد الله»(١).

٧ ـ المناظرة مع ابن زياد في دار إمارة الكوفة:

روى المحدثون أن ابن زياد التفت إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وقال له: مَن أنت؟ فقال عليّ ابن الحسين فقال: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال عليّ عليه السلام: «قد كان لي أخ يسمّى علياً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه»(٢).

فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها عليّ عليه السلام: اسكتي يا عمّة حتّى أكلّمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أبالقتل تهدّدني يابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم(٣).

---

(١) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) الإرشاد للمفيد٢: ١١٦، وقعة الطف: ٢٦٢، ٢٦٣، أعيان الشيعة ١: ٦١٤.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٣ مرسلاً، واللهوف في قتلى الطفوف: ٩٥.

ب ـ تنوير الأذهان بتوضيح الحقائق بالمواجهة والمحادثة وجهاً لوجه:

وقد مارس الإمام السجاد هذا الأسلوب في الشام عند مواجهة الشيخ الشامي الذي دنا من الإمام السجّاد عليه السلام عند دخول سبايا آل محمّد صلى الله عليه وآله وقال له: «الحمد الله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، أقرأت القرآن؟

قال: بلى.

إلى ان قال: قال عليّ عليه السلام: فنحن أهل البيت الذين اختصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ، قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به، وقال: بالله إنّكم هم؟!

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: تاللّه إنّا لنحن هم من غير شك وحقّ جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد»[1].

ج ـ الوعظ بأسلوب المماشاة مع الخصم:

ومن مظاهر هذا الأسلوب، ما ذكره المؤرّخون من أنّه لمّا قدم عليّ بن الحسين عليه السلام وقد قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام استقبله إبراهيم بن

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، مقتل المقرم: ٤٤٩ عن تفسير ابن كثير والآلوسي، لواعج الأشجان: ٢١٩، كتاب الفتوح ٥: ١٣٠، مع اختلاف يسير.

طلحة بن عبيد الله وقال: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟ وهو مغطٌّ رأسه وهو في المحمل، فقال له عليّ بن الحسين: «إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذّن ثمّ أقم»[١].

لقد كان جواب عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ الصراع إنّما هو على الدين الذي تتجلّى مظاهره في الأذان وتكبير الله تعالى والإقرار بوحدانيّته وليس الصراع صراعاً على الحكم والسلطان، وأنّ استشهاد الحسين والصفوة من أهل بيته وأصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمّدي وثباته أمام جاهلية بني أميّة وعتوّها وطغيانها وطغيان من حذا حذوهم ممّن لم يذوقوا حلاوة الإيمان والإسلام.

٨ ـ وروى أحمد بن علي الطبرسي في الاحتجاج، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه سئل عن النبيذ؟ فقال: قد شربه قوم وحرمه قوم صالحون، فكان شهادة الذين دفعوا بشهادتهم شهواتهم أولى أن تقبل من الذين جروا بشهادتهم شهواتهم[٢].

٩ ـ وبالإسناد عن أحمد بن محمد عن ابن أبي نجران عن صباح الحذاء عن رجل عن أبي حمزة قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: يا ثمالي إن الصلاة إذا أقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام فيقول: هل ذكر ربه؟ فإن قال: نعم ذهب وإن قال: لا ركب على كتفيه فكان إمام القوم حتى ينصرفوا قال: فقلت جعلت فداك، ليس يقرأون القرآن؟ قال: بلى ليس حيث تذهب يا ثمالي إنما هو الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[٣].

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٧٧.
(٢) وسائل الشيعة (ط: آل البيت) ٢٥: ٣٥٦، ح ٣٢١١٤.
(٣) وسائل الشيعة (ط: آل البيت) ٦: ٧٥، ح ٧٣٨٧.

د ـ الوعظ بأسلوب المقارنة:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجّاد في توعية المجتمع: مقابلة دعاوى المنحرفين بأسلوب المقارنة، وإليك بعض النماذج من ذلك:

١ ـ روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار، قال: إنه لما جيئ بالإمام علي بن الحسين أسيرا في مجلس يزيد، وأمر يزيد خطيب البلاط بأن يعلو المنبر ويطعن في أهل البيت وفعل الخطيب ما أمر به، قال علي بن الحسين ﷺ: يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئا... قال: فلم يزالوا به حتى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس، أعطينا ستاً وفضّلنا بسبعٍ... ولم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام فلما قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر قال علي: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله. التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته؟[1].

فالتفاته من فوق المنبر إلى يزيد وقوله: محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد؟

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٥: ١٣٩.

كان لتوعية المجتمع المغفل الذي أعلن له بأن الحسين خارجي.

٢ ـ روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار، عن السيد وغيره، قال: خرج زين العابدين عليه السلام يوما يمشي في أسواق دمشق فاستقبله المنهال بن عمرو فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشردون، فانا لله وإنا إليه راجعون مما أمسينا فيه، يا منهال[١].

هـ ـ الوعظ بأسلوب المقابلة الصريحة:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجّاد في توعية المجتمع: مقابلة دعاوى المخالف بالصراحة، وإليك نماذج ذلك:

١ ـ عن السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز: أن يزيد خاطب الإمام عليه السلام قائلاً: يا علي بن الحسين «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم». فقال علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ: كلا، ما هذه فينا نزلت، إنما نزلت فينا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[٢]. فنحن الذين لا نأس على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا منها[٣].

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٥: ١٤٣.
(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد: ٥٧: ٢٢.
(٣) مدينة المعاجز ـ للسيد هاشم البحراني ٤: ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

٢ ـ وعن محاسن البرقي: بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله ﷺ عنده، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدده وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه ﷺ: أما بعد، فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[١]. فانظر أينا أولى بهذه الآية[٢].

٣ ـ وفي الاحتجاج: روي أن زين العابدين ﷺ مر بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى فوقف ﷺ عليه ثم قال: امسك. أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غدا؟

قال: لا.

قال: أفتحدث نفسك بالتحوّل والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟ (قال): فأطرق مليّاً ثم قال: إني أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: أفترجو نبيا بعد محمد ﷺ يكون لك معه سابقة؟

قال: لا.

قال: أفترجو دارا غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟

قال: لا.

قال: أفرأيت أحدا به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنك

(١) القرآن الكريم، سورة الحج ٢٢: ٣٨.
(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٦: ٩٥.

على حال لا ترضاها ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبيا بعد محمد، ولا دار غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس؟!!.

قال: فلما ولى ﷺ قال الحسن البصري: من هذا؟ قالوا: علي بن الحسين. قال: أهل بيت علم. فما رئي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس[١].

و ـ الوعظ بأسلوب التوبيخ:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجّاد في توعية المجتمع: أسلوب التوبيخ، وإليك بعض النماذج من ذلك:

١ ـ خرج علي بن الحسين ﷺ على أهل الكوفة من الفسطاط وأخذ بتوبيخهم على غدرهم ونكثهم. فيما رواه حذيم بن شريك الأسدي، قال: خرج زين العابدين ﷺ إلى الناس وأومأ إليهم أن اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال:. أيها الناس من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين، المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبرا، فكفى بذلك فخرا. أيها الناس، ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ قاتلتموه وخذلتموه؟!! فتبا لكم ما قدمتم لأنفسكم وسوء

(١) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي ٢: ٤٣.

لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ، يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي.

قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضا: هلكتم وما تعلمون.

فقال علي بن الحسين، رحم الله امرءا قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله فإنا حرب لحربك، سلم لسلمك، لنأخذن ترتك وترتنا، عمن ظلمك وظلمنا.

فقال علي بن الحسين : هيهات هيهات!! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل كلا ورب الراقصات إلى منى، فإن الجرح لما يندمل!! قتل أبي بالأمس، وأهل بيته معه، فلم ينسني ثكل رسول الله ﷺ، وثكل أبي وبني أبي وجدي شق لهازمي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري. ومسألتي: أن لا تكونوا لنا ولا علينا[1].

٢ ـ وروى الشيخ الكليني في الكافي، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبي عبدالله، عن عبد الرحمن بن محمد، عن يزيد بن حاتم قال: كان لعبد الملك بن مروان

(١) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي ٢: ٣١ ـ ٣٢.

عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها وإن علي بن الحسين عليه السلام أعتق جارية ثم تزوجها فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليه السلام أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت، والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر واستنجبه في الولد وأنه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله مرتقىً في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت متى أراد الله عز وجل مني بأمر ألتمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنةٍ، ومن كان زكيا في دين الله فليس يخل به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلمٍ، إنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشدّ ما فخر عليك علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا بني لا تقل ذلك، فإنه ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر، إن علي بن الحسين عليه السلام يا بنيّ يرتفع من حيث يتّضع الناس[1].

ز ـ الوعظ بأسلوب الترهيب عن معاونة الظالمين:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجّاد في توعية المجتمع:

(١) الكافي، للشيخ الكليني ٥: ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

أسلوب الترهيب من الارتباط بمن لا يدعو إلى الله والحق، ومن الاستماع إليهم، وهم دعاة السوء، وأدعياء العلم، من علماء البلاط، الذين ركنوا إلى الظالمين وآزروهم. وقد كان ﵇ يدأب على تربية الأمة وتهذيبها، وتقديم الإرشادات إليها، وتجلى ذلك في وصاياه المأثورة التي جمعت بين معالم الهداية والحكمة، ووسائل الحذر والوقاية، وبث الأمل والقوة، وبعث النشاط والهمة في نفوس أصحابه، وإليك بعض النماذج من ذلك:

روى الفيض الكاشاني في الوافي، ما نصه: قال أبو حمزة: وقرأت في صحيفة كان فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين ﵉ وكتبت ما فيها ثم أتيت علي بن الحسين ﵉ فعرضت ما فيها عليه فعرفه وصححه وكان ما فيها «بسم الله الرحمن الرحيم كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين.

أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا المائلون إليها، المفتتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد، وهشيمها البائد غدا[(١)].

وروى إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي في الغارات، عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير قد جلسا فذكرا عليا فنالا منه[(٢)]. فبلغ ذلك علي بن الحسين ﵉ فجاء حتى وقف

---

(١) الوافي، للفيض الكاشاني ٢٦: ٢٤٥.

(٢) الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ٢: ٥٧٧، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٣٧٠: وكان الزهري من المنحرفين عنه ﵇ وروى جرير بن عبد الحميد عن=

عليهما فقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم الله لأبي على أبيك، وأما أنت يا زهري فلو كنت أنا وأنت بمكة لأريتك كن[١] أبيك[٢].

ح ـ الوعظ بأسلوب المناقشة والتحاكم:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجّاد في توعية المجتمع: أسلوب التحاكم، ويظهر ذلك مما روي عن أبي جعفرٍ الباقر ﷺ قال: «لمّا قتل الحسين بن عليّ ﷺ أرسل محمّد بن الحنفية إلى عليّ بن الحسين ﷺ فخلا به ثم قال: يابن أخي! قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصيّة والإمامة من بعده لعليّ بن أبي طالب ﷺ ثمّ إلى الحسن، ثمّ إلى الحسين، وقد قتل أبوك (رضي الله عنه) وصُلّى عليه ولم يوصِ، وأنا عمّك وصنو أبيك، وأنا في سنّي وقدمتي أحقّ بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصيّة والإمامة ولا تخالفني.

=محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة....الحديث. ونقله المجلسي (ره) في المجلد الحادي عشر من البحار في باب أحوال أهل زمان علي بن الحسين ﷺ، ص ٤١ ـ ٤٢.

(١) في بعض النسخ: «كير»، وفي بعضها: «بيت»، والكن: بمعنى البيت. ففي النهاية: في حديث الاستسقاء: فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك، والكن: ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن، وقد كننته أكنه كنا والاسم: الكن، وصرح الفيروزآبادي أيضاً بأن الكن بمعنى البيت، وعليه ينطبق ما ورد في الطبعة الأولى بمصر من شرح النهج من كون النسخة: (بيت أبيك) ومع ذلك من المحتمل ضعيفا أن يكون ما في الطبعة الحديثة بمصر صحيحا على أن يكون المراد به إشارة إلى رداءة شغل أبيه من كونه حدادا، فإن الكير في اللغة بمعنى الزق الذي ينفخ به النار. لكن هذا الاحتمال لا يذهب إليه إلا بعد ثبوت أن أباه كان حدادا ولم يثبت. فراجع كتب التراجم.

(٢) الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ٢: ٥٧٧.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «اتق الله ولا تدّعِ ما ليس لك بحق، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إلى قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إلى في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإنّ الله تبارك وتعالى أبي إلاّ أن يجعل الوصيّة والإمامة إلاّ في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك».

قال الباقر عليه السلام: «وكان الكلام بينهما وهما يومئذٍ بمكة، فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام لمحمّد: ابدأ فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سله، فابتهل محمّد في الدعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: أما إنّك يا عمّ لو كنت وصيّا وإماما لأجابك». إلى آخر ما قدمنا تفصيله[١].

ط ـ الوعظ بمخاطبة الضمائر الحيّة:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجّاد في توعية المجتمع: أسلوب مخاطبة الضمائر، ويظهر ذلك عندما تبنّى الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل أهل البيت ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ سياسة إسقاط الأقنعة التي كان الأمويون قد غلّفوا سياستهم الكالحة الخطيرة

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٦ ـ ٤٧.

بها، وحمّلوا الأُمّة كذلك مسؤوليتها التاريخية أمام الله والرسالة الإسلامية.

ومن هنا نلاحظ بوضوح أنّ الخطابات والتصريحات التي صدرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل أهل البيت عليهم السلام في العراق قد انصبّت على مخاطبة ضمائر الناس، وإلفات نظرهم إلى جسامة الخطر الذي حاق بهم، وإلى حجم الجريمة التي ارتكبها بنو أُمية بحقّ رسالة الله تعالى.

١ ـ ففي الشام ركزت كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام على التعريف بالسبايا ذاتهم، وأنّهم آل الرسول صلى الله عليه وآله، ثم فضح الحكم الأُموي وتعريته أمام أهل الشام الذين أضلّهم بنو أُميّة عن معرفة الواقع.

٢ ـ وقبل دخوله المدينة عمل الإمام زين العابدين عليه السلام على إثارة الرأي والوعي العام الإسلامي، وتوجيهه إلى محنة الرسالة التي تمثّلت في فاجعة الطّف، فقد كان خطابه الذي ألقاه في الناس يستبطن هذه المعاني.

لقد أعطت تجربة كربلاء مؤشّراً عملياً على أنّ الأُمّة المسلمة في حالة ركود وتبلّد، ممّا جعل الروح الجهادية لديها في حالة غياب إن لم نقل إنّها كانت معدومة نهائياً، ومن أجل ذلك فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام ـ باعتباره الإمام الذي انتهت إليه مرجعية الأُمّة ـ أخذ تلك الظاهرة بعين الاعتبار، ولذلك مارس دوره من خلال العمل على تنمية التيار الرسالي في الأُمّة، وتوسيع دائرته في الساحة الإسلامية، والعمل على رفع مستوى الوعي الإسلامي، والانفتاح العملي على قطاعات

الأمّة المختلفة، وخلق قيادات متميزة تحمل الفكر الإسلامي النقي، لا الفكر الذي كان يُشيعه الحكم الأموي.

ولهذا النهج مبرّراته الموضوعية، فإنّ قوى الانحراف عبر سنوات عديدة من سيطرتها على مراكز التوجيه الفكري والاجتماعي استطاعت صنع أجيال ذائبة في الانحراف، الأمر الذي أصبح فيه من المتعذّر على التيار الإسلامي السليم مواجهتها، بالنظر لضخامة تلك القوى، وتوفّر الغطاء الواقي لها من مؤسسات وقدرات؛ ولتعرّض التيار الإسلامي ذاته للخسائر المتتالية.

ومن هنا، فإنّ أمر تكثيف التيار الإسلامي وإثرائه كمّاً وكيفاً مسألة لا تقبل التأجيل، مادام أمر بقاء الرسالة حيّة ـ فكراً وعملاً ـ متوقّفاً على بقاء سلامة هذا التيار في كيان الأمّة وقواعدها الشعبية، طالما لم يتسنّ له تسلّم المرجعية العامة في الإدارة والحكم.

النوع الرابع: الدعاء والمناجاة

الدعاء ـ في اللغةـ: بمعنى النداء.

وفي الاصطلاح: هو طلب الداني من العالي مقارنا بالخضوع والذل.

والدعاء في الحقيقة هي علاقة معنوية بين الانسان وخالقه، وله أثر بالغ في تربية الروح، ولهذا أكد عليه القرآن الكريم في آياته من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]. وقد عبر عنه في الروايات بانه سلاح المؤمن، وجنّة المؤمن، وأفضل العبادة.

وحيث كان الدعاء ارتباطا بين العبد وربه، لم يمكن لحكام الجور المنع منه أو تحديده، فتمكن الإمام ﷺ من الاستفادة منه في اصلاح المجتمع بشكل قوي وفعّال، ولم تتمكن السلطة الحاكمة من الوقوف امامه أو الحد منه في المجتمع.

وتمكن الإمام من فضح الظالمين واحقاق حقوق المظلومين بواسطة هذا الأسلوب الفريد.

كما تمكن من التصدي للعدوان الغاشم الذي كان يهدد كيان الأمة من الناحية الثقافية والتي سلكها الحاكمون المتسلطون على مقدّرات الشعب المسلم.

وكتاب نهج البلاغة والصحيفة السجّادية مشحونان بهذا الأسلوب المتين في اصلاح المجتمع، وليس الصحيفة مجرد ادعية للتواصل بين العبد وربه، بل هي مشحونة بالمسائل الاعتقادية والاجتماعية والسياسية

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر ٤٠: ٦٠.

وبيان الأحكام الشرعية في صورة الأدعية، وكل ذلك بتعابير يمكن للباحث عن الحقيقة الوقوف عليها من خلال هذه الأدعية.

والصحيفة الكاملة وان كانت تحتوي على أربع وخمسين دعاء، الا ان هناك ادعية أخرى للإمام جمعت من مجموعات أخرى سميت بعنوان الصحيفة أحيانا أو وجدت ملحقة بالصحيفة الكاملة، والدعاء بصورة عامة يعد أسلوبا آخر من أساليب الإمام في اصلاح المجتمع مارسه ﷺ في إرشاد الأمة ـ من خلال تعليم المسلمين كميّة كبيرة من الأدعية المشحونة بمختلف المعارف الإلهية، فصارت منارا لتحصيل الغاية المتوخاة من الدين الإسلامي، وفيها ما يلزم القيام به للأمّة من الاجتماع والتضامن، وحفظ الحقوق، ومعرفة خالق الكون والحياة.

وحيث أن الإسلام والقرآن الكريم خطط لثورة ثقافية عظيمة، وكانت آياته الأولى تبشّر بحركة كبرى في عالم العلم والمعرفة، حيث ابتدأ الوحي الربّاني بالأمر بالقراءة أمرا مؤكدًا والإشارة بنعمة التعليم الإلهي، والاهتمام بظاهرتي القلم والكتابة في التعليم وتدوين المعرفة ونقلها وتطويرها، وتطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفة وتطوّر العلوم. والرسول الأمين وإن عرف عنه بأنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة المتعارفة ولكنّه حثّ على طلب العلم ونشره وتدوينه بإلهام إلهي، فانّ الجهاز الحاكم الذي خلف الرسول ﷺ أصدر قرارا بمنع تدوين حديث الرسول ﷺ وبذلك وجّه ضَربةً كبيرةً للثقافة الإسلامية المتمثّلة في أحاديث الرسول الأعظم، لكنّها قد تدوركت ـ بعد أن خلّفت مضاعفاتٍ كبيرةً لا زال العالم الإسلامي والإنساني يدفع ضريبتها حتّى يومنا هذا ـ بعد أن لمسوا آثار تلك المضاعفات ـ التي ترتّبت على مثل هذا القرار.

وأمّا الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام فقد أدركوا في وقت مبكر مضاعفات منع التدوين، والنكسة التي سوف يصاب بها العالم الإسلامي، بل الإنساني، فبادروا إلى التدوين وشجّعوا أصحابهم على عملية التدوين بالرغم من أنّه كان ذلك يشكل تحدّيا للسلطة الحاكمة آنذاك، لأنّ حفظ الشريعة والدفاع عنها يعدّ من أعظم الأهداف التي جُعل الأئمّة المعصومون حُرّاساً لها أمناء عليها.

فالأئمّة الأطهار عليهم السلام هم الروّاد الأوائل الذين خطّطوا لمسيرة الأمّة الثقافية، وفجّروا لها ينابيع العلم والحكمة على هدى الكتاب الحكيم وتعاليم الرسول العظيم، ولم يقتصر النشاط الثقافي للأئمّة عليهم السلام على جانب خاص، وإنّما تناول أنواع العلوم وشتى مجالات المعرفة.

فكان الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام رائد هذه النهضة العلمية، والفاتح لأبواب العلوم العقلية والنقلية، والمؤسس لأصولها وقواعدها، وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء الكبار وألّف السيّد حسن الصدر كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» فأثبت فيه تأريخيا صحة هذه الدعوى.

وممّن اعترف بذلك الأستاذ عباس محمود العقّاد في كتابه «عبقرية الإمام عليّ» قائلاً: إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد فتق أبواب اثنين وثلاثين علما، فوضع قواعدها وأسس أصولها.

وقال العلاّمة ابن شهر آشوب في كتابه «معالم العلماء»: الصحيح أنّ أوّل من صنّف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ سلمان ثمّ أبو ذر ثمّ

الأصبغ بن نباتة ثمّ عبيد الله بن أبي رافع، ثمّ صنّفت الصحيفة الكاملة[١].

فالصحيفة السجّادية من ذخائر التراث الإسلامي ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب في الإسلام، ومن هنا سمّيت بـ «إنجيل أهل البيت» و«زبور آل محمد»[٢].

مميزات الصحيفة:

١ ـ إنّها تمثّل التجرّد التام من عالم المادّة والانقطاع الكامل إلى الله تعالى والاعتصام به، والذي هو أثمن ما في الحياة.

٢ ـ إنّها تكشف عن كمال معرفة الإمام ﷺ بالله تعالى وعميق إيمانه به.

٣ ـ امتازت الصحيفة السجّادية على سائر أدعية المعصومين ﷺ بتكرار الصلاة على محمّد وآل محمّد، لأنّه من الأرجح أن هذه الأدعية أُنشئت في أعقاب واقعة كربلاء، التي كان منشئها يزيد، الذي كان هو وأبوه وجدّه ومن ورائهم بنو أُمية يسعون في إطفاء النور المحمّدي ﷺ.

والأرجح أنّ الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام، وترسيخها في النفوس في مواجهة المساعي الأُموية الهدّامة.

٤ ـ فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل والرجاء برحمة الله الواسعة.

---

(١) الذريعة ١٥ : ١٨. وللتفصيل راجع عنوان «عدد الأدعية».

(٢) حياة الإمام زين العابدين: ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

٥ ـ كما فتحت للمناظرات البديعة مع الله تعالى باباً مهمّاً يتضمّن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه، مثل قوله ﷺ: «إلهي إن كنتَ لا تغفر إلاّ لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟! وإن كنتَ لا تُكرِم إلاّ أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المُسيئون؟!»(١).

وهكذا قوله ﷺ: «فارحمني اللهم فإني امرؤ حقير وخطري يسير، وليس عذابي ممّا يزيد في ملكك مثقال ذرّة...»(٢).

٦ ـ تضمّنت الصحيفة برامج أخلاقية روحية وسلوكية مهمّة لتربية الإنسان، ورسمت له أُصول الفضائل النفسية والكمالات المعنويّة.

٧ ـ إحتوت على حقائق علمية لم تكن معروفةً في عصره.

٨ ـ كما تصدّت الصحيفة لمواجهة الفساد الفردي والاجتماعي والسياسي في عصرٍ أشاعت فيه السياسة الأُموية الفساد الأخلاقي والخلاعة والمجون بين المسلمين، فكانت الصحيفة خير وسيلة للإصلاح في أحلك الظروف التي اتّبع فيها الأُمويون سياسة القمع والإرهاب.

٩ ـ والصحيفة بعد هذا هي منجم من مناجم البلاغة والفصاحة وينبوع ثرّ للأدب الإسلامي الهادف، فهي لا تفترق عن «نهج البلاغة» في هذا المضمار.

١٠ ـ وقد ضمّن الإمام زين العابدين ﷺ أدعيته ـ التي تمثّلت في الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التي وصلت عنه وجُمعت مؤخّرا في ما سمّي بـ «الصحيفة الجامعة» ـ منهاجا كاملاً للحياة الإنسانية الفريدة، ولم

---

(١) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ٢٣٢.

(٢) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ٣٧٦، وخطري: قدري ومنزلتي.

يترك الإمام جانبا ممّا تحتاجه الأمّة الإسلامية إلاّ وتعرّض له، وعالجه بأسلوبه الفذّ وبلاغته البديعة.

والإمام السجّاد توفّر على نتاج فنّيّ ضخم يجيء ـ من حيث الكمّ ـ بعد الإمام عليّ ﷺ، كما يجيء ـ من حيث الكيف ـ متميّزا بسمات خاصة، وفي مقدمة ذلك أدب الدعاء الذي منحه السجّاد ﷺ خصائص فكرية وفنّيّة تفرّد بها(١).

ونحن نعرض في هذا الفصل وهو الإصلاح الاجتماعي بواسطة الدعاء والعمل على التوعية الدينية بتقوية المعرفة الإلهية في عدة محاور:

أوّلاً ـ في مجال بيان أصول العقيدة والعرفان وإشاعة ثقافة الحب والعشق الإلهي:

كان الإمام ﷺ يناجي ربّه ويدعوه بتضرّع وإخلاص في سحر كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء الجليل الذي عرف بدعاء أبي حمزة الثمالي؛ لأنّه هو الذي رواه عنه، وهو من غرر أدعية أهل البيت ﷺ وهو يمثّل مدى إنابته وانقطاعه إلى الله تعالى، كما أنّ فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها وشهواتها، كما يمتاز بجمال الأسلوب وروعة البيان وبلاغة العرض، وفيه من التذلّل والخشوع والخضوع أمام الله تعالى ما لا يمكن صدوره إلاّ عن إمام معصوم.

وقد احتلّ هذا الدعاء مكانة مهمّة في نفوس الأخيار والصلحاء من المسلمين، إذ واظبوا على الدعاء به:

١ ـ وممّا قاله الإمام ﷺ في دعائه: «إلهي، لا تؤدّبني بعقوبتك،

---

(١) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٥٣.

ولا تمكر بي في حيلتك، من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد إلاّ من عندك؟ ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلاّ بك؟ لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك... بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك، ولو لا أنت لم أدر ما أنت. الحمد للّه الذي أدعوه فيجيبني وإن كنتُ بطيئاً حين يدعوني، والحمد للّه الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني...

ومنه: أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه، ربّ أُناجيك بقلب قد أوبقه جرمه، أدعوك يا ربّ راهباً راغباً راجياً خائفاً، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعتُ، وإذا رأيت كرمك طمعت...

يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزّتك يا سيّدي لو انتهرتني ما برحتُ من بابك ولا كففت عن تملّقك لما انتهى إليّ من المعرفة بجودك وكرمك...

ومنه: اللهمّ إنّي كلّما قلت قد تهيّأت وتعبّأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك ألقيت عليّ نعاساً إذا أنا صلّيت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت، ما لي كلّما قلتُ قد صلُحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالت قدمي وحالت بيني وبين خدمتك. سيدي لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيتني، أو لعلّك رأيتني مستخفّاً بحقّك فأقصيتني، أو لعلّك رأيتني معرضاً عنك فقليتني، أو لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس

البطّالين فبيني وبينهم خلّيتني، أو لعلّك لم تحبّ أن تسمع دعائي فباعدتني، أو لعلّك بجرمي وجريرتي كافيتني، أو لعلّك بقلّة حيائي منك جازيتني...

ومنه: إلهي، لو قرّنتني بالأصفاد ومنعتني سيبك من بين الأشهاد ودللت على فضايحي عيون العباد، وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار؛ ما قطعتُ رجائي منك، ولا صرفت وجه تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبّك من قلبي...

ارحم في هذه الدنيا غربتي، وعند الموت كربتي، وفي القبر وحدتي، وفي اللحد وحشتي، وإذا نُشرتُ للحساب بين يديك ذلّ موقفي، واغفر لي ما خفي على الآدميّين من عملي، وأدم لي مابه سترتني، وارحمني صريعاً على الفراش، تقلّبني أيدي أحبّتي، وتفضّل عليّ ممدوداً على المغتسل يقلّبُني صالح جيرتي، وتحنّنْ عليّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، وجُد عليّ منقولاً قد نزلتُ بك وحيداً في حفرتي، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي، حتّى لا أستأنس بغيرك...»[1].

وهكذا كان يعلّم الإمام ﷺ المجتمع كيفية الشكر لله تعالى على ما أولاهم من جزيل النعم، وأنّ الإنسان مهما بالغ في شكره فإنّه عاجز وقاصر عن أداء حقّ الشكر.

٢ ـ وقال ﷺ: «اللهمّ احملنا في سفن نجاتك، ومتّعنا بلذيذ

---

(١) راجع: مفاتيح الجنان «الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي»، الصحيفة السجّادية الأبطحي: ٢١٤ ـ ٢٢٩، وبَرِحَ المكان ومنه: زال عنه. وتملقك: التودّد اليك. وسريرتي: نيّتي. والسَيْب: العطاء.

مناجاتك، وأوردنا حياض حبّك، وأذقنا حلاوة ودّك وقربك، واجعل جهادنا فيك، وهمّنا في طاعتك، وأخلص نيّاتنا في معاملتك، فإنّا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلاّ أنت...»[(١)].

وهكذا طلب عليه السلام من الله تعالى أن يخلص نيّته في معاملته ويبلغه أعزّ أمانيه وهي ابتغاء رضوانه جلّ جلاله.

٣ ـ وقال عليه السلام: «... إلهي فَاسْلُك بنا سُبُلَ الوصول إليك، وسيّرنا في أقرب الطرق للوفود عليك، قرّب علينا البعيد، وسهّل علينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإيّاك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون، الذين صفّيت لهم المشارب، وبلّغتهم الرغائب، وأنجحت لهم المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب، وملأت لهم ضمائرهم من حبّك، وروّيتهم من صافي شربك، فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا، ومنك أقصى مقاصدهم حصّلوا...

فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مُنى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبّتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك رَوحي وراحتي، وعندك دواء علّتي، وشفاء غلّتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي...»[(٢)].

---

(١) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤١١، مناجاة المطيعين.

(٢) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤١٢، مناجاة المريدين، والبدار: السباق. والمآرب: جمع مأرب ومأربة أي الحاجة. وولهي: تحيّري من شدّة الوجد. وصبابتي: شوقي. والرَوح: الفرح والراحة. وغلّتي: عطشي الشديد. ولوعتي: حرقة حزني وهواي ووجدي. وكرْبتي: همّي وغمي.

وهكذا ينقطع ﷺ إلى الله جلّ جلاله، وتتعلّق بالله روحه وعواطفه، فلا يبصر غيره، ولا يجد شافياً لغلّتهِ سواه.

٤ ـ وقال ﷺ: «إلهي كسري لا يجبره إلاّ لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلاّ عطفك وإحسانك، وروعتي لا يسكنُها إلاّ أمانك، وذلّتي لا يعزّها إلاّ سلطانك، وأُمنيّتي لا يبلّغنيها إلاّ فضلك، وخلّتي لا يسدّها إلاّ طولك، وحاجتي لا يقضيها غيرك، وكربي لا يفرّجه سوى رحمتك، وضرّي لا يكشفه غير رأفتك، وغلّتي لا يبرّدها إلاّ وصلك، ولوعتي لا يطفيها إلاّ لقاؤك، وشوقي إليك لا يُبله إلاّ النظر إلى وجهك، وقراري لا يقرّ دون دنوّي منك»[١].

لقد أبدى الإمام ﷺ فقره وفاقته إلى الله سبحانه، وقد هام ﷺ بحبّ سيّده ومولاه خالق الكون وواهب الحياة، فعقد جميع آماله عليه ورجاه في قضاء جميع أموره كأعظم ما يكون الرجاء.

٥ ـ وقال ﷺ في بيان التجليات العرفانية الإلهية: «... إلهي ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك! فأعذنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخصّ عارفيك وأصلح عبادك وأصدق طائعيك وأخلص عبّادك»[٢].

حقاً إنّ الإمام زين العابدين ﷺ سيّد الموحّدين وزعيم العارفين بالله، ولم تكن عبادته تقليدا، وإنّما كانت ناشئة عن كمال معرفته بالله

(١) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤١٥، مناجاة المفتقرين، والخلّة: الحاجة والفقر.
(٢) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤١٧، مناجاة العارفين.

تعالى، وقد أعرب في النصّ المذكور عن كمال بغيته ألا وهو الإخلاص في عبادته سبحانه وتعالى.

٦ ـ وقال عليه السلام: «... إلهي فألهمنا ذكرك في الخلأ والملأ والليل والنّهار والإعلان والإسرار، وفي السرّاء والضرّاء، وآنسنا بالذكر الخفيّ، واستعملنا بالعمل الزكيّ والسعي المرضيّ...

أنت المُسبّح في كلّ مكانٍ، والمعبود في كلّ زمانٍ، والموجود في كلّ أوانٍ، والمدعوّ بكلّ لسان، والمعظّم في كلّ جنان، وأستغفرك من كلّ لذّةٍ بغير ذكرك، ومن كلّ راحةٍ بغير أُنسك، ومن كلّ سرورٍ بغير قربك، ومن كلّ شغلٍ بغير طاعتك...»[1].

ويأخذنا الذهول حينما نقرأ هذا النصّ السجّادي الذي أعطانا فيه صورة واضحة متميّزة عن تضرّعه وتذلّله أمام الله سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

إنّ المعرفة الحقيقية بأنّ الإنسان فقير إلى الله تعالى ـ كما جسّدته النصوص السابقة ـ تجعله يلتجئ إليه تعالى دائماً، ومن هنا نجد أنّ للإمام السجّاد عليه السلام أدعية في أوقات وحالات متعدّدة بالإضافة إلى ما أوردناه، فله عليه السلام دعاء في الصلاة على محمّد وآله، وفي الصلاة على حملة العرش، وفي اللجوء إلى الله تعالى، وفي طلب الحوائج، وعند المرض، وفي مكارم الأخلاق، ولجيرانه، ولأوليائه، ولأهل الثغور، وفي الاستخارة، وفي التوبة، وإذا نظر إلى الهلال، وفي يوم عيد الفطر،

---

(١) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤١٨، مناجاة الذاكرين، والخلاء: المكان الفارغ الذي ليس فيه أحد. والملاء: مجتمع الناس. والجَنان: القلب.

وفي التذلّل، وعند الشدّة، وعند ذكر الموت، وفي الرهبة، وفي استكشاف الهموم.

٧ ـ ومِنْ دُعَائِه ﷺ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ لِنَفْسِه فِي الِاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ:

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْك الْمُتَأَبِّدِ بِالْخُلُودِ والسُّلْطَانِ الْمُمْتَنِعِ بِغَيْرِ جُنُودٍ ولَا أَعْوَانٍ. والْعِزِّ الْبَاقِي عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وخَوَالِي الأَعْوَامِ ومَوَاضِي الأَزْمَانِ والأَيَّامِ عَزَّ سُلْطَانُك عِزّاً لَا حَدَّ لَه بِأَوَّلِيَّةٍ، ولَا مُنْتَهَى لَه بِآخِرِيَّةٍ واسْتَعْلَى مُلْكك عَلُوّاً سَقَطَتِ الأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمَدِه ولَا يَبْلُغُ أَدْنَى مَا اسْتَأْثَرْتَ بِه مِنْ ذَلِك أَقْصَى نَعْتِ النَّاعِتِينَ[1].

٨ ـ ومِنْ دُعَائِه ﷺ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ:

سُبْحَانَك! لَا تُحَسُّ ولَا تُجَسُّ ولَا تُمَسُّ ولَا تُكَادُ ولَا تُمَاطُ ولَا تُنَازَعُ ولَا تُجَارَى ولَا تُمَارَى ولَا تُخَادَعُ ولَا تُمَاكرُ! سُبْحَانَك! سَبِيلُك جَدَدٌ. وأَمْرُك رَشَدٌ، وأَنْتَ حَيٌّ صَمَدٌ. سُبْحَانَك! قَوْلُك حُكمٌ، وقَضَاؤُك حَتْمٌ، وإِرَادَتُك عَزْمٌ![2].

٩ ـ ومِنْ دُعَائِه ﷺ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ:

الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ لَك الْحَمْدُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ والإِكرَامِ، رَبَّ الأَرْبَابِ، وإِلَه كلِّ مَأْلُوه، وخَالِقَ كلِّ مَخْلُوقٍ، ووَارِثَ كلِّ شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ولَا يَعْزُبُ عَنْه عِلْمُ شَيْءٍ، وهُوَ ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾، وهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ[3].

---

(١) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٣٢.

(٢) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٤٧.

(٣) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٤٧.

١٠ ـ ومِنْ دُعَائِه ﷺ يَوْمَ الأضحَى ويَوْمَ الْجُمُعَةِ:

أَللَّهُمَّ إنْ وَضَعْتَني فَمَنْ ذَا الَّذي يَرْفَعُني، وإنْ رَفَعْتَني فَمَنْ ذَا الَّذي يَضَعُني، وإنْ أهْلَكتَني فَمَنْ ذَا الَّذي يَعْرِضُ لَك في عَبْدِك، أوْ يَسْئَلُك عَنْ أمْرِه، وقَدْ عَلِمْتُ أنَّه لَيْسَ في حُكمِك ظُلْمٌ، ولا في نَقِمَتِك عَجَلَةٌ، وإنَّما يَعْجَلُ مَنْ يَخافُ الْفَوْتَ، وإنَّما يَحْتاجُ إلَى الظُّلْمِ الضَّعيفُ، وقَدْ تَعالَيْتَ يا إلهي عَنْ ذلِك عُلُوّاً كبيراً[1].

١١ ـ ومِنْ دُعَائِه ﷺ لِنَفْسِه ولأهْلِ وَلَايَتِه:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، واجْعَلْ سَلَامَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكرِ عَظَمَتِك، وفَرَاغَ أبْدَانِنَا فِي شُكرِ نِعْمَتِك، وانْطِلَاقَ ألْسِنَتِنَا فِي وَصْفِ مِنَّتِك[2].

١٢ ـ ومِنْ دُعَائِه ﷺ يَوْمَ الأضحَى ويَوْمَ الْجُمُعَةِ:

اللَّهُمَّ واجْعَلْني مِنْ أهْلِ التَّوْحِيدِ والإيمَانِ بِك، والتَّصْدِيقِ بِرَسُولِك، والأئِمَّةِ الَّذِينَ حَتَمْتَ طَاعَتَهُمْ مِمَّنْ يَجْرِي ذَلِك بِه وعَلَى يَدَيْه، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ[3].

١٣ ـ ومِنْ دُعَائِه ﷺ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ:

اللَّهُمَّ إنَّك أيَّدْتَ دِينَك فِي كلِّ أوَانٍ بِإمَامٍ أقَمْتَه عَلَماً لِعِبَادِك، ومَنَاراً فِي بِلَادِك بَعْدَ أنْ وَصَلْتَ حَبْلَه بِحَبْلِك، وجَعَلْتَه الذَّرِيعَةَ إلَى رِضْوَانِك، وافْتَرَضْتَ طَاعَتَه، وحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَه، وأمَرْتَ بِامْتِثَالِ أوَامِرِه، والِانْتِهَاءِ

(١) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٤٨.
(٢) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٥.
(٣) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٤٨.

عِنْدَ نَهْيِه، وألّا يَتَقَدَّمَه مُتَقَدِّمٌ، ولَا يَتَأَخَّرَ عَنْه مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللّائِذِينَ، وكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وبَهَاءُ الْعَالَمِينَ[1].

١٤ ـ ومِنْ دُعَائِه عليه السلام إِذَا اعْتُدِيَ عَلَيْه أَوْ رَأَى مِنَ الظَّالِمِينَ مَا لَا يُحِبُّ:

اللَّهُمَّ وإِنْ كانَتِ الْخِيَرَةُ لِي عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الأَخْذِ لِي وتَرْكِ الِانْتِقَامِ مِمَّنْ ظَلَمَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ ومَجْمَعِ الْخَصْمِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وأَيِّدْنِي مِنْك بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وصَبْرٍ دَائِمٍ[2].

ثانياً ـ ومن أدعية الصحيفة في مجال بيان الأحكام الشرعية وتقوية روح العبودية والخضوع لله:

أجمع معاصروا الإمام زين العابدين عليه السلام على أنّه كان من أعبد الناس وأكثرهم طاعة للّه تعالى، ولم يرَ الناس مثله في عظيم إنابته وعبادته، وقد بُهر بها المتّقون والصالحون، وحسبه أنّه وحده الذي قد لُقّب بزين العابدين وسيّد الساجدين في تاريخ الإسلام.

أمّا عبادته عليه السلام فكانت ناشئة عن إيمانه العميق بالله تعالى وكمال معرفته به، وقد عبده لا طمعاً في جنّته ولا خوفاً من ناره، وإنّما وجده أهلاً للعبادة فعبده، وشأنه في ذلك شأن جدّه أمير المؤمنين وسيّد العارفين وإمام المتّقين، وقد أعرب عليه السلام عن عظيم إخلاصه في عبادته بقوله: «إنّي أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلاّ ثوابه، فأكون كالعبد

(١) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٤٧.
(٢) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ١٤.

الطمع المطيع، إنّ طمع عمل وإلاّ لم يعمل، وأكره أن أعبده [لا غرض لي] إلاّ لخوف عقابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل...».

قيل له: فلِمَ تعبده؟ قال: «لما هو أهله بأياديه وإنعامه»[١].

ولقد مَلأ حبّ الله تعالى قلب الإمام عليه السلام وسخّر عواطفه، فكان مشغولاً بعبادة الله وطاعته في جميع أوقاته، وقد سُئلت جارية له عن عبادته فقالت: أطنب أو أختصر؟

قيل لها: بل اختصري.

فقالت: ما أتيته بطعام نهاراً قطّ، وما فرشت له فراشاً بليل، قطّ[٢].

لقد قضى الإمام عليه السلام معظم حياته صائماً نهاره، قائماً ليله، مشغولاً تارةً بالصلاة، وأُخرى بالدعاء.

١ ـ في الصلاة:

ـ مِنْ دُعَائِه عليه السلام إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وقِفْنَا فِيه عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَّدْتَ، وفُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ، ووَظَائِفِهَا الَّتِي وَظَّفْتَ، وأَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَّتَّ وأَنْزِلْنَا فِيهَا مَنْزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِهَا، الْحَافِظِينَ لأَرْكَانِهَا، الْمُؤَدِّينَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى مَا سَنَّه عَبْدُكَ ورَسُولُكَ ـ صَلَوَاتُكَ عَلَيْه وآلِه ـ فِي رُكُوعِهَا وسُجُودِهَا وجَمِيعِ فَوَاضِلِهَا عَلَى أَتَمِّ الطَّهُورِ وأَسْبَغِه، وأَبْيَنِ الْخُشُوعِ وأَبْلَغِه[٣].

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري: ٣٢٨.
(٢) الخصال: ٥١٨، علل الشرائع ١: ٢٣٢.
(٣) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٤٤.

٢ ـ في الصوم:

ـ مِنْ دُعَائِه عليه السلام إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ:

والْحَمْدُ لِلّه الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْك السُّبُلِ شَهْرَه شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وشَهْرَ الإِسْلَامِ، وشَهْرَ الطَّهُورِ، وشَهْرَ التَّمْحِيصِ، وشَهْرَ الْقِيَامِ ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ فَأَبَانَ فَضِيلَتَه عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَه مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمَوْفُورَةِ، والْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيه مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِه إِعْظَاماً، وحَجَرَ فِيه الْمَطَاعِمَ والْمَشَارِبَ إِكْرَاماً، وجَعَلَ لَه وَقْتاً بَيِّناً لَا يُجِيزُ ـ جَلَّ وعَزَّ ـ أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَه، ولَا يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْه[1].

٣ ـ في الخمس:

ـ مِنْ دُعَائِه عليه السلام لأَهْلِ الثُّغُورِ:

اللَّهُمَّ أَلْهِمْ أَهْلَ الثُّغُورِ عِلْمَ مَا لَنَا مِنَ الحَقِّ فِي خُمْسِ الغَنَائِمِ الَّذِي يَغْنَمُونَهُ، فإنَّ ذَلِك عِوَضٌ مِمَّا حَرَّمْتَهُ عَلَيْنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّك مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتِي هِي غُسَالاتٌ لِذُنُوبِ النَّاسِ؛ تَنْزِيهاً مِنْك لَنَبِيِّك وآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَوَلَدِهِ وَعِتْرَتِهِ، وَمَا عَلَى مَانِعِنَا إِيَّاهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَمِنْ عَظِيْمِ الحَوْبِ، وانْتِقَامِك مِمَّن ظَلَمَنَاهُ عَاجِلاً وآجِلاً[2].

---

(١) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٤٤.

(٢) هذا هو المقطع الأول من الدعاء ٢٧ الذي ورد في الصحيفة السجادية برواية علي بن مالك، وهذا المقطع مما اختص بروايته ابن مالك، ولم يرد في سائر نسخ الصحيفة. ويتضمن بيان وجوب الخمس، وكونه عوضاً عن الصدقة الّتي هي أوساخ ذنوب الناس، وانّ علّة الوجوب تنزيه ذرية الرسول من الأوساخ، وعقوبة المانع للخمس. (راجع: الصحيفة السجادية، من ط: دليل ما ـ قم، سنة ١٤٢٢هـ، الدعاء ٢٧).

٤ ـ في الزكاة:

ـ من دعائه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان:

وأن نخلص أموالنا من التبعات، وأن نطهّرها بإخراج الزكوات[١].

٥ ـ في الجهاد:

ـ مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام لأَهْلِ الثُّغُورِ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِك، وأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِك، وأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِك... إلى آخر الدعاء[٢].

وإليك بعض مواقف الإمام في مجال سائر العبادات:

١ ـ الوضوء:

الوضوء هو نور وطهارة من الذنوب، والمقدمة الأولي للصلاة، وكان الإمام عليه السلام دوماً على طهارة، وقد تحدّث الرواة عن خشوعه للّه في وضوئه، فقالوا: إنّه إذا أراد الوضوء اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيجيبهم قائلاً: «أتدرون بين يدي مَن أقوم؟!»[٣].

٢ ـ الصلاة:

أمّا الصلاة فمعراج المؤمن وقربان كلّ تقيّ، كما في الحديث الشريف، وكانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام عليه السلام فقد اتّخذها معراجاً ترفعه إلى الله تعالى، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد

---

(١) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ١٥٥.

(٢) الصحيفة الكاملة: الدعاء ٢٧.

(٣) نهاية الإرب ٢١: ٣٢٦، سير أعلام النبلاء ٤: ٢٣٨، مستدرك الوسائل ١: ٣٥٥.

الشروع فيها، فقيل له في ذلك فقال: «أتدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي؟!»(١).

ونتعرض لبعض شؤونه في حال صلاته:

أ ـ تطيّبه للصلاة:

وكان الإمام إذا أراد الصلاة تطيّب من قارورة كان قد جعلها في مسجد صلاته(٢).

ب ـ لباسه في صلاته:

وكان الإمام عليه السلام إذا أراد الصلاة لبس الصوف وأغلظ الثياب، مبالغة منه في إذلال نفسه أمام الخالق العظيم(٣).

ج ـ الخشوع في الصلاة:

كانت صلاته تمثّل الانقطاع التامّ إلى الله جلّ جلاله والتجرّد من عالم المادّيات، فكان لا يحسّ بشيء من حوله، بل لا يحسّ بنفسه فيما تعلّق قلبه بالله تعالى، ووصفه الرواة في حال صلاته، فقالوا: كان إذا قام إلى الصلاة غشي لونه بلون آخر، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبداً(٤).

وتحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن خشوع أبيه في صلاته فقال: «كان

---

(١) الخصال ٢: ٦٢٠، الطبقات الكبري ٥: ٢١٦، تهذيب الكمال ٢٠: ٣٩٠.
(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٥٨.
(٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨.
(٤) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ١٩٠.

عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلاّ ما حركت الريح منه»[(١)].

ونقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق ﷺ صلاة جدّه الإمام السجّاد ﷺ فقال له: إنّي رأيت عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه بلون آخر، فقال له الإمام الصادق ﷺ: «والله إنّ عليّ بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه...»[(٢)].

وكان من مظاهر خشوعه في صلاته أنّه إذا سجد لا يرفع رأسه حتّى يرفضّ عرقاً[(٣)]. أو كأنّه غمس في الماء من كثرة دموعه وبكائه[(٤)]، ونقل عن أبي حمزة الثمالي أنّه رأى الإمام قد صلّى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه، فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: «ويحك، أتدري بين يدي مَنْ كنتُ؟ إنّ العبد لا يقبل من صلاته إلاّ ما أقبل عليه منها بقلبه»[(٥)].

د ـ صلاة ألف ركعة:

وأجمع المترجمون للإمام ﷺ أنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[(٦)]، وأنّه كانت له خمسمائة نخلة، فكان يصلّي عند كلّ نخلة ركعتين[(٧)]. ونظراً لكثرة صلاته؛ فقد كانت له ثفنات في مواضع سجوده

---

(١) وسائل الشيعة ٤: ٦٨٥، الكافي ٣: ٣٠٠.
(٢) علل الشرائع ١: ٢٣١، وسائل الشيعة ٥: ٤٧٤.
(٣) تهذيب الأحكام ٢: ٢٨٦ ح ١١٤٥.
(٤) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨.
(٥) علل الشرائع: ٨٨، بحار الأنوار ٤٦: ٦١.
(٦) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٦، نور الأبصار: ١٣٦، الإتحاف بحب الأشراف: ٤٩.
(٧) بحار الأنوار ٤٦: ٦١، الخصال: ٤٨٧.

كثفنات البعير، وكان يسقط منها في كلّ سنة، فكان يجمعها في كيس، ولمّا توفّي ﷺ دفنت معه[١].

هـ ـ كثرة السجود:

إنّ أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو في حال سجوده، كما في الحديث الشريف، وكان الإمام ﷺ كثير السجود للّه تعالى خضوعاً وتذلّلاً له، وروي: أنّه خرج مرّةً إلى الصحراء فتبعه مولىً له فوجده ساجداً على حجارة خشنة، فأحصى عليه ألف مرّة يقول: «لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً، لا إله إلاّ الله تعبّداً ورقّاً، لا إله إلاّ الله إيماناً وصدقاً»[٢].

وكان يسجد سجدة الشكر، ويقول فيها مائة مرّة: «الحمد للّه شكراً»، ثمّ يقول: «يا ذا المنّ الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصيه غيره عدداً، ويا ذا المعروف الذي لا ينفد أبدا، يا كريم، يا كريم يا كريم» ثم يدعو ويتضرّع ويذكر حاجته[٣].

و ـ كثرة التسبيح لله:

وكان دوماً مشغولاً بذكر الله تعالى وتسبيحه وحمده، وكان يسبّح الله بهذه الكلمات: «سبحان من أشرق نوره كلّ ظلمة، سبحان من قدّر بقدرته كلّ قدرة، سبحان من احتجب عن العباد ولا شيء يحجبه، سبحان الله وبحمده»[٤].

---

(١) الخصال: ٤٨٨.

(٢) وسائل الشيعة ٣: ٢٨٢، الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٥٣١.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ١٧.

(٤) دعوات القطب الراوندي: ٣٤، الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٢٥، وفي نسخة: سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم فلا شيء يحجبه...

ز ـ ملازمته لصلاة الليل:

من النوافل التي كان لا يَدَعُها الإمام عليه السلام صلاة الليل، فكان مواظباً عليها في السفر والحضر إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى(١).

ح ـ دعاؤه بعد صلاة الليل:

وكان عليه السلام إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، وهو من غرر أدعية أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وإليك بعض مقاطعه: «اللهمّ يا ذا الملك المتأبد بالخلود، والسلطان الممتنع بغير جنود ولا أعوان، والعزّ الباقي على مرّ الدهور وخوالي الأعوام ومواضي الأزمان والأيام، عزّ سلطانك عزاً لا حدّ له بأوّلية ولا منتهي له بآخرية، واستعلى ملكك علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ولا يبلغ أدني ما استأثرت به من ذلك أقصي نَعت الناعتين، ضلّت فيك الصفات، وتفسّخت دونك النعوت، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله الأوّل في أوّليّتك، وعلى ذلك أنت دائمٌ لا تزول، وأنا العبد الضعيف عملاً، الجسيم أملاً، خرجت من يدي أسباب الوصلات إلاّ ما وصله رحمتك، وتقطّعت عنّي عصم الآمال إلاّ ما أنا معتصم به من عفوك، قلّ عندي ما أعتدُّ به من طاعتك، وكثر عليّ ما أبوء به من معصيتك، ولن يضيق عليك عفوٌ عن عبدك، وإن أساء فاعف عنّي..».

«اللهمّ إنّي أعوذ بك من نارٍ تغلّظت بها على مَن عصاك، وتوعّدت بها على من صدف عن رضاك، ومن نارٍ نورها ظلمة، وهيّنها أليم، وبعيدها قريب، ومن نارٍ يأكل بعضها بعضٌ، ويصول بعضُها على بعض،

(١) عن صفة الصفوة ٢: ٥٣، كشف الغمّة ٢: ٢٦٣.

ومن نارٍ تذر العظام رميماً، وتسقي أهلها حميماً، ومن نارٍ لا تبقي على مَن تضرّع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها، تلقي سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال...»[١].

لقد ذبل الإمام ﷺ من كثرة العبادة وأجهدته أيّ إجهاد، وقد بلغ به الضعف أنّ الريح كانت تميله يميناً وشمالاً بمنزلة السنبلة التي تميلها الريح[٢].

وقال ابنه عبدالله: كان أبي يصلّي بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه[٣].

٦ ـ الاهتمام بالمعالم الإسلامية:

حرص الإمام زين العابدين ﷺ ـ كآبائه الكرام ـ على المحافظة على الشعائر الإسلامية، ويشهد لذلك اهتمامه بتحديد معالم البيت الحرام في فتنة ابن الزبير، فقد روى المؤرخون انه هو الذي حدد معالم البيت الحرام عندما عزم الحجاج اعادة بنائه بعد فتنة ابن الزبير، كما ان زين العابدين ﷺ هز الذي وضع الحجر الأسود في محله.

---

(١) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء ٣٢، المصباح: ٥٨، وخوالي الأعوام: مواضيها. وأمده: غايته. وتفسخت: أي تقطّعت وتمزّقت وبطلت. والوصلات: وُصلة ـ بالضم ـ وهي ما يتوصل به إلى المطلوب، يعني أنّه قد فاتتني الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الأخروية إلاّ السبب الذي هو رحمتك فانه لا يفوت من أحد، لأنّها وسعت كلّ شيء. وعِصَم: جمع عصمة، وهي الوقاية والحفظ.. وما أبوء: أقرّ وأرجع. وصدف: خرج وأعرض. ويصول: من الصولة بمعنى الحملة. وتذر: تترك. ورميماً: بالياً. والحميم: ماء شديد الحرارة. والنكال: العقوبة. والوبال: الوخامة وسوء العاقبة.

(٢) الإرشاد: ٢٧٢، روضة الواعظين ١: ٢٣٧.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ٩٩.

ومع كفر الحجاج وبغضه لأهل البيت ﷺ، فقد فقد حدثت له آية اضطر معها إلى أن يطلب من الإمام زين العابدين ﷺ أن يضع الحجر الأسود في محله، وذلك عندما أعاد بناء الكعبة سنة أربع وسبعين، بعد أن قَتَل عبدالله بن الزبير وتهدمت الكعبة من ضرب جيشه وقبله جيش يزيد[١].

روى الكليني في الكافي، بسند صحيح عن أبان بن تغلب قال: لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حيَّةٌ فمنعت الناس البناء حتى هربوا، فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد مُنع بناءها، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال: أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى! فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين! فقال: معدن ذلك! فبعث إلى علي بن الحسين فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له علي بن الحسين: يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته، كأنك ترى أنه تراث لك! إصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلا رده. قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلا رده، قال: فردوه فلما رأى جمع التراب أتى علي بن الحسين فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا. قال: فتغيبت عنهم الحية، وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم علي بن الحسين: تنحوا فتنحوا فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى، ثم غطاها بالتراب بيد نفسه، ثم دعا الفعلة

(١) تاريخ أبي الفداء: ٢٥١.

فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفها، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج[١].

وفي الخرائج: أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبدالله بن الزبير ثم عمروها، فلما أعيد البيت وأرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود، فكلما نصبه عالم من علمائهم أو قاض من قضاتهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويقع ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه. فجاءه علي بن الحسين ﷺ وأخذه من أيديهم وسمى الله ثم نصبه فاستقر في مكانه، وكبّر الناس[٢].

وقال ابن بابويه: أن الحجاج لما فرغ من بناء الكعبة سأل علي بن الحسين أن يضع الحجر في موضعه، فأخذه ووضعه في موضعه[٣].

٧ ـ الاهتمام بالقرآن الكريم:

وقد شغف الإمام زين العابدين ﷺ ـ كآبائه الكرام ـ بشكل ملفت للنظر، بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثّل ذلك في سلوكه اليومي وأدعيته واهتماماته، تلاوةً وتدبّراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أنّ الإمام ﷺ كان هو القرآن الناطق، والتجسيد الحيّ لكلّ آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة.

وها نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام ﷺ بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن، بالإضافة إلى ما مرّ في البحوث السابقة.

(١) الكافي ٤: ٢٢٢ والفقيه ٢: ١٩٣، والعلل ٢: ٤٤٨، والمناقب ٣: ٢٨١.
(٢) الخرائج والجرائح ١: ٢٦٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٧.

قال ﷺ: «اللهمّ إنّك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصته، وفرقاناً فرّقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصّلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتّباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحقّ لسانه، ونور هدىً لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضلّ مَن أمّ قصد سنّته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلّق بعروة عصمته.

اللهمّ فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت جواسي ألسنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممّن يرعاه حقّ رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضّحات بيّناته، اللهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمّد ﷺ مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسّراً، وفضّلتنا على من جهل علمه، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله.

اللهمّ فكما جعلت قلوبنا له حملةً، وعرّفتنا برحمتك شرفه وفضله فصلّ على محمّد الخطيب به وعلى آله الخزّان له، واجعلنا ممّن يعترف بأنه من عندك حتّى لا يعارضنا الشك في تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه»[1].

(١) الصحيفة السجّادية: من دعائه في ختم القرآن ٤٢: ٢٠١، والقسط: العدل. ولا يحيف: لا يميل. وجواسي: جمع جاسية وهي الغليظة، والمراد غلاظ الألسنة.

إنّ القرآن هو معجزة الإسلام الكبرى، وقد تحدّث سليل النبوّة في هذا المقطع عن بعض معالمه وأنواره، وهي:

١ ـ إنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم نوراً يهدي به الضالّ، ويرشد به الحائر، ويوضّح به القصد.

٢ ـ إنّ الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمناً ومشرفاً على جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال.

٣ ـ إنّ الله تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء وشؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس العبر منهم.

٤ ـ إنّ القرآن الكريم باعتباره منهجاً ودستوراً عامّاً للحياة يفرّق بين الحلال والحرام، ويعرب عن شرائع الأحكام، ويفصّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموضاً.

٥ ـ إنّ الله تعالى كما جعل كتابه الحكيم نوراً يُهتدى به في ظلم الضلالة والجهالة، كذلك جعله شفاءً من الأمراض والعاهات النفسية، وذلك لمن آمن به وصدّقه.

٦ ـ إنّ الذكر الحكيم ميزان عدل وقسط، ليس فيه ميلٌ عن الحقّ، ولا اتّباع لهوى، وأنّ مَن تمسّك به واعتصم؛ فقد سلك الطريق القويم الذي لا التواء فيه، ونجا من الهلاك.

٧ ـ طلب الإمام عليه السلام من الله جلّ جلاله أن يتفضل عليه برعاية كتابه والتسليم لمحكم آياته والإقرار بمتشابهاته.

٨ ـ إنّ الله تعالى قد منح نبيّه العظيم فهمَ عجائب ما في القرآن

الكريم وعلّمه تفسيره، كما أشاد بأئمّة الهدى من عترة الرسول ﷺ الذين رفعهم الله عزّوجلّ وأعلى درجتهم، فجعلهم خزنة علمه والأدلاّء على كتابه.

ثالثاً ـ ومن أدعية الصحيفة في مجال الأمور الأخلاقية:

ـ دعاؤه عليه السلام في مناجاة المفتقرين:

بسم الله الرحمن الرحيم إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك وفقري لا يغنيه إلا عطفك وإحسانك، وروعتي لا يسكنها إلا أمانك، وذلتي لا يعزها إلا سلطانك، وأمنيتي لا يبلغنيها إلا فضلك، وخلتي لا يسدها إلا طولك، وحاجتي لا يقضيها غيرك، وكربي لا يفرجه سوى رحمتك، وضري لا يكشفه غير رأفتك، وغلتي لا يبردها إلا وصلك، ولوعتي لا يطفيها إلا لقاؤك، وشوقي إليك لا يبله إلا النظر إلى وجهك، وقراري لا يقر دون دنوي منك، ولهفتي لا يردها إلا روحك، وسقمي لا يشفيه إلا طبك، وغمي لا يزيله إلا قربك، وجرحي لا يبرئه إلا صفحك، ورين قلبي لا يجلوه إلا عفوك، ووسواس صدري لا يزيحه إلا أمرك[١].

ـ ومنه دعاؤه في مكارم الأخلاق:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ، واجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وانْتَه بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الأَعْمَالِ. اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، واسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي[٢].

---

(١) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ١٩٢.

(٢) الصحيفة السجادية: (دعاء مكارم الأخلاق).

ـ ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، ولَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، ولَا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلَّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا[١].

ـ ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، ومَتِّعْنِي بِهُدًى صَالِحٍ لَا أَسْتَبْدِلُ بِه، وطَرِيقَةِ حَقٍّ لَا أَزِيغُ عَنْهَا، ونِيَّةِ رُشْدٍ لَا أَشُك فِيهَا، وعَمِّرْنِي مَا كانَ عُمُرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِك، فَإِذَا كانَ عُمُرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْك قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُك إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُك عَلَيَّ. اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلَّا أَصْلَحْتَهَا، ولَا عَائِبَةً أُوَنَّبُ بِهَا إِلَّا حَسَّنْتَهَا، ولَا أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلَّا أَتْمَمْتَهَا.

ـ ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ، ومِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، ومِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثِّقَةَ، ومِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوَلَايَةَ، ومِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، ومِنْ خِذْلَانِ الأَقْرَبِينَ النُّصْرَةَ، ومِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ، ومِنْ رَدِّ الْمُلَابِسِينَ كرَمَ الْعِشْرَةِ، ومِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلَاوَةَ الأَمَنَةِ.

ـ ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، واجْعَلْ لِي يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، ولِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وهَبْ لِي مَكراً عَلَى مَنْ كايَدَنِي، وقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي، وتَكذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي، وسَلَامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، ووَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي، ومُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

ـ ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ

---

(١) الصحيفة السجادية: (دعاء مكارم الأخلاق).

مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وأُكافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ(١).

رابعاً ـ ومن أدعية الصحيفة في مجال الأمور الإجتماعية:

أ ـ في باب شكر المنعم:

ـ من دعائه عليه السلام في سحر كل ليلة من شهر رمضان:

والحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي، فربي أحمد شيء عندي، وأحق بحمدي(٢).

ـ ومنه الدعاء الأول: إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه، فقال:

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا، ثم سلك بهم طريق إرادته وبعثهم في سبيل محبته(٣).

ـ ودعاؤه عليه السلام في سحر كل ليلة من شهر رمضان:

يا حبيب من تحبب إليك، ويا قرة عين من لاذ بك وانقطع إليك(٤).

---

(١) الصحيفة السجادية: (دعاء مكارم الأخلاق).
(٢) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ١١٦.
(٣) الصحيفة الكاملة السجّادية: الدعاء الأول.
(٤) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ١١٦.

ب ـ نقد الاوضاع المتردية من خلال الخطب والأدعية:

روى ابن شهرآشوب في المناقب: عن الأصمعي قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان، وهو متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: «نامت العيون، وعلت النجوم، وأنت [الملك] الحي القيوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين». ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة ... وأنت وحدك يا قيوم لم تنم
أدعوك رب دعاء قد أمرت به ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف ... فمن يجود على العاصين بالنعم

قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين (عليه السلام)[1].

ـ وعن السيد علي بن طاووس في مهج الدعوات: عن جماعة بأسانيدهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في حديث طويل، وأنه رأى في المسجد الحرام شابا يبكي ويتضرع، فأتى به إلى أبيه (عليه السلام)، وذكر له (عليه السلام): أنه كان لاهيا مشغوفا بالعصيان، وأنه ضرب أباه وأوجعه إلى أن قال ثم حلف [بالله] يعني أباه ليقدمن إلى بيت الله الحرم، فيستعدي الله علي [قال:] فصام أسابيع، وصلى ركعات ودعا، وخرج متوجها على عبراته يقطع بالسير عرض الفلاة، ويطوي الأودية، ويعلو الجبال، حتى قدم مكة يوم الحج الأكبر فنزل من راحلته، وأقبل إلى

(١) مستدرك الوسائل ـ ميرزا حسين النوري الطبرسي ٩: ٣٥٣ ـ ٣٥٥، ح ١١٠٥٨.

بيت الله الحرام فسعى، وطاف به، وتعلق بأستاره، وابتهل (إلى الله) بدعائه، وأنشأ يقول:

يا من إليه أتى الحجاج بالجهد فوق المهاري من أقصى غاية البعد
إني أتيتك يا من لا يخيب من يدعوه مبتهلا بالواحد الصمد
هذا منازل لا يرتاع من حققي فخذ بحقي يا جبار من ولدي
حتى (يشل بحول) منك جانبه يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: فوالذي سمك السماء، وأنبع الماء ما استتم دعاءه حتى نزل بي ما ترى، ثم كشف عن يمينه فإذا بجانبه قد شل.. الخبر، وفيه ذكر الدعاء المعروف بدعاء المشلول[1].

ـ ومنه دعاؤه ﷺ في السحر:

عن طاووس أنه قال: رأيته ـ أي علي بن الحسين ﷺ ـ يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحدا رمق السماء بطرفه، وقال:

إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك الى أن قال: ثم بكى، وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي

---

(١) مستدرك الوسائل ـ ميرزا حسين النوري الطبرسي ٩: ٣٥٣، ٣٥٥، ح ١١٠٥٩، وفيه: وعن السيد ابن زهرة في الغنية: ويتعلق بأستار الكعبة ويقول: اللهم بك استجرت فأجرني، وبك استغيث فأغثني، يا رسول الله، يا أمير المؤمنين، يا فاطمة بنت رسول الله يا حسن، يا حسين ويسمي الأئمة ﷺ إلى آخرهم بالله ربي استغيث، وبكم إليه تشفعت، أنتم عمدتي، وإياكم أقدم بين يدي حوائجي، فكونوا شفعائي إلى الله في إجابة دعائي، وتبليغي في (ديني ودنياي) مهماتي، اللهم ارحم بهم عبرتي، واغفر بشفاعتهم خطيئتي، واقبل مناسكي، واغفر لي ولوالدي، واحفظني في نفسي وأهلي، ولي جميع إخواني، واشركهم في صالح دعائي، إنك على كل شيء قدير.

أتيت بأعمال قباح ردية   وما في الورى خلق جنى كجنايتي[1]

ـ ومنه ما أورده السيد الابطحي عنوان: ومن دعائه ﷺ بعد ركعتي الفجر وهو:

اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي مننت بها علي فقويت بها على معاصيك.

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته، ولكل معصية ارتكبتها.

اللهم ارزقني عقلا كاملا، وعزما ثاقبا، ولبا راجحا، وقلبا زكيا (ذكيا خ ل) وعلما كثيرا، وأدبا بارعا، واجعل ذلك كله لي، ولا تجعله علي برحمتك يا أرحم الراحمين[2].

ـ ومنه دعاؤه ﷺ في المناجاة المعروفة بـ «الندبة»:

روى الزهري، قال: سمعت مولانا زين العابدين ﷺ يحاسب نفسه،

ويناجي ربه: وهو يقول:

يا نفس حتام إلى الحياة سكونك، وإلى الدنيا وعمارتها ركونك، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من ألافك، ومن فجعت به من إخوانك، ونقلت إلى دار البلى من أقرانك:

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها   محاسنهم فيها بوال دواثر

(١) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ٩١.

(٢) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): ١٧٧، وراجع الهامش ٧.

خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم ... وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلو عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمتهم تحت التراب الحفائر(١).

ج ـ الوعظ بأسلوب النجوى مع الله تعالى:

قال عبدالله بن مبارك: حججت بعض السنين إلى مكة فبينما أنا سائر في عرض الحاج وإذا صبي سباعي أو ثماني؟ وهو يسير في ناحية من الحاج بلا زاد ولا راحلة فتقدمت إليه وسلمت عليه، وقلت له: مع من قطعت البر؟ قال: مع البار فكبر في عيني، فقلت: يا ولدي أين زادك وراحلتك؟ فقال: زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي، فعظم في نفسي، فقلت: يا ولدي ممن تكون؟ فقال: مطلبي، فقلت: أبن لي؟ فقال: هاشمي، فقلت: هاشمي، فقلت: أبن لي، فقال: علوي فاطمي فقلت: يا سيدي هل قلت شيئا من الشعر؟ فقال: نعم، فقلت: أنشدني شيئا من شعرك، فأنشد:

لنحن على الحوض رواده ... نذود ونسقي وزّاده
وما فاز من فاز إلا بنا ... وما خاب من حبنا زاده
ومن سرّنا نال منا السرور ... ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا ... فيوم القيامة ميعاده

ثم غاب عن عيني إلى أن أتيت مكة فقضيت حجتي ورجعت، فأتيت الأبطح فإذا بحلقة مستديرة، فاطلعت لأنظر من بها فإذا هو صاحبي، فسألت عنه فقيل: هذا زين العابدين عليه السلام(٢).

ويروى له عليه السلام:

(١) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ٢١٤.
(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٦: ٩١ ـ ٩٢.

نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعها في الأنام كاظمنا
عظيمة في الأنام محنتنا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا
والناس في الامن والسرور وما يأمن طول الزمان خائفنا
وما خصصنا به من الشرف الطائل بين الأنام آفتنا
يحكم فينا الحكم فيه لنا جاحدنا حقنا وغاصبنا(١)

ـ وفي البحار، عن أعلام الدين للديلمي: عن طاووس اليماني، قال: رأيت في جوف الليل رجلا متعلقا بأستار الكعبة، وهو يقول:

الا أيها المأمول في كل حاجة شكوت إليك الضر فاسمع شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
فزادي قليل لا أراه مبلغي ألـلزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتيت بأعمال قباح ردية فما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني في النار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين مخافتي

قال: فتأملته فإذا هو علي بن الحسين ﷺ(٢).

ـ ومن مناجاته ﷺ:

إلهي وَسَيِّدِي إنْ كنْتَ لا تَغْفِرُ إلاّ لأوْلِيائِك وَأهْلِ طاعَتِك فَإلى مَنْ يَفْزَعُ المُذْنِبُونَ؟ وَإنْ كنْتَ لا تُكرِمُ إلاّ أهْلَ الوَفاءِ بِك فَبِمَنْ يَسْتَغِيثُ المُسِيئُونَ؟(٣).

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٦: ٩١ ـ ٩٢.
(٢) مستدرك الوسائل ـ ميرزا حسين النوري الطبرسي ٩: ٣٥٢. ٣٥٣، ح١١٠٥٧.
(٣) إقبال الأعمال ـ السيد ابن طاووس ١: ١٧٣، ومفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، ص٣١٦.

ـ ومن مناجاته عليه السلام:

اللّهُمَّ ـ فَإنّي امْرُؤٌ حَقِيرٌ، وخَطَرِي يَسِيرٌ، ولَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكك مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، ولَوْ أنّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكك لَسَأَلْتُك الصَّبْرَ عَلَيْه، وأَحْبَبْتُ أنْ يَكونَ ذَلِك لَك، ولَكنْ سُلْطَانُك ـ اللّهُمَّ ـ أعْظَمُ، ومُلْكك أدْوَمُ مِنْ أنْ تَزِيدَ فِيه طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، أو تَنْقُصَ مِنْه مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبِينَ. فَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وتَجَاوَزْ عَنّي يَا ذَا الْجَلَالِ والإكرَامِ، وتُبْ عَلَيّ، إنَّك أنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ[1].

د ـ النقد البنّاء لموجة الانحراف من خلال أدعية الصحيفة:

إنّ المسلمين في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام واجهوا خطرين كبيرين خارج النطاق السياسي والعسكري، وكان لا بدّ من البدء بعمل حاسم للوقوف في وجههما:

أحدهما: الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة، وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجا، وكان لا بدّ من عمل على الصعيد العلمي يؤكد في المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنّة، وكان لا بدّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الإطار لكي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير والممارس الذكيّ، الذي يستطيع أن يستنبط منها ما يفيده في كلّ ما يستجدّ له من حالات.

كان لا بد إذن من تأصيل للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور

---

(١) الصحيفة السجّادية ـ الإمام زين العابدين عليه السلام: ٢٤٨.

الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام عليّ بن الحسين ﷺ فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول ﷺ...

وأمّا الخطر الآخر: «فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الامتداد الهائل، لأنّ موجات الرخاء تعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا، والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر، وبما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة، وهذا ما وقع فعلاً، وتكفي نظرة واحدة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني ليتّضح الحال.

وقد أحسّ الإمام عليّ بن الحسين بهذا الخطر، وبدأ بعلاجه، واتّخذ من الدعاء أساسا لهذا العلاج، وكانت الصحيفة السجّادية من نتائج ذلك، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أُوتيمن بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبيرالعربي، وذهنية ربّانية تتفتّق عن أروع المعاني وأدقّها في تصوير صلة الإنسان بربّه، ووجده بخالقه وتعلّقه بمبدئه ومعاده، وتجسيد مايعبّر عنه ذلك من قيم خلقية وحقوق وواجبات.

وقد استطاع الإمام عليّ بن الحسين بما أُوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جوّا روحيا في المجتمع الإسلامي، يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وشدّه إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكي يظلّ أمينا عليها في عصر الغنى والثروة كما كان أمينا عليها وهو يشدّ حجر المجاعة على بطنه.

وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّادية تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم

كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافةً إلى كونها تراثا ربّانيا فريدا يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد حاجةً كلّما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنة»[1].

هـ ـ ومن أدعية الصحيفة في مجال بيان الحقائق العلمية:

فبالاضافة إلى أنّ الصحيفة السجّادية وُظّفت أدعيتها لتربية الإنسان وترشيد حركته الفردية والاجتماعية، فقد حوت جملة من الحقائق العلمية التي تنبئ عن إحاطة الإمام بالحقائق العلمية، وشموخ مقامه العلمي ـ كما تضمّنت خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ودعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام قسما كبيراً من العلوم والمعارف ـ فيما يرتبط بتركيبة الإنسان الجسمية وكيفية خلقه، أو كيفية خلق أنواع الكائنات الأخرى الأرضية والسماوية.

وتجد في كثير من أدعيته عليه السلام إشاراتٍ واضحةً إلى أمثال هذه الحقائق العلمية.

١ ـ ممّا يلوح من الصحيفة الصحيفة السجّادية، وهو جعل مبدأ التأريخ الإسلامي هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة المنوّرة، ويظهر ذلك من سند الصحيفة التي يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام ـ في ضمن حديثه للمتوكل بن هارون ـ: «يرحم الله يحيى، إنّ أبي حدثني، عن أبيه، عن جده علي عليه السلام «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة، وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون[2] على منبره نزو

(١) نقلاً عن مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكاملة.
(٢) ينزون: يثبون.

القردة، يردُّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرئيل ﷺ بهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[1] يعني بني أُميّة.

فقال: ياجبرئيل أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟

قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك، فتلبث بذلك عشراً، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً، ثمّ لا بُدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قُطبها، ثمّ ملك الفراعنة.

قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2] يملكها بنوأميّة ليس فيها ليلة القدر.

قال: فأطلع الله عزّ وجل نبيّه ﷺ أنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأمّة، وملكها طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال مُلكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمد وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم في أيّامهم ومُلكهم»[3].

هذا، وقد ورد تأكيد الإمام أمير المؤمنين ﷺ على جعل مبدأ التأريخ الإسلامي الهجرة النبويّة في أحاديث أخرى نذكر منها ما رواه

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء ١٧: ٦٠.
(٢) القرآن الكريم، سورة القدر٩٧: ١ ـ ٣.
(٣) راجع سند الصحيفة في النسخ المتداولة.

العلامة المجلسي في البحار بإسناده قال: جمع عمر بن الخطاب الناس يسألهم: أي يوم يكتب؟ فقال علي ﷺ: «من يوم هاجر رسول الله ﷺ؛ وترك أرض الشرك»، فكأنّه ﷺ أشار إليهم أن لا تبتدعوا بدعة وأرّخوا كما كان في زمن رسول الله ﷺ لأنّه ﷺ لمّا قدم المدينة في شهر ربيع الأوّل أمر بالتأريخ[1].

وروى المتقي الهندي في كنز العمّال أحاديث عديدة في ذلك، منها: قول ابن المسيب: «أوّل من كتب التأريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب»[2].

٢ ـ ومنها قوله ﷺ: «الحَمْدُ للّهِ الّذِي خَلَقَ اللّيْلَ والنّهَارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكلِّ وَاحِد مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأمَداً مَمدوُداً، يُولِجُ كلّ واحد مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيْهِ، بِتَقْدِير مِنْهُ لِلعِبَادِ فِيْمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ»[3].

قال السيد محمد حسين الجلالي في شرحه للصحيفة السجادية، ما نصه: الليل والنهار ظاهرتان طبيعيتان يتأثر بهما كل ذي حياة على الكرة الأرضية صباحاً ومساءً، وشأن كل الظواهر المتكررة أن يغفل الإنسان عن مبدئها ودورها والمسؤولية المرتبطة بها في كل دور من الأدوار.

والظاهر أنّ كلام الإمام ﷺ ناظر إلى مرحلتين من التحول، اولا: التحول من الليل إلى النهار، ثم من النهار إلى الليل، ولذلك اتى بالجملتين معا فقال: (يولج كل واحد منها في صاحبه) ثم قال: (ويولج

(١) البحار ٤٠: ٢١٨، الحديث ١.

(٢) أنظر كنز العمّال، الأحاديث: ٢٩٥٥٢ ـ ٢٩٥٥٦ و٢٩٥٦٥.

(٣) الصحيفة السجادية، (ط: مهرجان تراتيل سجادية)، الدعاء رقم (٦)، المقطع الاوّل.

صاحبه فيه). وقد نقل السيد المدني (قدس سره) في الشرح (رياض السالكين) أقوالا ختمها بقوله: «والله أعلم بمقاصد أوليائه»(١).

وقد استفاد السيد الأستاذ الخوئي رحمه الله من هذا المقطع من الدعاء: كروية الأرض، وحيث ان هذا فكر بكر لم يسبقه إليه أحد، أورد نصّ كلامه رحمه الله، وان كنت قد وعدت الايجاز في الشرح، قال رحمه الله: «ومن ذلك ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء: (وجعل لكل واحد منهما حدا محدودا، وأمدا ممدودا، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد). أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور، وهو كرويّة الأرض، وحيث أن هذا المعنى كان بعيدا عن أفهام الناس؛ لانصراف العقول عن إدراك ذلك، تلطّف ـ وهو الإمام العالم بأساليب البيان ـ بالإشارة إلى ذلك على وجه بليغ، فإنه عليه السلام لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار، وينقص النهار تارة أخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل، لاقتصر على الجملة الأولى: (يولج كل واحد منهما في صاحبه) ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية: (ويولج صاحبه فيه)، إذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه، لأن ظاهر الكلام أن الجملة الثانية حالية، ففي هذا دلالة على كرويّة الأرض، وان إيلاج الليل في النهار ـ مثلا ـ عندنا يلازم إيلاج النهار في الليل عند قوم آخرين. ولو لم

---

(١) رياض السالكين ٢: ١٩٠.

تكن مهمة الإمام عليه السلام الإشارة إلى هذه النكتة العظيمة، لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة، ولكانت تكراراً معنوياً للجملة الأولى»(١).

٣ ـ ومنها قوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ إذا ذُكِرَ الأبْرارُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ ما اخْتَلَفَ اللَّيلُ والنَّهَارُ، صَلاةً لا يَنْقَطِعُ مَدَدُهَا، وَلاَ يُحْصَى عَدَدُها، صَلاةً تَشْحَنُ الهَواء، وَتَمْلأُ الأرْضَ والسَّماءَ. صَلّى الله عَلَيْهِ حَتَّى يَرْضَى، وَصَلى الله عَلَيْهِ وآله بَعْدَ الرِّضَا صَلاةً لاَ حَدَّ لَهَا وَلاَ مُنْتَهَى، يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ»(٢).

مما يدل على إمكان شحن الهواء، بل شحن الأرض والسماء.

٤ ـ وقوله عليه السلام: «سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء»(٣).

وقد قال عليه السلام كلّ هذه الحقائق العلمية في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية آنذاك.

٥ ـ وأشار عليه السلام إلى إمكانية وجود الجراثيم في المياه والأطعمة في دعائه لأهل الثغور، داعيا على الأعداء: «اللهمّ وامزج مياههم بالوباء، وأطعمتهم بالأدواء»(٤).

كلّ ذلك في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية في دنيا الإسلام أو غيرها.

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٧٦.
(٢) الصحيفة السجادية، المقطع السابع عشر من الدعاء رقم (٣٢).
(٣) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ٢٤.
(٤) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ١٣٥.

ونجد في كثير من أدعيته عليه السلام إشاراتٍ واضحةً إلى أمثال هذه الحقائق العلمية(١).

---

(١) وقد تقدم منا ما رواه الإمام محمّد الباقر عن أبيه عليهما السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَٰشًا وَالسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ (سورة البقرة ٢: ٢٢)، قال: جعلها ملائمةً لطباعكم، موافقةً لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمأ والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنّه عزّوجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثمّ قال عزوجلّ: ﴿وَالسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أي سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثمّ قال عزوجلّ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر ينزله من علٍ ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثم قال عزوجلّ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى. (عيون أخبار الرضا ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦). وقلنا ان هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام حوت أروع أدلة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والانتفاع بخيراتها وثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

كما استدل الإمام عليه السلام على عظمة الله تعالى بخلقه السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي تزوّد هذه الأرض بأشعتها.

إنّ أشعّة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أنّ أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدّها وجزرها، وكذلك لأشعة سائر الكواكب، فإنّ الأثر التام في منح الحياة العامّة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في الأرض، وهذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلاّ في هذه العصور الحديثة، إلاّ أنّ الإمام عليه السلام ألمح إليها في كلامه، فكان حقّاً هو وآباؤه وأبناؤه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم، وساهموا في تكوين الحضارة الإنسانية.

أساليب أخرى للإمام السجّاد عليه السلام في التربية والتعليم

١ ـ التذكير بنعم الله:

يستحب للإنسان أن يظهر نعم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[(١)]، وروي عن أئمة الهدى عليهم السلام: «إن الله يحب الجمال والتجمل، ويكره البؤس والتباؤس، فإن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى عليه أثرها، قيل: كيف ذلك؟ قال: ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويجصص داره، ويكنس أفنيته، حتى إن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق». وروي عنهم عليهم السلام أيضاً أنه قال: «إنني لأكره للرجل أن يكون عليه من الله نعمة، فلا يظهرها». وعن بريد بن معاوية، قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام لعبيد بن زياد: «إظهار النعمة أحب إلى الله من صيانتها، فإياك أن تتزين (أو ترين) إلا في أحسن زي قومك»، قال: «فما رؤي عبيد إلا في أحسن زي قومه حتى مات»[(٢)].

وهذا ما أمر به الله سبحانه في سورة الضحى، حيث قال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[(٣)].

وقال عزوجل:

= وأعطى الإمام عليه السلام صورة متميزة عن الأمطار، وأنها تتساقط بصورة رتيبة وفي أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة؛ لأهلك الحرث والنسل. فراجع المطلب في قسم الحكمة.

(١) القرآن الكريم، سورة الضحى: ١١.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة ـ الشيخ محمد علي الأنصاري ٤: ١٠٧.

(٣) القرآن الكريم، سورة الضحى: ٦ ـ ١١.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١].

وأكد الإمام زين العابدين على ذلك في ادعيته ﷺ، ومنها قوله: والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ، وأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ. وجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكلُّ خَلِيقَتِه مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِه، وصَائِرَةٌ إلى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِه. والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْه، فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَه أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَه! لَا، مَتَى.

والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي رَكَبَ فِينَا آلَاتِ الْبَسْطِ، وجَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ، ومَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ، وأَثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الأَعْمَالِ، وغَذَّانَا بِطَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وأَغْنَانَا بِفَضْلِه، وأَقْنَانَا بِمَنِّه[٢].

وقال أيضاً:

والْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِه، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِه إِلَّا بِهَا لَقَدْ حَسُنَ بَلَاؤُه عِنْدَنَا، وجَلَّ إِحْسَانُه إِلَيْنَا وجَسُمَ فَضْلُه عَلَيْنَا، فَمَا هَكَذَا كانَتْ سُنَّتُه فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كانَ قَبْلَنَا، لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِه، ولَمْ يُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْعاً، ولَمْ يُجَشِّمْنَا إِلَّا يُسْراً، ولَمْ يَدَعْ لأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً ولَا عُذْراً[٣].

وقال أيضاً في دعاء أبي حمزة الثمالي:

---

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران: ٣: ١٠٣.
(٢) الصحيفة السجّادية ـ الإمام زين العابدين ﷺ: ٣٠ ـ ٣٢.
(٣) الصحيفة السجّادية ـ الإمام زين العابدين ﷺ: ٣٢.

أين عطاياك الفاضلة، أين مواهبك الهنيئة، أين كرمك يا كريم؟ به وبمحمد وآل محمد ﷺ فاستنقذني، وبرحمتك فخلصني[١].

وقال أيضاً:

وما قدر أعمالنا في جنب نعمك؟ وكيف نستكثر أعمالا يقابل بها كرمك، بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك؟[٢].

ولهذا الأسلوب أبلغ الأثر في التربية مما يوجب الانتباه إلى النقاط الايجابية التي أنعم الله بها على الانسان بدلا من الالحاح على السلبيات وايجاد حالة البؤس والشقاء في الحياة.

٢ ـ أسلوب التغافل:

وهذا الأسلوب من الأساليب المؤثرة في ردع المعتدي وايقاظ الجاهل الغافل احيانا وبدونه لا يمكن من احراز السعادة، خصوصا بالنسبة إلى من لا يفهم حقيقة الحياة أو لا يريد أن يفهمها، وقد أكد على هذا الأسلوب الأئمة ﷺ بل مارسوها مع الجاهلين مرارا، ونجحوا في ايقاظهم من الغفلة والانحراف، ونورد هنا بعض ما روي عنهم ﷺ في ذلك:

فروى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ ع قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: مُدَارَاةُ النَّاسِ نِصْفُ الإِيمَانِ والرِّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ ﷺ: خَالِطُوا الأَبْرَارَ سِرّاً وخَالِطُوا الْفُجَّارَ جِهَاراً ولَا تَمِيلُوا عَلَيْهِمْ فَيَظْلِمُوكمْ فَإِنَّه سَيَأْتِي عَلَيْكمْ

(١) إقبال الأعمال ـ السيد ابن طاووس ١: ١٦٠.
(٢) إقبال الأعمال ـ السيد ابن طاووس ١: ١٦١.

زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيه مِنْ ذَوِي الدِّينِ إِلَّا مَنْ ظَنُّوا أَنَّه أَبْلَه وصَبَّرَ نَفْسَه عَلَى أَنْ يُقَالَ [لَه]: إِنَّه أَبْلَه لَا عَقْلَ لَه(١).

وكان المراد بالمداراة هنا التغافل والحلم عنهم وعدم معارضتهم، وبالرفق الإحسان إليهم وحسن معاشرتهم، ويحتمل أن يكون مرجعهما إلى أمر واحد، ويكون تفننا في العبارة، فالغرض بيان أن المداراة والرفق بالعباد لهما مدخل عظيم في صلاح أمور الدين وتعيش الدنيا، والثاني ظاهر والأول لأنه إطاعة لأمر الشارع حيث أمر به وموجب لهداية الخلق وإرشادهم بأحسن الوجوه كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢) والعيش الحياة والمراد هنا التعيش الحسن برفاهية «خالطوا الأبرار سرا» أي أحبوهم بقلوبكم أو أفشوا إليهم أسراركم بخلاف الفجار فإنه إنما يحسن مخالطتهم في الظاهر للتقية والمداراة، ولا يجوز مودتهم قلبا من حيث فسقهم وليسوا محالا لأسرار المؤمنين، وبين ﷺ ذلك بقوله: ولا تميلوا عليهم، على بناء المجرد، والتعدية بعلى للضرر أي لا تعارضوهم إرادة للغلبة، قال في المصباح: مال الحاكم في حكمه ميلا جار وظلم فهو مائل، ومال عليهم الدهر أصابهم بجوانحه. وفي النهاية: فيه لا يهلك أمتي حتى يكون بينهم التمايل والتمايز، أي لا يكون لهم سلطان يكف الناس عن التظالم فيميل بعضهم على بعض بالأذى والحيف، انتهى. وقيل: هو على بناء الأفعال أو التفعيل أي لا تعارضوهم لتميلوهم من مذهب إلى مذهب آخر وهو تكلف وإن كان أنسب بما

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ـ العلامة المجلسي ٨: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
(٢) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ١٢٥.

بعده، وفي القاموس: رجل أبله بين البله والبلاهة: غافل أو عن الشر أو أحمق لا تمييز له، والميت الداء، أي من شره ميت، والحسن الخلق القليل الفطنة لمداق الأمور أو من غلبة سلامة الصدر(١).

أنواع التغافل:

وللتغافل نوعان محمود ومذموم، أما المحمود، فهو التغافل البناء في الأمور التي ينبغي التسامح فيها من ذوي المروءة والكرامة، وعدم الاستقصاء للمعايب والعفو عن السيئة، فانه قل من يخلو عن الخطأ والاشتباه، وفي هذا المجال ورد عن الأئمة عليهم السلام العديد من الروايات، منها:

ما ورد عنه عليه السلام: اِحتَمِل ما يَمُرُّ عَلَيك، فَإنَّ الاِحتِمالَ سِترُ العُيوبِ، وإنَّ العاقِلَ نِصفُهُ احتِمالٌ ونِصفُهُ تَغافُلٌ(٢).

ومن وصايا الإمام زين العابدين عليه السلام: اعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن له(٣).

وعنه عليه السلام: لا تُعاتِبِ الجاهِلَ فَيَمقُتَك، وعاتِبِ العاقِلَ يُحبِبك(٤).

وعن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ـ العلامة المجلسي ٨ ـ شرح ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ ـ علي بن محمد الليثي الواسطي: ٤٩٩، وموسوعة العقائد الإسلامية ـ محمد الريشهري ١: ٢٨٤، ح ٥٨٤.

(٣) ميزان الحكمة ـ محمد الريشهري ٣: ٢٢٨٨.

(٤) موسوعة العقائد الإسلامية ـ محمد الريشهري ١: ٢٨٤ ـ ٥٨٦.

الْحُسَيْنِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رسول الله ﷺ: كفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ يُبْصِرَ مِنَ النَّاسِ مَا يَعْمَى عَلَيْه مِنْ نَفْسِه وأَنْ يُؤْذِيَ جَلِيسَه بِمَا لَا يَعْنِيه[١].

والاغضاء: هو التغافل عن الشيء، والاغضاء إدناء الجفون بعضها ببعض، ومنه قول القائل في مدح عليّ بن الحسين ﷺ:

يَغضي حياء ويُغضى من مهابته فلا يكلَّم إلّا حين يبتسم[٢]

وقال ﷺ: مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش. وقال: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق. بيان: كان المراد بالمداراة التغافل والحلم عنهم وعدم معارضتهم. وقال: أمرت بمداراة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة. سائر الروايات في مدح المداراة والرفق واللين. وقال: من مات مداريا، مات شهيدا. إن مداراة الناس من سنة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣].

وعن مجموعة الشهيد قال: قال جعفر الصادق ﷺ: أعظموا أقداركم بالتغافل فقد قال الله عز وجل: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[٤].

فظهر مما تقدم حسن التغافل عن الأمور الدنية التي منها تقصيرات الناس وإساءاتهم إليه.

---

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ـ العلامة المجلسي ١١: ٣٨٢، ح٢.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ حبيب الله الهاشمي الخوئي ٢١: ٢٨٥.

(٣) مستدرك سفينة البحار ـ الشيخ علي النمازي الشاهرودي ٣: ٢٧٧ ـ ٢٧٨، والآية من القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٩٩.

(٤) القرآن الكريم، سورة التحريم ٦٦: ٣.

التغافل المذموم:

وهناك تغافل مذموم، وهو التغافل عن الأمور التي تؤدي بالفرد أو المجتمع إلى السقوط في الرذائل والهلاك، كالتغافل عن الله وعن دين الله والأمور الأخروية. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[(١)]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[(٢)].

وفي مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام: وكثرة الذكر بلا غفلة، فإن الغفلة مصطاد الشيطان، ورأس كل بلية، وسبب كل حجاب... الحديث[(٣)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

والله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من عال يتيما حتى يستغني أوجب الله له الجنة، كما أوجب لاكل مال اليتيم النار[(٤)].

وروى أحمد بن الحسين البيهقي، عن أبي بكر بن عياش قال: قال كسرى لوزيره: ما الكرم؟ قال: التغافل عن الزلل. قال: فما اللؤم؟ قال: الاستقصاء على الضعيف والتجاوز عن الشديد. قال: فما الحياء؟

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٢٠٥.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٧٩.

(٣) مستدرك سفينة البحار ـ الشيخ علي النمازي الشاهرودي ٨: ٥ ـ ٦.

(٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ـ الشيخ المحمودي ٧: ١٦١ ـ ١٦٢.

قال: الكف عن الخنا. قال: فما اللذة؟ قال: الموافقة. قال: فما الحزم؟ قال: سوء الظن[١].

ومن أنواع التغافل المذموم:

١ ـ تغافل الحسود عن خطأ المحسود عندما يكون الغرض هو تمادي المحسود في الخطا حتى السقوط والهلاك.

٢ ـ تغافل الشخص الانتهازي الذي يبغي بذلك تحصيل منفعة من خطأ الآخرين.

٣ ـ تغافل الأناني الذي يريد الاستعلاء على الآخرين بظهور خطئهم، ليتسنى له المؤاخذة عليهم.

الإستفادة من أسلوب التغافل في سيرة الإمام السجّاد:

يمكن ملاحظة إعمال هذا الأسلوب في كلمات الإمام السجّاد بصورتين:

أ ـ إلفات النظر إلى لطف الله على العباد بالتغاضي عن ذنوبهم من خلال الإشارة إلى ذلك في أدعية الإمام السجّاد، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في مدح الرسول الأعظم بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢]. وفي كلام الإمام السجّاد، قوله:

---

(١) شعب الإيمان ـ أحمد بن الحسين البيهقي ٦: ٣٦٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ٦١.

والحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي، فربي أحمد شيء عندي وأحق بحمدي[١].

ب ـ التغافل عن تقصير الآخرين:

ويظهر ذلك فيما رواه محمد بن علي الخزاز في كفاية الأثر: عن أحمد بن محمد بن عبيد الله، عن علي بن عبدالله الواسطي، عن محمد بن أحمد الجمحي، عن هارون بن يحيى عن عثمان بن خالد، عن أبيه، قال: مرض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام مرضه الذي توفي فيه، فجمع أولاده محمدا عليه السلام، والحسن وعبدالله وعمر وزيدا والحسين، وأوصى إلى ابنه محمد بن علي عليهما السلام وكناه بالباقر، وجعل أمرهم إليه، وكان فيما وعظه في وصيته أن قال: «يا بني، إن العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والعقل ترجمان العلم، واعلم أن العلم أبقى، واللسان أكثر هذرا، واعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحذافرها في كلمتين، إصلاح شأن المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل، لأن الانسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن له» الخبر[٢].

ج ـ أسلوب إشاعة المحبة:

قيل: المحبّة ميل القلب إلى ما يوافقه وهي بين الطرفين لما روي عن الصادق عليه السلام حين سأله رجل عن رجل يقول: أودّك فكيف أعلم أنّه يودّني فقال: امتحن قلبك فإن كنت تودُّه فإنّه يودّك» سيّما إذا أخبر

---

(١) مصباح المتهجد ـ الشيخ الطوسي: ٥٨٢.
(٢) مستدرك الوسائل ـ ميرزا حسين النوري الطبرسي ٩: ٣٧ ـ ٣٨، ح ١٠١٣٩.

أحدهما الآخر بحبّه له فإنّه يوجب حبّ الآخر للمخبر أيضاً كما ورد في بعض الأخبار(١).

وقول: أحب الله. أي أحب طاعته، ولا يقال: أريده بهذا المعنى، فجعل المحبة لطاعة الله محبة له كما جعل الخوف من عقابه خوفا منه، وتقول: الله يحب المؤمنين، بمعنى أنه يريد إكرامهم وإثابتهم، ولا يقال: إنه يريدهم بهذا المعنى، ولهذا قالوا: إن المحبة تكون ثوابا وولاية، ولا تكون الإرادة كذلك(٢).

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ محبّة الله تعالى للعباد أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم، ويعظمهم ويثني عليهم، ويرضى عنهم، ومحبّة العباد للّه تعالى إرادة طاعته وابتغاء مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه(٣).

قال حبيب الله الهاشمي الخوئي في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:

وأمّا اتّصافه بالمحبّة لأوليائه المقرّبين فشواهده من النّقل متجاوزة عن حدّ الاحصاء قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤).

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٥).

وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(٦).

---

(١) شرح أصول الكافي ـ المولى محمد صالح المازندراني ١: ٦٩.
(٢) الفروق اللغوية ـ أبي هلال العسكري: ٤٨٤.
(٣) مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام ـ الجواد الكاظمي ٢: ٣٦٥.
(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٩٥.
(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٢٢.
(٦) القرآن الكريم، سورة المائدة ٥: ٥٤.

وقال: ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾(١).

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٢).

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وفى الحديث القدسي: قال الله عز وجل: من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته... الحديث(٣).

وأما محبة الله لعبده فليس بالمعنى الذي يتصوّر في المخلوق إذ الحبّ في الاصطلاح عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق الملائم، وهذا من صفات ذوى النفوس الناقصة المستفيدة بنيل المحبوب كمالا فتلتذّ به، وهذا محال على الله سبحانه إذ ليس له تعالى وتقدّس نفس فضلاً عن كونه ناقصا وقد عرفت في تضاعيف الشرح في غير موضع أنّ ذات الله تعالى شأنه تامّ فوق التمام، وجميع صفات الجلال والجمال والكمال حاصلة له بالفعل وواجب الحصول أزلا وأبدا، ومن هذا شأنه فكيف يتصوّر أن يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره، فلا بدّ أن يراد بحبّه عزّ شأنه لعبده معنى آخر. وقد اختلفوا في تقريره وبيانه بوجوه يقرب بعضها من بعض. فقال صدر المتألّهين: إنّ المحبة تابعة لادراك الوجود لأنه خير محض فكلّ ما وجوده أتم كانت خيريّته أعظم والادراك به

---

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ١٠٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٣١.

(٣) الكافي ٢: ٣٥٢.

أقوى والابتهاج به أشدّ، فأجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل، لأنه أشدّ إدراكا لأعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور والجلال الارفع، فمحبة الله لعباده راجعة إلى محبّته لذاته، لأنه لما ثبت أنّ ذاته أحبّ الأشياء إليه تعالى وهو أشدّ مبتهج به وكلّ من أحبّ شيئا أحبّ جميع أفعاله وحركاته وآثاره لذلك المحبوب، وكلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه، وجميع الممكنات آثار الحقّ وأفعاله فاللّه يحبّها لأجل ذاته، وأقرب المجعولات إليه تعالى الرّوح المحمّدي ﷺ فكان ﷺ حبيب الله وأحبّ الخلق إليه، انتهى. وقال الغزالي بعد ما ذكر أنّ المحبّة عبارة عن ميل النّفس إلى الشيء الموافق ما لفظه: فأما حبّ الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا، بل الأسامي كلّها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله تعالى لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى أنّ اسم الوجود الذي هو أعمّ الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد، بل كلّ ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم، فكان استعمال الأسامي في حقّ الخالق بطريق الاستعارة والتجوّز والنقل، والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملايم. وهذا إنما يتصوّر في نفس ناقصة، فإنها تستفيد بنيل ما يوافقها كمالا فتلتذّ بنيله، وهذا محال على الله تعالى، فانّ كلّ كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حقّ الإلهية، فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أزلا وأبدا، ولا يتصوّر تجدّده ولا زواله، فلا يكون له نظر إلى غيره من حيث إنه غيره، بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط، وليس في الوجود إلّا ذاته وأفعاله، فلا يجاوز حبّه ذاته وتوابع ذاته من حيث

هي متعلّقة بذاته، فهو إذا لا يحبّ إلّا نفسه. وما ورد من الألفاظ في حبّه لعباده فهو مؤوّل ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتّى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل، فحبّه لمن أحبّه أزليّ مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى: لا يزال عبدي يتقرّب إلى بالنوافل حتّى أحبّه. فيكون تقرّبه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب من قلبه وحصوله في درجة القرب من ربّه، فكلّ ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى قربه وهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا ثمّ صار قريبا فقد تغير، فربما يظنّ بهذا أنّ القرب لما تجدّد فقد تغير وصف العبد والربّ جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حقّ الله تعالى، إذ التغير عليه محال، بل لا يزال في نعوت الجلال على ما كان عليه في أزل الازال ولا ينكشف هذا إلّا بمثال في القرب بين الأشخاص. فانّ الشخصين قد يتقاربان بتحرّكهما جميعا، وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرّك الآخر فيحصل القرب بتغيّر في أحدهما من غير تغيّر في الآخر، بل القرب في الصفات أيضاً كذلك، فانّ التلميذ يطلب من درجة استاده في كمال العلم وجماله، والاستاد واقف في كمال علمه غير متحرّك بالنزول إلى درجة تلميذه، والتلميذ متحرّك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم، فلا يزال دائما في التغيّر والترقي إلى أن يقرب من الأستاذ، والاستاد ثابت غير متغيّر[1].

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ حبيب الله الهاشمي الخوئي ١٤: ٣٤٥ ـ ٣٤٨.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(١).

وقال الإمام زين العابدين:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ، ومِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، ومِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثِّقَةَ، ومِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوَلَايَةَ، ومِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، ومِنْ خِذْلَانِ الأَقْرَبِينَ النُّصْرَةَ، ومِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ، ومِنْ رَدِّ الْمُلَابِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، ومِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلَاوَةَ الأَمَنَةِ(٢).

وقال الإمام زين العابدين ﷺ:

معرفتي يا مولاي دليلي عليك، وحبي لك شفيعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلالتك، وساكن من شفيعي إلى شفاعتك(٣).

وأسلوب المحبة والرأفة من الأساليب التي حباها الله لنبيه الكريم، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٤).

وهو الاجر الذي اقترح في مكافأة الرسالة، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٥).

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٦٥.

(٢) الصحيفة السجّادية ـ الإمام زين العابدين ﷺ، الدعاء ٢٠ (دعاؤه في مكارم الاخلاق) والمقة: المحبة، والهاء عوض من الواو. وقد ومقه يمقه بالكسر. فيهما، أي أحبه، فهو وامق. (الصحاح ـ الجوهري ٤: ١٥٦٨).

(٣) إقبال الأعمال ـ السيد ابن طاووس ١: ١٥٩.

(٤) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٥) القرآن الكريم، سورة الشورى٤٢: ٢٣.

فهو الوسيلة التي يمكن بها التقرب إلى الله تعالى، وقال الإمام زين العابدين:

وَبِحُبّي النَّبِيَّ الأُمّيَّ القَرَشِيَّ الهاشِمِيَّ العَرَبِيَّ التِّهامِيَّ المَكيَّ المَدَنِيَّ أَرْجُو الزُّلْفَةَ لَدَيْك، فَلا تُوحِشِ اسْتِئْناسَ إِيْماني وَلا تَجْعَلْ ثَوابِي ثَوابَ مَنْ عَبَدَ سِواك، فَإِنَّ قَوْما آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَحْقِنُوا بِهِ دِمائَهُمْ فَأَدْرَكوا ما أَمَّلُوا وإِنّا آمَنّا بِك بِأَلْسِنَتِنا وَقُلُوبِنا لِتَعْفُوَ عَنّا، فَأَدْرِكنا ما أَمَّلْنا وَثَبِّتْ رَجائَك فِي صُدُورِنا، وَلا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْك رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الوَهّابُ[١].

وقد أعمل الإمام هذه الطريقة في تربية الكثير من اصناف المجتمع بما فيهم: الاولاد والاصدقاء والعبيد وكسب قلوبهم، بل وحتى الأعداء والمخالفين، ونجح في ذلك نجاحا باهرا.

٤ ـ أسلوب الرفق والمداراة:

وهذا الأسلوب قد أكد عليه القرآن الكريم، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢].

وقال الإمام زين العابدين ﷺ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي ومَوَالِيَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا، والْمُنَابِذِينَ لأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِك[٣].

---

(١) مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي (المعرب): ٣٠٩ ـ ٣١٠.
(٢) القرآن الكريم، سورة طه ٢٢: ٤٣ ـ ٤٤.
(٣) الصحيفة السجّادية ـ الإمام زين العابدين ﷺ: ١٢٤.

وقال الإمام زين العابدين ﷺ:

وزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، ومَعْرِفَةً بِفَضْلِي حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وأَسْعَدَ بِهِمْ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(١).

ويظهر ممارسة الإمام لهذا النوع من الوعظ والإرشاد مما أورد المؤرخون: أنّ شيخاً شامياً دنا من الإمام السجّاد ﷺ عند دخول سبايا آل محمّد ﷺ الشام وقال له: «الحمد الله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له عليّ بن الحسين ﷺ: يا شيخ، أقرأت القرآن؟

قال: بلي.

قال ﷺ: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٢).

ـ إلى قوله: ـ قال عليّ ﷺ: فنحن أهل البيت الذين اختصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ، قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به، وقال: بالله إنّكم هم؟!

فقال عليّ بن الحسين ﷺ: تاللّه إنّا لنحن هم من غير شك وحقّ جدّنا رسول الله ﷺ إنّا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد»(٣).

---

(١) الصحيفة السجّادية ـ الإمام زين العابدين ﷺ: ١٢٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشورى٤٢: ٢٣.

(٣) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، مقتل المقرم: ٤٤٩ عن تفسير ابن كثير والآلوسي، لواعج الأشجان: ٢١٩، كتاب الفتوح ٥: ١٣٠، مع اختلاف يسير، وقد تقدم تمام الحديث في فصول سابقة.

فالرفق والمداراة مع الآخرين من الأساليب التي مارسها الإمام في تربية العديد من اصناف المجتمع بما فيهم: الاولاد والاصدقاء والعبيد وكسب قلوبهم، بل وحتى الأعداء والمخالفين، ونجح في ذلك نجاحا باهرا أيضاً.

الفصل الثالث

الأساليب العملية في الإصلاح الاجتماعي

يمكن بيان الأساليب العملية للإمام السجّاد في مجالين:

أ ـ مع الأولياء والأحبة والأخلاء.

ب ـ مع الأعداء والمعاندين.

[أوّلاً]
تعامل الإمام عليه السلام مع الأولياء والأحبة والأخلاء

أما بالنسبة إلى الأحبة والاخلاء فقد مارس الإمام السبل التالية:

أوّلاً ـ ظاهرة البكاء لإيقاظ الضمائر النائمة:

إن الإمام كان أولّ من سنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام على طول السنة؛ لكي لا تُنسى الأسباب التي أدّت إلى مقتله والاهداف التي من أجلها قتل الإمام الحسين عليه السلام

والتزم البكاء على سيد الشهداء عليه السلام ولقد صاحبت هذه الظاهرة

الإمام زين العابدين ﷺ مدة إمامته ونضاله، بحيث لا يمكن المرور على أي مرفق من مرافق عمره الشريف، أو أي موقف من مواقفه الكريمة، إلا بالعبور من مجرى دموعه وفيض عيونه. ولا ريب أن البكاء، كما أنه لا يتهيأ للإنسان إلا عند التأثر بالأمور الأكثر حساسية، وإثارة وحرقة، ليكون سببا للهدوء والترويح عن النفس. فكذلك هو وسيلة لإثارة القضية، أمام الآخرين، وتهييج من يرى دموع الباكي تنهمر، ليتعاطف معه طبيعيا، وعلى الأقل يخطر على باله التساؤل عن سبب البكاء؟ وإذا كان الباكي شخصية مرموقة، وذا خطر اجتماعي كبير، مثل الإمام زين العابدين ﷺ، فإن ظاهرة البكاء منه، مدعاة للإثارة الأكثر، وجلب الاهتمام الأكبر، بلا ريب. والحكام الظالمون، فهم دائما يهابون الثوار في ظل حياتهم، فيحاولون إسكاتهم بالقتل والخنق، مهما أمكن، ويتصورون ذلك أفضل السبل للتخلص منهم، أو تطويقهم بالسجن والحبس. وكذلك هم يحاولون بكل جدية، في إبادة آثار الثورة ومحوها عن الأنظار، والأفكار حتى لا يبقى منها ولا بصيص جذوة. ولكنهم ـ رغم كل قدراتهم ـ لم يتمكنوا من اقتلاع العواطف التي تستنزف الدموع من عيون الباكين على أهليهم وقضيتهم، فالبكاء من أبسط الحقوق الطبيعية للباكين. والإمام زين العابدين ﷺ قد استغل هذا الحق الطبيعي في صالح القضية التي من أجلها راح الشهداء صرعى على أرض معركة كربلاء[1].

وفي جهاد الإمام السجّاد ﷺ، ما نصه:

إذا أمعنا النظر في تحليل التاريخ وتابعنا مجريات الأحداث، التي

---

(١) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ١٧٩.

قارنت كربلاء، وجدنا أن المعركة لم تنته بعد، وإنما الدماء الحمر، أصبحت تجري اليوم دموعا حارة بيضاء، تحرق جذور العدوان، وتجرف معها مخلفات الانحراف وتروي بالتالي أصول الحق والعدالة. وبينما يعد الطغاة ظاهرة البكاء دليلا على العجز والضعف والانكسار والمغلوبية، فهم يكفون اليد عن الباكي، لكون بكائه علامة لاندحاره أمام القوة، وعلامة الاستسلام للواقع، نجد عامة الناس، يبدون اهتماما بليغا لهذه الظاهرة، تستتبع عطفهم، وتستدر تجاوبهم إلى حد ما، وأقل ما يبدونه هو نشدانهم عن أسباب البكاء؟ وتزداد كل هذه الأمور شدة إذا كان الباكي رجلا شريفا معروفا! وبالأخص إذا كان يفيض الدمعة بغزارة فائقة، وباستمرار لا ينقطع! كما كان من الإمام زين العابدين عليه السلام، حتى عد في البكائين، وكان خامسهم بعد آدم، ويعقوب، ويوسف، وجدته فاطمة الزهراء. إن البكاء على شهداء كربلاء، وثورتها، لم يكن في وقت من الأوقات أمر حزن ناتج من إحساس بالضعف والانكسار، ولا عبرة يأس وقنوط، لأن تلك الأحداث، بظروفها ومآسيها قد مضت، وتغيرت، وذهب أهلوها، وعرف حقها من باطلها، وأصبحت للمقتولين كرامة وخلودا، وللقاتلين لعنة ونقمة، لكن البكاء عليهم وعلى قضيتهم، كان أمر عبرة وإثارة واستمداد من مفجرها، وصانع معجزتها، وحزنا على عرقلة أهدافها المستلهمة من ثورة الإسلام التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله.

والدليل على كل ذلك أن لكل حزن أمدا، يبدأ من حين المصيبة إلى فترة طالت أو قصرت، وينتهي ولو بعد جيل من الناس. أما قبل حدوث المصيبة، فلم يؤثر في المعتاد، أو المعقول للناس، أن يبكوا لشيء. لكن قضية الحسين أبي عبدالله عليه السلام، قد أقيمت الأحزان عليها قبل

وقوعها بأكثر من نصف قرن، واستمر الحزن عليها إلى الأبد، فهي إلى القيامة باقية. والذين أثاروا هذا الحزن، قبل كربلاء، وأقاموا المآتم بعد كربلاء: هم الأئمة من أهل البيت ﷺ. فمنذ ولد الحسين ﷺ أقام النبي ﷺ مآتم على سبطه الوليد ذلك اليوم، الشهيد بعد غد. فكيف يقيم النبي ﷺ مجلس الحزن على قرة عينه، يوم ولادته، أهكذا يستقبل العظماء مواليدهم؟ أو لا يجب أن يستبشروا بالولادات الجديدة، ويتهادوا التهاني والأفراح والمسرات؟! وتتكرر المجالس التي يعقدها الرسول العظيم، ليبكي فيها على وليده، ويبكي لأجله كل من حوله، وفيهم فاطمة الزهراء ﷺ أم الوليد، وبعض أمهات المؤمنين، وأشراف الصحابة. وحقا عد ذلك من دلائل النبوة ومعجزاتها. وهكذا أقام الإمام علي ﷺ، مجلس العزاء على ولده الحسين ﷺ، لما مر على أرض كربلاء، وهو في طريقه إلى صفين، فوقف بها، فقيل: هذه كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ثم أومأ بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأومأ بعده إلى موضع آخر، فقال: هاهنا مهراق دمائهم. ونزل إلى شجرة، فصلى إليها، فأخذ تربة من الأرض فشمها، ثم قال: واها لك من تربة، ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. ورثاه أخوه الحسن ﷺ وقال له: لا يوم كيومك يا أبا عبدالله... ويبكي عليك كل شيء.... وحتى الحسين ﷺ نفسه، نعى نفسه ودعا إلى البكاء على مصيبته، وحث المؤمنين عليه، حيث قال: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى. وهكذا الأئمة ﷺ بعد الحسين، أكدوا على البكاء على الحسين بشتى الأشكال. لكن الإمام زين العابدين ﷺ: قد تحمل أكبر الأعباء، في هذه المحنة، إذ عايش أسبابها، وعاصر

أحداثها، بل باشر جراحها وآلامها، فكان عليه أن يؤدي رسالتها، لأنه شاهد صدق من أهلها، بل الوحيد الذي ملك أزمة أسرارها، ولا بد أن يمثل أفضل الأدوار التي لم يبق لها ممثل غيره، ولم تبق لها صورة في أي منظار، غير ما عنده! وإذا عرفنا بأن الإمام زين العابدين عليه السلام هو أوثق من يروي حديث كربلاء، فهو أصدق الناقلين له، وخير المعبرين عنه بصدق. وأما أهداف شهداء كربلاء التي من أجلها صنعت، فلا بد لها أن تستمر، ولا تنقطع عن الحيوية، في ضمير الناس ووجدانهم، حتى تستنفد أغراضها. وبينما الحكام التائهون لا يعبأون ببكاء الناس، فإن الإمام زين العابدين عليه السلام اتخذ من البكاء عادة، بل اعتمدها عبادة، فقد كانت ـ وفي تلك الفترة بالذات ـ وسيلة هامة لأداء المهمة الإلهية التي حمل الإمام عليه السلام أعباءها. والناس، لما رأوا الإمام زين العابدين عليه السلام يذرف الدموع ليل نهار، لا يفتأ يذكر الحسين الشهيد ومصائبه، فهم: بين من يدرك: لماذا ذلك البكاء والحزن، والدمع الذارف المنهمر، والحزن الدائب المستمر؟ وعلى من يبكي الإمام عليه السلام؟ فكان ذلك سببا لاستمرار الذكرى في الأذهان، وحياتها على الخواطر، وبقاء الأهداف حية نابضة، في الضمائر ووجدان التاريخ، وتكدس النقمة والنفرة من القتلة الظلمة. وبين من يعرف الإمام زين العابدين بأنه الرجل الفقيه، الزاهد في الدنيا، الصبور على مكارهها، فإنه لم يبك بهذا الشكل، من أجل أذى يلحقه، أو قتل أحد، أو موت آخر، فإن هذه الأمور هي مما تعود عليها البشر ـ على طول تاريخ البشرية ـ بل هي سنة الحياة[1].

---

(١) جهاد الإمام السجّاد عليه السلام: ١٨٢ ـ ١٨٨.

كما قال القائل:

لـه مـلـك يـنـادي كـل يـوم لـدوا لـلـموت وابنـوا لـلـخراب

وخصوصا النبلاء والنابهين، والأبطال الذين يقتحمون الأهوال ويستصغرونها من أجل أهداف عظام ومقاصد عالية رفيعة. فبكاء مثله، ليس إلا لأجل قضية أكبر وأعظم، خاصة البكاء بهذا الشكل الذي لا مثيل له في عصره.

لقد ركز الإمام زين العابدين ﷺ على قدسية بكائه لما سئل عن سببه؟ فقال: لا تلوموني. فإن يعقوب ﷺ فقد سبطا من ولده، فبكى، حتى ابيضت عيناه من الحزن، ولم يعلم أنه مات.. وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة! فترون حزنهم يذهب من قلبي أبدا؟!. إنه ﷺ في الحين الذي يربط عمله بما في القرآن من قصة يعقوب وبكائه، وهو نبي متصل بالوحي والغيب، إذ لا ينبع فعله عن العواطف الخالية من أهداف الرسالات الإلهية. وفي الحين الذي يمثل لفاجعة الطف في أشجى مناظرها الدامية، وبأقصر عبارة وافية. فهو يؤكد على تبرير بكائه، بحيث يعذره كل سامع. وفي حديث آخر: جعل الإمام ﷺ من قضية كربلاء مدعاة لكل الناس إلى إحيائها، وتزويدها بوقود الدموع، وإروائها بمياه العيون، ولا يعتبرونها قضية خاصة بعائلة النبي ﷺ وحسب، بل هي مصاب كل الناس، وكل الرجالات الذين لهم كرامة في الحياة، أو يحسون بشيء اسمه الكرامة، أو شخص يحس بالعاطفة، فهو يقول: وهذه الرزية التي لا مثلها رزية. أيها الناس، فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله؟ أم أي فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم أي عين منكم تحبس دمعها؟.

وكان ﷺ يحث المؤمنين على البكاء ويقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين ﷺ حتى تسيل على خده، بوأه الله تعالى بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا. وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خديه مما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا، بوأه الله منزل صدق. وكان البكاء واحدا من الأساليب التي جعلها وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء.

وقد استعمل الإمام أساليب أخرى:

منها: ترغيب المؤمنين على زيارة قبر الإمام الحسين ﷺ:

قال أبو حمزة الثمالي: سألت علي بن الحسين، عن زيارة الحسين ﷺ؟ فقال: زره كل يوم، فإن لم تقدر فكل جمعة، فإن لم تقدر فكل شهر، فمن لم يزره فقد استخف بحق رسول الله ﷺ.

ومنها: الاحتفاظ بتراب قبر الحسين ﷺ:

فكانت له خريطة ديباج صفراء، فيها تربة قبر أبي عبدالله ﷺ، فإذا حضرت الصلاة سجد عليها. ومنها: خاتم الحسين ﷺ: فقد كان الإمام زين العابدين ﷺ يتختم بخاتم أبيه الحسين ﷺ. كما كان ينقش على خاتمه: خزي وشقي قاتل الحسين بن علي ﷺ.

ومن المؤكد أن الإمام ﷺ لم يتبع هذه الأساليب لمجرد الانعطاف مع العواطف والسير وراءها، ولا لضعف في نفسه، أو لاستيلاء هول الفجيعة على روحه، ولم يتخذ مواقفه من بني أمية نتيجة للحقد أو الانتقام الشخصي، ممن له يد في مذبحة كربلاء. وإنما كان ﷺ يلتزم بتلك الخطط ويتبع تلك الأساليب لإحياء الفكرة التي من أجلها قتل الحسين ﷺ واستشهد هو وأصحابه على أرض كربلاء فضرجوا تربتها بدمائهم الزكية.

ولقد أثبت ذلك بصراحة في حياته العملية: فقد كانت له علاقات طبيعية مع عوائل بعض الأمويين مثل مروان بن الحكم، الذي التجأ بأهله وزوجته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان إلى بيت الإمام زين العابدين ﷺ، فأصبحوا تحت حمايته، مع أربعمائة عائلة من بني عبد مناف، مدة وجود الجيش الأموي في المدينة، فأمنوا من استباحتهم لها وهتكهم الأعراض فيها، في واقعة الحرة الرهيبة. وبالإضافة إلى أن الأئمة ﷺ بعيدون عن روح الانتقام الشخصي وإنما يغضبون لله لا لأنفسهم، فإنهم يشملون باللطف والرحمة النساء والأطفال في مثل تلك الظروف، وبذلك يكسبون ود الجميع حتى الأعداء، ويثبتون جدارتهم، ولياقتهم لمنصب الإمامة والزعامة. فكسب الإمام زين العابدين ﷺ بمواقفه اعتقاد الجهاز الحاكم فيه أنه (خير لا شر فيه) وأنه (مشغول بنفسه). ذلك الاعتقاد الذي أفاد الإمام ﷺ نوعا من الحرية في العمل في مستقبل تخطيطه ضد الحكم الأموي الغاشم، وعزز موقعه الاجتماعي حتى تمكن من اتخاذ المواقف الحاسمة من الظالمين وأعوانهم. كما رسمت في سيرته الشريفة صور من صبره على المصائب والبلايا، مما يدل على صلابته تجاه حوادث الدنيا ومكارهها، وهي أمثلة رائعة للمقاومة والجلد.

فعن إبراهيم بن سعد، قال: سمع علي بن الحسين واعية في بيته، وعنده جماعة، فنهض إلى منزله، ثم رجع إلى مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الواعية؟ قال: نعم. فعزوه، وتعجبوا من صبره. فقال: إنا أهل بيت نطيع الله في ما نحب، ونحمده في ما نكره.

ونتمكن من استخلاص الهدف الأساسي من كل هذه الإثارات لقضية

كربلاء وشهدائها خصوصا ذكر أبيه الإمام الشهيد ﷺ من خلال الحديث التالي: قال ﷺ لشيعته: عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمدا بالحق نبيا، لو أن قاتل أبي الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ائتمنني على السيف الذي قتله به، لأديته إليه.

ففي الوقت الذي يشير فيه إلى مأساة قتل الحسين ﷺ، ويذكر بقتله، ليحيي معالمها في الأذهان، فهو يؤكد بأغلظ الأيمان على أن أمرا (مثل أداء الأمانة) يوجبه الإسلام، هو فوق العواطف والأحاسيس الشخصية. وهو يوحي بأن الإمام الحسين ﷺ إنما قتل من أجل تطبيق كل المبادئ التي جاء بها الإسلام، والتي بعث بها جده النبي محمد ﷺ، وأن الإمام زين العابدين يريد الاستمرار على تلك المبادئ والخطط التي أنار الحسين الشهيد ﷺ معالمها بوقود من دمه الطاهر.

وهو في الوقت ذاته، يرفع من قيمة البكاء أن يكون من أجل أمور مادية ولو كانت الدنيا كلها: ففي الخبر أنه ﷺ نظر إلى سائل يبكي! فقال ﷺ: لو أن الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه ما كان ينبغي له أن يبكي. ثالثا: التزام الدعاء ومن أبرز المظاهر الفذة في سيرة الإمام زين العابدين ﷺ الأدعية المأثورة عنه، فقد تميز ما نقل عنه بالكثرة، والنفس الطويل، والشهرة التداول، لما تحتويه من أساليب جذابة ومستهوية للقلوب، تتجاوب معها الأرواح والنفوس، وما تضمنته من معان راقية تتفاعل مع العقول والأفكار[١].

---

(١) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ١٨٢ ـ ١٨٨.

ثانياً ـ تربية العبيد والمماليك ثم تحريرهم:

ان تحرير المماليك من الأمور التي حث عليها الإسلام، ومارسه أهل البيت على أوسع مدى ممكن في حياتهم العملية، ومن تتبع موارد العتق في تاريخ الأئمة لوقف على ما يوجب العجب، وان دل ذلك على شيء فهو يدل على ما كان يتحسس به أهل البيت من الألم الذي يعانيه المملوك في رق العبودية،

وقد مارس الإمام السجّاد هذه العبادة في حكم بني أمية بصورة اكثر واقوى فعالية من أي فترة أخرى، نظرا إلى الضروف التي كان يعيشها الإمام من الرقابة الشديدة على تحركاته العملية في المجتمع، خصوصا بلحاظ ما يلي:

١ ـ كثرة العبيد في عصر الإمام، حيث كانت الحكومات الجائرة تصرف الناس إلى الخروج من الدولة الإسلامية إلى خارجها، فتحقق بذلك سلامة حكمها الغاشم من التغيير ومحاولة الاطاحة به من قبل المهتمين بمصير الأمة وسعادتها.

٢ ـ ان العبيد الوافدون من بلاد الكفر بحاجة إلى من يرشدهم إلى الدين ولا يتيسر ذلك لكل أحد خصوصا من يملكهم لغرض الاستفادة منهم مادياً.

٣ ـ ان الحكام المتسلطين على رقاب المسلمين لم يكونوا يعرفوا الإسلام الصحيح ولم يهتموا بتعليم الاسرى بقدر ما كانوا يهتمون بسلطانهم وملذاتهم المادية، لا هم ولا من كان يحوم حولهم من الوزراء والاعيان، بل كان سلوكهم غالبا مما يخالف طريقة الشرع والدين بالنسبة إلى عموم الشعب، فضلاً عن الدخلاء الجديدي العهد بالإسلام.

٤ ـ ان انتشار الفئات المأسورة من بلاد الكفر في ربوع بلاد المسلمين من دون تربية صحيحة قد يؤدي إلى انتشار ثقافتهم بين الاوساط الإسلامية مما قد يؤدي إلى عواقب وخيمة لا يمكن اصلاحها في المستقبل.

وأمور أخرى لا تخفى على من له المام بعلم الإجتماع والنفس.

واضافة إلى كل ذلك فهناك جهات تخص شخص الإمام في هذا المجال، نذكر منها:

١ ـ ان الإمام لم يكن يحتفظ بالمملوك أكثر من عام واحد، وكان يبادر إلى عتقه في أقرب فرصة ممكنة مع تزويده بما يؤمن له العيش الكريم.

٢ ـ ان الإمام كان يبتغي من شراء المماليك تعليمهم وتربيتهم بما يوافق الدين وما يضمن لهم السعادة في الحياة، حتى انه برز من بينهم من صار علما في المجتمع من حيث الثقافة والادب، ومن اوضح نماذجهم القراء الذين كانوا يواكبون مدرسة الإمام في حله وترحاله.

٣ ـ ولم يكن الإمام يعتق المملوك بدون ان يساعده في شق طريقه في الحياة، فكان عليه السلام يزوده بما يمكنه ان يعيش بواسطته عيشة كريمة من حرفة أو صنعة أو مورد رزق كبستان ومحل سكن.

٤ ـ سار الإمام عليه السلام مع مماليكه سيرة تتّسم بالرفق والعطف والحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، وقد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظلّ آبائهم، حتّى أنّه لم يعاقب أمَةً ولا عبداً فيما إذا اقترفا ذنباً[1].

---

(١) إقبال الأعمال ١: ٤٤٣ ـ ٤٤٥ بإسناده عن التلعكبري عن ابن عجلان عن الصادق عليه السلام. وعنه في بحار الأنوار: ٤٦: ١٠٣ ـ ١٠٥. و٩٨: ١٨٦ ـ ١٨٧.

وقد تقدم حديث المملوك الذي دعاه مرّتين فلم يجبه، فقال له عليه السلام: «لِمَ لَمْ تُجبْني؟» فقال: أمنت منك، فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول: «الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني...»[1].

وذكر ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، في ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام، ما نصه:. أخبرتنا أمُّ البهاء فَاطِمة بنتُ مُحَمَّد، أنا أبُو طاهر بن محمود، نا أبُو بكر بن المقرئ، نا مُحَمَّد بن جعفر الزرّاد، نا عُبَيْد الله بن سعد، نا عمِّي يعقوب بن إبْرَاهِيم، نا عاصم بن مُحَمَّد، عن واقد بن مُحَمَّد، عن سعيد بن مرجانة، قال: أعتقَ علي بن حسين غلاماً لهُ أعطاه بِهِ عَبْد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم وألف دينار[2].

وكان نتائج هذه العملية الانسانية عدة أمور، منها:

ان الإمام تمكن من خلال هذه العملية الانسانية أن يحرر أكبر قدر من العبيد الذين وقعوا في الأسر نتيجة للحروب الظالمة.

ان الإمام تمكن من خلال هذه العملية أن يكون مجموعة من العلماء والمتدينين الذين قاموا بأدوار متميزة في خدمة الدين والمجتمع.

ان الإمام تمكن من خلال هذه العملية الانسانية أن يبين للعبيد الذين لم يعرفوا من الإسلام شيئا الأسلوب الإسلامي الصحيح في التعامل مع الانسان على اساس انسانيته وان كان اسيرا ومملوكا.

ان المماليك الذين اعتقهم الإمام بقوا اوفياء للإمام ولم يغادروا

---

(١) الإرشاد ٢: ١٤٧، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٦ وفي تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٧.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٤ ـ ٣٨٠، وترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام: ٥٣.

ركابه حتى بعد الحرية، مما يدل على التاثير الايجابي الذي تركه معاملة الإمام معهم في الحياة.

وتمكن الإمام من خلال هذه العملية الانسانية أن يثبت جدارة الإسلام في كسب وُدّ الناس حتى الذين كانوا على عقيدة مخالفة للإسلام.

ومما يروى في تعامله مع مماليكه:

أنه كانت جارية له تسكب عليه الماء فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجه، فرفع رأسه إليها. فقالت: ان الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾. قال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال: عفى الله عنك، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال: فاذهبي فأنت حرة لوجه الله[1].

وكسرت جارية له قصعة فيها طعام فاصفر وجهها فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله[2].

وورد من دعائه عليه السلام في هذا المجال، قوله:

اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو، وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا، وأمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبوابنا، وقد جئتك سائلا، فلا تردني إلا بقضاء حاجتي، وأمرتنا بالاحسان إلى ما ملكت أيماننا، ونحن أرقاؤك، فأعتق رقابنا من النار. يا مفزعي عند كربتي، ويا غوثي عند شدتي، إليك فزعت، وبك

---

(١) مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهر آشوب ٣: ٢٩٦.
(٢) مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهر آشوب ٣: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

استغثت، وبك لذت، لا ألوذ بسواك ولا أطلب الفرج إلا منك، فأغثني وفرج عني. يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير، إقبل مني اليسير واعف عني الكثير، إنك أنت الرحيم الغفور[(١)].

وروى السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ما نصه: رويناه بإسنادنا إلى الشيخ أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري رضي الله عنه باسناده إلى محمد بن عجلان قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: كان علي بن الحسين عليه إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان، أذنبت فلانة، يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب. حتى إذا كان آخر الليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعا. ثم يقف وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربّك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضرا، كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضرا، واصفح كما ترجو من المليك العفو وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفوا، وبك رحيما، ولك غفورا، ولا يظلم ربك أحدا، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها. فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى

(١) الصحيفة السجّادية (ابطحي): ٢٣٤.

بالله حسيبا وشهيدا، فاعف واصفح يعفو عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]. قال: وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عمن ظلمنا، كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبوابنا، وقد أتيناك سؤالا ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وببابك، نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا، ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، إلهي كرمت فأكرمي، إذ كنت من سؤالك، وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم. ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة، فاني مليك سوء، لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل، فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت. فيقول لهم قولوا: اللهم أعف عن علي بن الحسين كما عفى عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق، فيقولون ذلك، فيقول: اللهم آمين يا رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم. فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأسا إلى أقل أو أكثر. وكان يقول: إن لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف ألف عتيق من النار، كلا قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، وإني

---

(١) القرآن الكريم، سورة النور ٢٤: ٢٢.

لأحب أن يراني الله، وقد أعتقت رقابا في ملكي في دار الدنيا، رجاء أن يعتق رقبتي من النار. وما استخدم خادما فوق حول، كان إذا ملك عبدا في أول السنة أو في وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم أعتق كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم حاجة يأتي بهم إلى عرفات، فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال[١].

وما استخدم خادما فوق حول، كان إذا ملك عبدا في أول السنة أو في وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم أعتق كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم حاجة يأتي بهم إلى عرفات، فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال[٢].

ومن مجموع هذه الأحاديث يعلم ان الإمام ﷺ كان قد اتخذ من عتق المماليك وسيلة لتكوين مدرسة تربوية ينشئ فيها أجيالا من الدعاة المؤدبين بآداب الإسلام، بدلا من يقعوا في فخاخ ذوي النفوس الدنيئة فيستعبدونهم لمآربهم الخاصة وشهواتهم الدنيئة.

إن تحرير الرقيق يشكل ظاهرة بارزة في حياة الإمام زين العابدين ﷺ بشكل ليس له مثيل في تاريخ الإمامة، فهو أمر يسترعي الانتباه والملاحظة. وإذا دققنا في الظروف والملابسات التي عايشها

(١) إقبال الأعمال ـ السيد ابن طاووس ١: ٤٤٣ ـ ٤٤٥.
(٢) إقبال الأعمال ـ السيد ابن طاووس ١: ٤٤٥، عنه البحار ٤٦: ١٠٥، ٩٨: ١٨٦ ـ ١٨٧، عنه مختصرا الوسائل ١٠: ٣١٧.

الإمام، وقمنا ببعض المقارنات بين أعمال الإمام، والأحداث التي كانت تجري من حوله، والظروف التي تكتنف عملية الإعتاق الواسعة التي تبناها الإمام زين العابدين ﷺ، تتضح الصورة الحقيقية لأهداف الإمام ﷺ من ذلك. فيلاحظ أوّلاً:

١ ـ أن أعداد الرقيق، والعبيد، كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالي في ازدياد بالغ مذهل، على أثر توالي الفتوحات.

٢ ـ أن الأمويين كانوا ينتهجون سياسة التفرقة العنصرية، فيعتبرون الموالي شبه الناس.

٣ ـ أن الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية، أخذا من نفس الخليفة، إلى جميع الأمراء وموظفي الدولة، لا يمثل الإسلام، بل كان كل واحد يعارض معنوياته وأخلاقه، وإن تنادى بشهاداته واسمه.

٤ ـ إن انتشار العبيد والموالي، وبالكثرة الكثيرة، ومن دون أي تحصين أخلاقي، أو تربية إسلامية، لأمر يؤدي ـ لا محالة ـ إلى شيوع البطالة، والفساد، وهو ما تركز عليه الدولة الظالمة التي تعمل في هذا الاتجاه بالذات.

ويلاحظ ثانياً:

١ ـ أن الإمام زين العابدين ﷺ كان يشتري العبيد والإماء، ولكن لا يبقي أحدهم عنده أكثر من مدة سنة واحدة فقط، وأنه كان مستغنيا عن خدمتهم. فكان يعتقهم بحجج متعددة، وبالمناسبات المختلفة. إذن، فلماذا كان يشتريهم؟ ولماذا كان يعتقهم؟

٢ ـ إنه ﷺ كان يعامل الموالي، لا كعبيد أو إماء، بل يعاملهم

معاملة إنسانية مثالية، مما يغرز في نفوسهم الأخلاق الكريمة، ويحبب إليهم الإسلام، وأهل البيت الذين ينتمي إليهم الإمام عليه السلام.

٣ ـ إنه عليه السلام كان يعلم الرقيق أحكام الدين ويملؤهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يخرج الواحد من عنده محصنا بالعلوم التي يفيد منها في حياته، ويدفع بها الشبهات، ولا ينحرف عن الإسلام الصحيح.

٤ ـ إنه عليه السلام كان يزود كل من يعتقه بما يغنيه، فيدخل المجتمع الجديد ليزاول الأعمال الحرة، كأي فرد من الأمة، ولا يكون عالة على أحد.

إن المقارنة بين هذه الملاحظات، وتلك، تعطينا بوضوح القناعة بأن الإمام كان بصدد إسقاط السياسة التي كان يزاولها الأمويون في معاملتهم مع الرقيق.

إن عمل الإمام زين العابدين عليه السلام أنتج نتائج عظيمة، هي:

١ ـ حرر مجموعة كبيرة من عباد الله، وإمائه الذين وقعوا في الأسر، وتلك حالة استثنائية غير طبيعية، ومع أن الإسلام كان قد أقرها لأمور يعرف بعضها من خلال قراءة التاريخ، إلا أن الشريعة قد وضعت طرقا عديدة لتخليص الرقيق وإعطائهم الحرية، وقد استغل الإمام عليه السلام كل الظروف والمناسبات لتطبيق تلك الطرق، وتحرير العبيد والإماء.

وفي عمله تطبيق للشريعة وسننها، كما يدل عليه الحديث التالي: فعن سعيد بن مرجانة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار، حتى أنه يعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج). فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة! قال سعيد: نعم. فقال

الإمام: ادع لي مطرفاً ـ لغلام له أفره غلمانه ـ فلما قام بين يديه، قال: إذهب، فأنت حر لوجه الله.

إن الإمام زين العابدين ﷺ لا يخفى عليه ثواب عتق الرقبة، وإنما أراد أن يؤكد على سنة العتق من خلال تقرير الراوي على سماع الحديث! وليكون عمله قدوة للآخرين كي يقوموا بعتق ما يملكون من الرقاب.

٢ ـ إن الرقيق المعتقين يشكلون جيلا من التلامذة الذين تربوا في بيت الإمام ﷺ وعلى يده، بأفضل شكل، وعاشوا معه حياة مفعمة بالحق والمعرفة، والصدق والإخلاص، وبتعاليم الإسلام من عقائد وشرائع وأخلاق كريمة. فقد كانت جماعة الرقيق تحتفظ بكل ذلك في قرارات النفوس، في شعورهم أو لا شعورهم، وينقلونه إلى الأجيال المتعاقبة، وفي ذلك حفظ الإسلام.

ولا ريب أن الإمام زين العابدين ﷺ لو أراد أن يفتح مدرسة لتعليم مجموعة من الناس، فلا بد أنه كان يواجه منعا من الجهاز الحاكم، أو عرقلة لعمله، أو رقابة شديدة على أقل تقدير.

٣ ـ إن الإمام ﷺ استقطب ولاء الأعداد الكبيرة من هؤلاء الموالي المحررين، إذ لا يزال ولاء العتق يربطهم بالإمام ﷺ، ولا ريب أنهم أصبحوا جيشا، فإن عددهم بلغ ـ في ما قيل ـ خمسين ألفا، وقيل: مائة ألف!.

فعن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم الأنصاري، قال: كان علي بن الحسين خارجا من المسجد فلقيه رجل فسبه! فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلا عن الرجل، ثم أقبل على الرجل، فقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟

ـ فاستحيى الرجل ـ فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم. فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

وقد كان لهؤلاء العبيد موقف دفاعي آخر، عن أهل البيت، لما سمعوا أنباء ضغط ابن الزبير على آل أبي طالب في مكة، وشيخهم محمد بن الحنفية عم الإمام زين العابدين عليه السلام، فيما رواه البلاذري بسنده عن المشايخ يتحدثون: أنه لما كان من أمر ابن الحنفية ما كان، تجمع بالمدينة قوم من السودان، غضبا له، ومراغمة لابن الزبير. فرأى ابن عمر غلاما له فيهم، وهو شاهر سيفه! فقال له: رباح! قال رباح: والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا. فبكى ابن عمر، وقال: اللهم إن هذا لذنوبنا.

وقال عبد العزيز سيد الأهل: وجعل الدولاب يسير، والزمن يمر وزين العابدين يهب الحرية في كل عام، وكل شهر، وكل يوم، وعند كل هفوة، وكل خطأ، حتى صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار، والجواري الحرائر، وكلهم في ولاء زين العابدين.

حقا لقد تحين الإمام عليه السلام الفرص، واهتبل حتى الزلة الصغيرة تصدر من أحد الموالي ليهب له الحرية، فكان يكافئ الإساءة بالإحسان ليكون أعذب عند الذي يعتق، وأركز في خلده، فلا ينساه. إن الإمام زين العابدين عليه السلام استنفد كل وسيلة للتحرير. وتقدم حديث الجارية التي سقط الإبريق من يدها على وجهه، فشقه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها وقال لها: اذهبي، فأنت حرة.

فكأن هذا الحوار كان امتحانا واختبارا، نجحت فيه هذه الجارية،

بحفظها هذه الآية، واستشهادها بها، فكانت جائزتها من الإمام ﷺ أن تعتق!

وقال عبدالله بن عطاء: أذنب غلام لعلي بن الحسين ذنبا استحق منه العقوبة، فأخذ له السوط، فقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾(١). فقال الغلام: وأما أنا كذلك، إني لأرجو رحمة الله وأخاف عقابه. فألقى السوط، وقال: أنت عتيق. فلقد لقنه الإمام ﷺ بقراءة الآية، وهو يختبر معرفته بمعناها وذكاءه، فأعتقه مكافأة لذلك.

وكان عند الإمام ﷺ قوم، فاستعجل خادم له شواءا كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعا، وسقط السفود من يده على بني للإمام ﷺ أسفل الدرجة، فأصاب رأسه، فقتله، فوثب الإمام ﷺ، فلما رآه، قال للغلام: إنك حر، إنك لم تتعمده، وأخذ في جهاز ابنه.

ولعملية الإعتاق على يد الإمام ﷺ صور مثيرة أحيانا، تتجاوز الحسابات المتداولة: ففي الحديث المتقدم عن سعيد بن مرجانة، وجدنا أن الإمام ﷺ قد أعتق غلاما اسمه (مطرف) وجاء في ذيل الحديث، أن عبدالله بن جعفر الطيار كان قد أعطى الإمام زين العابدين ﷺ بهذا الغلام (ألف دينار) أو (عشرة آلاف درهم).

وكان بإمكان الإمام ﷺ أن يبيع الغلام بهذا الثمن الغالي، ويعتق بالثمن مجموعة من الرقيق أكثر من واحد، ولكن الإصرار على إعتاق هذا الغلام بالخصوص ـ مع غلاء ثمنه ـ يحتوي على معنى أكبر من العتق: فهو تطبيق لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢). وهو

---

(١) القرآن الكريم، سورة الجاثية ٤٥: ١٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٩٢.

إيماء إلى أن الإنسان لا يعادل بالأثمان، مهما غلت وعلت أرقامها! ولعل السبب الأساسي هو: أن غلاء ثمن الغلام لا يكون إلا من أجل أدبه، وذكائه، وحنكته، وقوته، وغير ذلك مما يجعله فردا نافعا، فإذا صار حرا، وهو متصف بهذه الصفات، يفيد المجتمع ككل، فهو أفضل ـ عند الإمام ﷺ ـ من أن يكون عبدا يستخدمه شخص واحد لأغراضه الخاصة، مهما كانت شريفة! وبهذا واجه الإمام زين العابدين ﷺ مشكلة الرق، واستفاد منها، في صالح المجتمع والدين.

وبما أنه ﷺ كان يحتل موقعا رفيعا بين الأمة الإسلامية جمعاء: إما لأنه إمام مفترض الطاعة، عند المعتقدين بإمامته ﷺ. أو لأنه من أفضل فقهاء عصره، والمعترف بورعه وتقواه وعلمه، عند الكافة[١].

فكانت سيرته هذه ذات جنبتين انسانية ودينية، حيث انقذ الكثير ممن وقع في الأسر من المهانة والذل إلى عز الحرية والكرامة، وقد عمل الإمام اضافة إلى كل ذلك على رفع معنويات المماليك بأن أعتق احداهن ثم تزوجها، على ما رواه محمد بن الحسن بإسناده عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عبدالله بن زرارة، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما ﷺ قال: لما زوج علي بن الحسين ﷺ أمه مولاه وتزوج هو مولاته فكتب إليه عبد الملك كتابا يلومه فيه ويقول: قد وضعت شرفك وحسبك، فكتب إليه علي بن الحسين ﷺ: إن الله رفع بالإسلام كل خسيسة، وأتم به الناقصة، وأذهب به اللؤم، فلا لؤم على مسلم، وإنما اللوم لوم الجاهلية، وأما تزويج أمي فإنما أردت بذلك برها، فلما انتهى الكتاب

---

(١) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ١٤٤ ـ ١٥٠.

إلى عبد الملك قال: لقد صنع علي بن الحسين عليه السلام أمرين ما كان يصنعهما أحد إلا علي بن الحسين فإنه بذلك زاد شرفا.

وعن الحسين بن سعيد في كتاب (الزهد): عن النضر بن سويد، عن حسين بن موسى، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام، نحوه، وزاد في كتاب علي بن الحسين عليه السلام: ولنا برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة، زوج زينب بنت عمه زيدا مولاه، وتزوج مولاته صفية بنت حيي بن أخطب[1].

ثالثاً ـ عناية الإمام بالفقراء والمساكين:

وتنوعت عناية الإمام بالفقراء والمساكين وإشاعة تعاليم الدين في المجتمع بصور شتى، نذكر منها:

أ ـ إكرام الفقراء والمساكين:

روي انه عليه السلام كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهرِهِ، وفيهِ الصّرر من الدّنانير والدّراهم، ورُبّما حملَ على ظهرِهِ الطعام أو الحطب حتّى يأتي باباً باباً فيقرعهُ، ثمَّ يناول من يخرج إليهِ. وكان يغطّي وجههُ إذا ناول فقيراً لئلا يعرفهُ، فلمّا تُوفِي عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان علي بن الحسين عليه السلام ولما وضع على المغتسل نظروا إلى ظهرِهِ وعليهِ مثل ركب الإبل، مِمّا كان يحملُ على ظهرِهِ إلى منازل الفقراء والمساكين[2].

وعن الصادق عليه السلام: إنه كان علي بن الحسين عليه السلام يعجب بالعنب

---

(١) وسائل الشيعة (ط: آل البيت) ـ الحر العاملي ٢٠: ٧٥، ح٢٥٠٧٠ ـ ٢٥٠٧١.
(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٦٦.

فدخل منه إلى المدينة شيء حسن، فاشترت منه ام ولده شيئا وأتته به عند إفطاره فأعجبه، فقبل أن يمد يده وقف بالباب سائل، فقال لها: احمليه إليه، قالت: يا مولاي بعضه يكفيه، قال: لا والله، وأرسله إليه كله، فاشترت له من غد وأتت به فوقف السائل، ففعل مثل ذلك فأرسلت فاشترت له، وأتته به في الليلة الثالثة ولم يأت سائل فأكل وقال: «ما فاتنا منه شيء والحمد لله»[1].

وكان علي بن الحسين ﷺ ليخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدراهم حتى يأتي بابا بابا فيقرعه ثم يناول من يخرج إليه، فلما مات علي بن الحسين ﷺ فقدوا ذلك فعلموا أن علي بن الحسين الذي كان يفعل ذلك[2].

فحمله المتاع إلى دور الفقراء صون لهم من التذلل والطلب، وهو من افضل انواع الاكرام للمعوزين والفقراء حفظا لماء وجههم من ذل الطلب.

ـ تكريمه للفقراء:

كان ﷺ يحتفي بالفقراء ويرعى عواطفهم ومشاعرهم، فكان إذا أعطى سائلاً قبّله، حتّى لا يُرى عليه أثر الذلّ والحاجة[3].

وكان إذا قصده سائل رحّب به وقال له: «مرحباً بمن يحمل لي زادي إلى الآخرة»[4].

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٩٠.
(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٦٦.
(٣) حلية الأولياء ٣: ١٣٧، وعنه في مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٧.
(٤) كشف الغمة ٢: ٢٨٨، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: ٤١٢، بحار الأنوار ٤٦: ٩٨.

ـ عطفه على الفقراء:

كان عليه السلام كثير العطف والحنان على الفقراء والمساكين، وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتّى يأتي باباً من أبوابهم فيناولهم إيّاه[1].

وبلغ من مراعاته لجانب الفقراء والعطف عليهم أنّه كره اجتذاذ النخل في الليل؛ وذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد قال عليه السلام لقهرمانه ووجده قد جذّ نخلاً له من آخر الليل: «لا تفعل، ألا تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن الحصاد والجذاذ بالليل؟!». وكان يقول: «الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده»[2].

ـ نهيه عن ردّ السائل:

وكان الإمام عليه السلام ينهى عن ردّ السائل؛ وذلك لما له من المضاعفات السيّئة التي منها زوال النعمة وفجأة النقمة.

وقد أكد الإمام عليه السلام ضرورة ذلك في كثيرٍ من أحاديثه، فقد روى أبو حمزة الثمالي، قال: «صلّيت مع عليّ بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلمّا فرغ من صلاته وسبحته نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاةً له تسمّى سكينة، فقال لها: لا يعبر على بابي سائل إلاّ أطعمتموه فإنّ اليوم يوم جمعة، فقلت له: ليس كل من يسأل مستحقاً، فقال عليه السلام:

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٦ و١٦٧ عن الباقر عليه السلام.

(٢) وسائل الشيعة ٩: ٢٠١، جامع أحاديث الشيعة ٨: ١٤١، بحار الأنوار ٩٣: ٩٨.

يا ثابت، أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه، ونردّه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم، أطعموهم، إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه، ويأكل هو وعياله منه، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً محقّاً، له عند الله منزلة وكان مجتازاً غريباً اعتر على باب يعقوب عشية جمعةٍ عند أوان إفطاره، يهتف على بابه: أطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعونه، وقد جهلوا حقّه، ولم يصدّقوا قوله، فلمّا يئس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه إلى الله عزّ وجل، وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً للّه، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، قال: فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلة استجررت بها غضبي، واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي، وبلواي عليك وعلى ولدك. يا يعقوب، إنّ أحبّ أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ من رحم مساكين عبادي وقرّبهم إليه وأطعمهم، وكان لهم مأوى وملجأ، يا يعقوب، أما رحمت ذميال عبدي المجتهد في عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا؟!... أما وعزّتي لأنزلنّ بك بلواي، ولأجعلنّك وولدك غرضاً لمصائبي. فقال أبو حمزة: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ قال عليه السلام: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً، وبات فيها ذميال طاوياً جائعاً»[1].

(١) علل الشرائع ١: ٦١ ب ٤٢ ح ١، ط: بيروت، وذمل البعير: سار سيراً ليناً. وذميال هنا: اسم السائل.

ـ صدقاته:

وكان من أعظم ما يصبو إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في حياته: الصدقة على الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم، وكان عليه السلام يحثّ على الصدقة؛ وذلك لما يترتّب عليها من الأجر الجزيل، فقد قال: «ما من رجل تصدّق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلاّ استجيب له»(١).

ـ مساعدته للفقراء والتحسس بآلامهم:

أجمع المؤرّخون على أنّه كان من أسخى الناس وأنداهم كفّاً، وأبرّهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده، وقد تقدم في سخائه أن محمّد بن أُسامة مرض فعاده الإمام عليه السلام، ولمّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء، فقال له الإمام عليه السلام: ما يبكيك؟ فقال: عليّ دين، فقال له الإمام: كم هو؟ فأجاب: خمسة عشر ألف دينار، فقال له الإمام عليه السلام: هي عليّ، ولم يقم الإمام من مجلسه حتّى دفعها له(٢).

ب ـ عطفه على أهله:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أرأف الناس وأبرّهم وأرحمهم بأهل بيته، وكان لا يتميّز عليهم، وقد أُثر عنه أنّه قال: «لئن أدخل

---

(١) وسائل الشيعة ٦: ٢٩٦، جامع أحاديث الشيعة ٨: ٣٨٩، ثواب الأعمال: ١٤٥.
(٢) الإرشاد ٢: ١٤٩، مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٣، راجع: البداية والنهاية ٩: ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ٤: ٢٣٩.

السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحماً وقد قرموا أحبّ إلي من أن أعتق نسمة»[(١)].

وكان يبكر في خروجه مصبحاً لطلب الرزق لعياله، فقيل له: يابن رسول الله، أين تذهب؟ فقال: «أتصدّق لعيالي، قيل له: أتتصدق؟ قال: من طلب الحلال فهو من الله عزّوجلّ صدقة عليهم»[(٢)].

وكان ﷺ يعين أهله في حوائجهم البيتية، ولا يأمر أحداً منهم فيما يخصّ شأنا من شؤونه الخاصة، كما كان يتولّى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يخصّ شؤون عبادته، فإنّه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها.

ج ـ مع مربيته:

وقابل الإمام المعروف الذي أسدته إليه مربّيته بكلّ ما تمكن عليه من أنواع الإحسان، وقد بلغ من جميل برّه بها أنّه امتنع أن يؤاكلها فلامه الناس، وأخذوا يسألونه بإلحاح قائلين: أنت أبرّ الناس وأوصلهم رحماً، فلماذا لا تؤاكل أمّك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً: «أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقّاً لها»[(٣)].

---

(١) الكافي ٤: ١٢، جامع أحاديث الشيعة ٢١: ٤٦٦. والقرم: شدّة الميل والشهوة إلى أكل اللحم. كما في القاموس.

(٢) الكافي ٤: ١٢، وسائل الشيعة ١٧: ٦٧.

(٣) الكامل للمبرد ١: ٣٠٢، شذرات اللعب ١: ١٠٥، مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٦ عن أمالي النيشابوري، الخصال: ٥١٨ مع اختلاف يسير.

د ـ ومن برّه لأبويه: دعاؤه لهما:

وهو من أسمى القواعد في التربية الإسلامية الهادفة، وهذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه ﷺ: «... واخصص اللهمّ والديّ بالكرامة لديك، والصلاة منك يا أرحم الراحمين... وألهمني علم ما يجب لهما عليّ إلهاماً، واجمع لي علم ذلك كلّه تماماً، ثم استعملني بما تلهمني منه، ووفّقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه... اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن، حتّى أوثر على هواي هواهما، وأُقدّم على رضاي رضاهما، واستكثر برّهما بي وإن قلّ، واستقلّ برّي بهما وإن كثر.

اللهمّ خفّض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي، وألِن لهما عريكتي، واعطف عليهما قلبي، وصيرني بهما رفيقاً وعليهما شفيقاً... اللهمّ اشكرلهما تربيتي، وأثبهما على تكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاه منّي في صغري... اللهمّ لا تُنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي إناً من آناء ليلي، وفي كل ساعة من ساعات نهاري... اللهمّ صلّ على محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرّهما بي...»[1].

هـ ـ سيرته ﷺ مع أبنائه:

أمّا سلوك الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ﷺ مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيّرة

---

(١) الصحيفة السجّادية، دعاؤه لأبويه: ١٢٨، والعسوف: الظلوم. والوسنان: النعسان والعريكة: الطبيعة.

واتّجاهاته الإصلاحية العظيمة، وقد صاروا بحكم تربيته لهم من ألمع رجال الفكر والعلم والجهاد في الإسلام.

و ـ مع سائر شرائح المجتمع:

ونشير إلى بعض ألوان صدقاته وجميل خصاله في تعامله مع الناس بصورة عامة:

أ ـ التصدّق بثيابه:

كان ﷺ يلبس في الشتاء الخزّ، فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه وتصدّق بثمنه، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدّق بهما إذا جاء الشتاء، وكان يقول: «إني لأستحي من ربّي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه»(١).

ب ـ التصدّق بما يحبّ:

كان يتصدّق باللوز والسكر، فسئل عن ذلك فقرأ قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٢).

وروي أنّه كان عليّ بن الحسين ﷺ يعجبه العنب، فكان يوماً صائماً فلمّا أفطر كان أوّل ما جاء العنب، أتته أمّ ولد له بعنقود عنب، فوضعته بين يديه، فجاء سائل فدفعه إليه، فدسّت أمّ ولده إلى السائل فاشترته

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٩٩، تهذيب الكمال ٢: ٣٩٨، شرح إحقاق الحقّ ٢٨: ٦١. ومناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٧ عن حلية الأولياء ٣: ١٣٦ ـ ١٤٠، تهذيب الأحكام ٢: ٣٦٩، بحار الأنوار ٤٦: ١٠٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٣، بحار الأنوار ٤٦: ٨٩، أعيان الشيعة ١: ٦٣٣.

منه، ثم أتته به فوضعته بين يديه، فجاء سائل آخر فأعطاه إياه ففعلت أم الولد كذلك، ثم أتته به فوضعته بين يديه، فجاء سائل آخر فأعطاه[١].

ج ـ مقاسمة أمواله:

وقاسم الإمام أمواله مرّتين فأخذ قسماً له، وتصدّق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين[٢].

د ـ صدقاته في السرّ:

وكان أحبّ شيء عند الإمام ﷺ الصدقة في السر، لئلاّ يعرفه أحد، وقد أراد أن يربط نفسه ومن يعطيهم من الفقراء برباط الحبّ في الله تعالى، توثيقاً لصلته بإخوانه الفقراء بالإسلام، وكان يحثّ على صدقة السرّ ويقول: «إنّ صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ»[٣].

وقد اعتاد الفقراء على صلة لهم في الليل، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب[٤].

وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير فيقول له العلوي: إنّ عليّ بن الحسين لا يوصلني، ويدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك ويغضي عنه، ولا يُعرّفه بنفسه، ولمّا توفّي ﷺ فقد الصلة، فعلم

---

(١) الكافي ٦: ٣٥٠، المحاسن ٢: ٥٤٧ مع اختلاف يسير.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٧ عن حلية الأولياء ٣: ١٤٠، جمهرة الأولياء ٢: ٧١، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٣١.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣:٢٩٢ عن الثمالي والثوري، وفي تذكرة الحفاظ: ١: ٧٥ وأخبار الدول: ١١٠ ونهاية الإرب: ٢١: ٣٢٦، وكشف الغمة: ٢:٢٨٩ عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء. وفي الكشف: ٢:٣١٢ عن الجنابذي عن الثوري عنه ﷺ كان يقول: إنّ الصدقة تطفئ غضب الرب. بدون قيد السّر.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٣، شرح الأخبار ٣: ٢٥٤.

أنّ الذي كان يوصله هو الإمام عليّ بن الحسين ﷺ فكان يأتي قبره باكياً ومعتذراً منه(١).

وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن الحسين(٢).

وكان ﷺ شديد التكتّم في صلاته وهباته، فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطّى وجهه لئلاّ يعرفه(٣).

وقال الذهبي: إنّه كان كثير الصدقة في السرّ(٤).

وكان ﷺ يجعل الطعام الذي يوزّعه على الفقراء في جراب ويحمله على ظهره، وقد ترك أثراً عليه(٥).

هـ - ابتغاؤه مرضاة الله:

ولم يكن الإمام ﷺ يبتغي في برّه وإحسانه إلى الفقراء إلاّ وجه الله عزّوجلّ والدار الآخرة، ولم تكن عطاياه وصدقاته ﷺ مشوبة بأيّ غرض من أغراض الدنيا.

وعن سفيان بن عيينة قال: رأى الزهري عليّ بن الحسين في ليلة باردة مطيرة على ظهره دقيق وحطب وهو يمشي، فقال له: يابن رسول الله، ما هذا؟ قال ﷺ: «أريد سفراً، أعدّ له زاداً أحمله إلى

---

(١) كشف الغمة: ٢:٣١٩ عن نثر الدرر للآبي، بحار الأنوار ٤٦: ١٠٠.

(٢) حلية الأولياء وعنه في مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٦ وكشف الغمة ٢: ٢٩٠ عن مطالب السؤول عن الحلية ٤: ١٣٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٩: ١١٤، صفة الصفوة ٢: ٥٤، الإتحاف بحب الأشراف: ٤٩ والأغاني ١٥: ٣٢٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٣ عن الباقر ﷺ، الخصال: ٥١٧.

(٤) تذكرة الحفّاظ ١: ٧٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢:٣٠٣، ط:بيروت، الخصال: ٥١٧، علل الشرائع ١: ٢٣١.

موضع حريز». فقال الزهري: هذا غلامي يحمله عنك، فأبى، قال: أنا أحمله فإنّي أرفعك عن حمله، فقال عليّ بن الحسين: ولكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري، ويحسّن ورودي على ما أردُ عليه، أسألك بحق الله لمّا مضيت لحاجتك وتركتني».

فانصرفت عنه فلمّا كان بعد أيام قلت له: يابن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً.

قال عليه السلام: «بلى يا زهري، ليس ما ظننته، ولكنّه الموت وله أستعدُّ، إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل الندى في الخير»[1].

و ـ سخاؤه عليه السلام:

أجمع المؤرّخون على أنّه كان من أسخى الناس وأنداهم كفّاً، وأبرّهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نوادر كثيرة تعكس عطفه على الآخرين من فيض جوده، نذكر نماذج منها:

١ ـ مرض محمّد بن أسامة، فعاده الإمام عليه السلام، ولمّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء، فقال له الإمام عليه السلام: ما يبكيك؟ فقال: عليّ دين، فقال له الإمام: كم هو؟ فأجاب: خمسة عشر ألف دينار، فقال له الإمام عليه السلام: هي عليّ، ولم يقم الإمام من مجلسه حتّى دفعها له[2].

(١) علل الشرائع ١: ٢٣١، وسائل الشيعة ٩: ٤٠١، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٣.
(٢) الإرشاد ٢: ١٤٩، مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٣، راجع: البداية والنهاية ٩: ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ٤: ٢٣٩.

٢ ـ ومن كرمه وسخائه أنّه كان يطعم الناس إطعاماً عامّاً في كلّ يوم، وذلك في وقت الظهر في داره[١].

٣ ـ وكان يعول مائة بيتٍ في السرّ، وكان في كلّ بيتٍ جماعة من الناس[٢].

ز ـ تواضعه:

إنّ الألقاب الكريمة التي اختص بها الإمام لم يلقّب بها الإمام إلاّ باعتباره التجسيد الحيّ لها، والمصداق الكامل لـ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٣]. وبعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعته، ولم يكونوا يعتبرونه إماماً من قبل الله تعالى، لكنّهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التي رأوها فيه. وتقدم بعض النماذج من ذلك:

ـ سبّه لئيمٌ فأشاح عليه السلام بوجهه عنه، فقال له اللئيم: إيّاك أعني... وأسرع الإمام قائلاً: «وعنك أُغضي...»[٤]. وتركه الإمام ولم يقابله بالمثل.

ـ ومن عظيم حلمه عليه السلام: أنّ رجلاً افترى عليه وبالغ في سبّه،

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٩، ط: بيروت.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٦٦ عن الباقر عليه السلام وعن أحمد بن حنبل، كشف الغمة: ٢: ٢٨٩ عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء، وفي الكشف: ٢: ٣١٢، عن الجنابذي، ولكن فيه: ٢: ٣٠٤ عنه أيضاً عن الصادق عليه السلام قال: كان يعول سبعين بيتاً، التمهيد، لابن عبدالبرّ ٩: ١٥٨.

(٣) الفرقان ٢٥: ٦٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٧١، البداية والنهاية: ٩: ١٠٥، تهذيب التهذيب ٧: ٢٧٠.

فقال ﷺ له: «إن كنّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك...»[(١)].

ـ وعن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن غالب الأسدي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: حضرت علي بن الحسين ﷺ يوما حين صلى الغداة فإذا سائل بالباب فقال علي بن الحسين ﷺ: أعطوا السائل ولا تردوا سائلا[(٢)].

ـ وروى محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في العلل، قال: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل، قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن مالك بن عطية عن الثمالي عن علي بن الحسين ﷺ أنه قال لمولاة له يقال لها سكينة ـ يوم جمعة ـ: لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه فإن اليوم الجمعة، فقلت له: ليس كل من يأكل محقا، فقال: يا ثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقا فلا نطعمه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله: أطعموهم أطعموهم. إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق منه ويأكل هو وعياله وإن سائلا صواما محقا له عند الله منزلة ـ وكان غريبا مجتازا ـ اعتر ـ على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه اطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم يهتف بذلك على بابه مرار، وهم يسمعونه قد جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله، فلما يئس أن يطعموه، وغشيه الليل استعبر واسترجع، وشكى جوعه إلى

(١) الإرشاد ١: ١٤٦ عن نسب آل أبي طالب للعيلي النسّابة م ٢٧٠ هـ.
(٢) الكافي ـ الشيخ الكليني ٤: ١٥، ح٤.

الله تعالى وبات طاويا وأصبح صائما جائعا صابرا حامدا لله، وبات يعقوب وآل يعقوب بطانا شباعا وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، قال: فأوحى الله عز وجل إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلة استجررت بها غضبي واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب إن أحب أنبيائي إلي وأكرمهم علي من رحم مساكين عبادي وقربهم إليه وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجأ، يا يعقوب أما رحمت ذميال عبدي المجتهد في عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا ـ عشاء أمس ـ لما اعتر ببابك عند أوان إفطاره، وهتف بكم اطعموا السائل الغريب المجتاز القانع فم تطعموه شيئا فاسترجع واستعبر وشكى ما به إلي ـ وبات طاويا حامدا لي، وأنت يا يعقوب وولدك شباع، وأصبحت عندكم فضلة من طعامكم أو ما علمت يا يعقوب أن العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن النظر من لأوليائي واستدراج مني لأعدائي، أما وعزتي لأنزلن بك بلوائي، ولأجعلنك وولدك غرضا لمصائبي وللأؤدبنك بعقوبتي فاستعدوا لبلوائي وارضوا بقضائي واصبروا للمصائب الحديث(١).

فقلت لعلي بن الحسين ﷺ: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعا، وبات فيها ذميال طاويا جائعا(٢).

---

(١) الجواهر السنية ـ الحر العاملي: ٢٦ ـ ٢٨، وقال الحر العاملي: أقول لا ريب أن الذي صدر من يعقوب إنما هو ترك الأولى أعني اطعام ذلك السائل وكذلك جميع ما يوهم صدور الذنب من المعصومين ﷺ فيجب تأويل الغضب بغايته ـ هنا ـ وهي منع ثواب ذلك المندوب الذي تركه يعقوب، ولو فعله لأثابه الله بصرف البلاء عنه، ويجب تأويل العقوبة بالبلوى وإن لم يتقدمها ذنب.

(٢) تفسير أبي حمزة الثمالي ـ أبو حمزة الثمالي: ٢٠٥.

ح ـ حلمه وعفوه عن المسيء:

وولي هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة، فنال علي بن الحسين ﷺ من الأذى والمكروه عظيما، ثم عزله الوليد بعد ذلك وأمر أن يوقف للناس، فلم يكن أخوف من أحد [كخوفه] من علي بن الحسين ﷺ لما ناله منه أن يرفع ذلك عليه ويقول فيه ويشكره، فلم يقل فيه شيئا ونهى خاصته وأهل بيته، وكل من سمع له من القول فيه بسوء. ثم أرسل إليه وهو واقف عند دار مروان: انظر ما أعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك، وطب نفسا منا، ومن كل من يطيعنا. فنادى هشام ـ وهو قائم ـ بأعلى صوته: الله أعلم حيث يجعل رسالته(١).

وقيل: إن [الحسن بن الحسن] بن علي وقف على [علي] بن الحسين، فأسمعه، [وشتمه] وعنده جماعة، فسكت ﷺ فلم يجبه، فلما مضى قال لمن معه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل؟ قالوا: سمعنا وساءنا ما سمعناه ولقد كنا نحب أن تقول. فتلا ﷺ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ثم قال: أحب أن تقوموا معي إلى [منزل] حتى تسمعوا ردي عليه، فإنه لم ينبغ لي أن أرد عليه في مجلسي. فقام القوم معه، [وهم] يرون أنه يستنصف منه. فلما أتى إلى منزله استأذن عليه، فخرج إليه، وظن أنه إنما جاء ليتنصف منه، فبدأه، فواثبه بالكلام. فقال: على رسلك يا أخي، قد سمعت ما قلت في مجلسي ونحن في مجلسك، فاسمع ما أقول لك: إن كان الذي قلت لي كما قلت فإني أسأل الله أن يغفر لي، وإن لم يكن ذلك كما قلت فإني أسأل

---

(١) شرح الأخبار ـ القاضي النعمان المغربي ٣: ٢٦٠.

الله أن يغفر لك. فاستحى الحسن، وقام إليه وقبل رأسه وما بين عينيه، وقال: بل قلت لك والله ما ليس فيك، استغفره واعتذر إليه[١].

ـ وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح، حتى أنه سبه رجل فتغافل عنه، فقال له: إياك أعني، فقال: «وعنك أعرض» أشار إلى الآية: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. وكان يقول: «ما يسرني بنصيبي من الذل حمر النعم»[٢].

وقال الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
سكتُّ عن السفيه فظنّ أني ... عييت عن الجواب، وما عييت[٣]

ـ وعن أبي عبدالله ﷺ، قال: كان بالمدينة رجل بطال يضحك الناس منه، فقال: قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه ـ يعني علي بن الحسين ﷺ ـ قال: فمر علي ﷺ وخلفه موليان له، فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبته، ثم مضى، فلم يلتفت إليه علي ﷺ، فاتبعوه وأخذوا الرداء منه، فجاءوا به فطرحوه عليه، فقال لهم: من هذا؟ فقالوا له: هذا رجل بطال يضحك منه أهل المدينة. فقال: قولوا له: إن لله يوما يخسر فيه المبطلون[٤].

ـ وعن محمد عن محمد بن أحمد عن يوسف بن السخت عن علي بن محمد بن سليمان عن الفضل بن سليمان عن العباس بن عيسى

(١) شرح الأخبار ـ القاضي النعمان المغربي ٣: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.
(٢) مناقب أهل البيت ﷺ ـ المولى حيدر الشيرواني: ٢٥٧.
(٣) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١٨: ٩٩ ـ ١٠٠.
(٤) الأمالي ـ الشيخ الصدوق: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

قال: «ضاق على علي بن الحسين ﷺ ضيقة فأتى مولى له فقال له: أقرضني عشرة آلاف درهم إلى ميسرة فقال: لا لأنه ليس عندي ولكني أريد وثيقة قال: فنتف له من ردائه هدبة فقال: هذه الوثيقة فقال: فكأنّ مولاه كره ذلك فغضب ﷺ فقال: أنا أولى بالوفاء أم حاجب بن زرارة فقال: أنت أولى بذلك منه قال: فكيف صار حاجب بن زرارة يرهن قوسا وإنما هي خشبة على مائة جمالة وهو كافر فيفي وأنا لا أفي بهدبة ردائي قال: فأخذها الرجل منه وأعطاه الدراهم وجعل الهدبة في حق فسهل الله عز وجل له المال فحمله إلى الرجل ثم قال له: قد أحضرت مالك فهات وثيقتي فقال له: جعلت فداك ضيعتها فقال: إذن لا تأخذ مالك مني ليس مثلي من يستخف بذمته قال: فأخرج الرجل الحق فإذا فيه الهدبة فأعطاها علي بن الحسين ﷺ فأعطاه علي بن الحسين ﷺ الدراهم وأخذ الهدبة فرمى بها وانصرف»(١).

ـ وموقفه في إيواء عائلة مروان في واقعة الحرة يدل على منتهى مكارم الأخلاق والمجازاة على الإساءة بالاحسان ولا عجب إذا جاء الشيء من معدنه:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح(٢)

بل ورد إنه في وقعة الحرة ضم إليه أربعمائة امرأة منافية

---

(١) الوافي ـ الفيض الكاشاني ١٧: ١٤٣ ـ ١٤٤، ح١٧٠١٦، وقال الفيض في البيان: فقال لا لأنه التعليل نفيا وإثباتا لمحذوف حذف أدبا وحياء نحو لا أقرضك أو ما يؤدي معناه والهدبة بالضم وبضمتين خمل الثوب والجمالة مثلثة جمع جمل والحق بالضم الحقة.
(٢) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ١: ٦٣٦ ـ ٦٣٧.

وبعولتهن[١]. إلى أن تفرق جيش مسلم بن عقبة. وفي رواية: أربعمائة امرأة مع أولادهن[٢].

رابعاً: مساندته العمليّة للأفكار الصحيحة بتأسيس المدرسة:

إنّ حالة الجمود الفكريّ والركود العلميّ التي أصابت الأمّة الإسلامية بسبب سيطرة بني أميّة على الحكم، كانت تستدعي حركة فكرية اجتهادية تفتح الآفاق الذهنية للمسلمين، كي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين ﷺ فانبرى إلى تأسيس مدرسة علمية وإيجاد حركة فكرية بما بدأه من حلقات البحث والدرس في مسجد الرسول ﷺ وبما كان يثيره في خطبه في أيام الجُمَع أسبوعيّا.

أخذ الإمام ﷺ يحدّث بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وأخلاق، ويفيض على الناس من علوم آبائه الطاهرين ويمرّن النابهين منهم على التفقّه والاستنباط.

وقد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية.

وكانت النتيجة أن شهدت المدينة المنورة حركة علمية بلغت أوجها في زمن الصادقين ﷺ، وأن المحافل العلمية في المدينة كانت تشكل الدعامة القوية لنصرة التشيع وأهل البيت ﷺ ومسجد الرسول ﷺ يشهد

---

(١) المنافي، أي من بني عبد مناف.

(٢) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ١: ٦٣٧.

بذلك. كما أن صحابة السول اتجهوا إلى الأئمة عليهم السلام عند تواجدهم في المدينة، كالإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الكاظم عليهم السلام، فمثلاً اتجه علماء المدينة في أواخر القرن الأول الهجري إلى الإمام الباقر عليه السلام للاخذ عنه والاختلاف إليه مع وجود رجال من الصحابة والتابعين الذين انفردوا عن خط أهل البيت، بل وشكلوا تيارا منافسا لهم، ومع ذلك لم يحظوا بالمكانة العلمية لما كان يحتلها الإمام الباقر عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام. قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري في «إعلام الورى»: «قد اشتهر في العالم تبرزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبله من علم القرآن والآثار والسنن، وأنواع العلوم والحكم والآداب ما آثر عنه، واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بـ«باقر العلم» على ما رواه نقلة الاخبار، عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يوشك أن تبقى إلى أن تلقى ولدا لي من الحسين يقال له: محمد، يبقر علم الدين، فإذا لقيته فاقرئه عني السلام». وقال الطبرسي: وروي عن أبي مالك، عن عبدالله بن عطاء المكي، قال: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليه السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه. هكذا كانت المحافل العلمية في المدينة المنورة زمن الإمام الباقر عليه السلام. ومن المؤسف جداً لم يهتم مؤرخو المسلمين بتدوين تلك المحافل العلمية إلا ما ورد في بطون الكتب، وهي مبثوثة بشكل احتجاجات اضطر إليها أئمة

أهل البيت ﷺ لمحاججة خصومهم، وقد دأب أعداؤهم على إخفاء الكثير من تلك، لأنها كانت صرخات حق بوجه الظالمين من حكام الجور، وهم بنو أمية... ثم هناك مؤلفات كتبت في منتصف القرن الثاني الهجري، مثل «تاريخ المدينة» لابن زبالة الذي كان حيا سنة ١٩٩هـ، وكتب الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ تاريخاً للمدينة، وكتب المدائني المتوفى ٢١٥هـ، وكتاب «أخبار المدينة» للزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦هـ، إلا أن جل هذه الكتب وغيرها لم تصل إلينا، حيث لعبت بها أيدي الحدثان، وأتلفتها الأزمان. لكن كل ذلك لم يفقد بصيص الامل فيما لو أراد الباحث أن يستقرئ أحوال المدينة المنورة اجتماعيا، وسياسيا، وعلميا، ودينيا، طالما كتب الأنساب والتراجم والاخبار والحديث زاخرة بفصول كثيرة ومهمة عن الصحابة والتابعين، ودورهم في الدعوة الإسلامية، ونصرتهم للرسول وأهل البيت ﷺ

ونلمس من خلال ما ورد عن الإمام ﷺ من أحاديث ترتبط بالعلم والعلماء أنّه قد خطّط لهذه الحركة العلمية تخطيطا بارعا، فهو بالإضافة إلى تفرّغه للتعليم ـ بالرغم من جميع الهموم والآلام التي تركتها له واقعة الطفّ الأليمة، وما تلاها من حوادث مؤلمة في العالم الإسلامي ـ نجده يشيد بفضل العلم ويحثّ المستعدّين للتعلّم حثّا أكيدا قولاً وعملاً، وتكريما من جهة، كما نجده يرسم للمتعلّمين آداب التعلّم، ويبيّن حقوق المعلّم والمتعلّم، ويرغّبهما في تحمّل هذا العبء ببيان ثواب التعلّم والتعليم، بحيث استطاع أن يجمع عددا كبيراً من طلاّب المعرفة الذين عُرفوا بالقرّاء باعتبار أنّ قراءة القرآن وحفظه وتعليم تفسيره كانت هي المحور في التعلّم والتعليم حينذاك، ولم يكن للحديث أو السيرة أو

الفقه تدوين وتأليف باعتبار الحظر الذي أوجدته السلطة بعد غياب الرسول ﷺ، فلم يكن الخط العام في صالح هذه الحركة الفكرية.

ومع كلّ هذا نلاحظ احتفاء القرّاء والفقهاء والعلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيرا في غيره من العصور، فإنّ القرّاء كانوا لا يفارقونه في حضر أو سفر حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب(١).

وقد تقدم قوله ﷺ مشيدا بفضل العلم وثوابه وأهمّيته: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج...»(٢).

و «إنّ طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلاّ سبّحت له الأرضون السبع»(٣).

وكما تقدم إكرامه ﷺ لطلاّب العلم ورفع منزلتهم والترحيب بهم قائلاً: «مرحبا بوصيّة رسول الله ﷺ»(٤).

وقوله للشبان من طلبة العلم: «مرحبا بكم أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين»(٥).

وما جاء في رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم وحقوقه على المتعلّمين من التعظيم له، والتوقير لمجلسه وحسن الإستماع إليه،

---

(١) راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.
(٢) أصول الكافي: ١: ٣٥.
(٣) حياة الإمام زين العابدين: ٢٣، الخصال: ٥١٨، وفيه: «إلا سبحت له الأرضين السابعة».
(٤) الخصال: ٥١٨.
(٥) الدرّ النظيم: ٥٨٧.

والإقبال عليه وعدم رفع الصوت عليه، والدفاع عنه وستر عيوبه وإظهار مناقبه، وعدم مجالسة أعدائه وعدم معاداة أوليائه.

كلّ هذا يشير إلى تخطيط واضح في سلوك الإمام عليه السلام لإيجاد حركة ثقافية واسعة وتأسيس تيّار ثقافي يتسنّى له أن يقف أمام التيّارات المنحرفة والتخطيط الأموي الذي لم يرقَ له تفتّح الوعي الإسلامي عند أبناء المسلمين.

وقد خرّجت مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام كوكبةً من العلماء الفقهاء والمفسّرين الذين سطعت أسماؤهم في العالم الإسلامي، وإليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلميّ في ذلك العصر الرهيب وما تلاه من عصور. ونشير فيما يلي إلى الأسماء اللاّمعة في هذا الصدد:

١ ـ ٣ ـ وفي مقدمتهم الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام وأخواه: زيد والحسين ابنا عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام.

٤ ـ أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكري الجريري: كوفيّ المولد والنشأة، وكان نابها ومقدّما في كلّ فن، من قرآن وحديث وأدب ولغة ونحو، وتتلمذ عند الأئمّة الثلاثة: السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، وكان يقول له الإمام الباقر عليه السلام: «اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس فإنّي أحبّ أن يُري في شيعتي مثلك» وألّف أبان في تفسير غريب القرآن وفي فضائل أهل البيت كما روي ما يناهز ثلاثين ألف حديث عن أئمّته عليهم السلام[1].

٥ ـ إسماعيل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمّة وفقيه

---

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين: ٥٢٢ ـ ٥٢٧، شرح أصول الكافي ١١: ٨٤.

من فقهائهم، وأدرك الإمام الصادق ﷺ وروي عنه وعن الإمام الباقر والسجّاد أيضا[١].

٦ ـ ثابت بن أبي صفيّة: وهو أبو حمزة الثمالي، عالم جليل ورع تقيّ، تربّي بآداب أهل البيت وحمل علومهم ومعارفهم، وأجمع المترجمون علي وثاقته وأنّه كسلمان الفارسي في زمانه، وكانت الشيعة ترجع إليه في الكوفة لإحاطته بفقه أهل البيت ﷺ.

٧ ـ رشيد الهجري: من أبطال الإسلام وأعلام الجهاد، وقد صلبه الأمويّون من أجل عقيدته وولائه لأهل البيت ﷺ.

٨ ـ زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، كان يتولّي صدقات رسول الله ﷺ، وكان جليل القدر كريم الطبع زكيّ النفس كثير البرّ.

٩ ـ سعيد بن جبير، أبو محمد مولي بني والبة: كوفي تابعي نزل مكة وهو من أعلام المجاهدين، وكان من أبرز علماء عصره في التفسير والفقه وأنواع العلوم، واستشهد بأمر الحجّاج في شعبان (٩٥هـ).

١٠ ـ سعيد بن المسيّب المخزومي: من كبار التابعين، وقال فيه الإمام زين العابدين ﷺ: إنّه أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفصحهم في زمانه، وكان يبجّل الإمام كثيراً[٢]..

إنّ هؤلاء بعض تلامذته والرواة عنه، على أنّ الإمام ﷺ كان يربّي الموالي بشكل ليس له نظير، وكلّ من أعتقه الإمام يمكن أن يعدّ ممّن تربّى على يد الإمام، فلا ينحصر تراث الإمام فيما كتب وما روي عنه

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين: ٥٢٩.
(٢) راجع تفصيل البحث عن رواة حديث الإمام وتلامذته في كتابي: «حياة الإمام زين العابدين»: ٥١٧ ـ ٥٨٧.

فقط، بل يمكن أن يتّسع لكلّ عمل تربوي صدر عن الإمام، وبقيت آثاره في المجتمع الإسلامي، ولو كان متجسّدا في سلوك هؤلاء الموالي وأفكارهم واتجاهاتهم.

ومن طلائع مدرسة الإمام: الشهيد زيد بن علي عليه السلام:

وفي طليعة من رباهم الإمام زين العابدين أبناؤه: الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام، الذي تحمل الإمامة من بعده، وقاد الأمة إلى الهدى والرشاد، وأسس المدرسة الفقهية على قواعد الإسلام المتينة، ومصادره وأصوله الرصينة، عندما بدأ الحكام بترويج فقه وعاظ السلاطين، فحفظ بذلك الشريعة المقدسة من الزوال. وابنه الحسين الأصغر، الذي روى عن أبيه العلم، وكان مشارا إليه في العبادة والصلاح. وأخذ الحديث عن عمته فاطمة بنت الحسين، وأخيه الإمام الباقر عليه السلام. وقال فيه الإمام الباقر عليه السلام: أما الحسين فحليم، يمشي على الأرض هونا. وابنه العظيم المجاهد في سبيل الله زيد الشهيد عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في الإباء والحمية، والفداء والتضحية. وكان عين إخوته ـ بعد أبي جعفر عليه السلام ـ وأفضلهم، وكان عابدا ورعا، فقيها، سخيا، شجاعا، وظهر بالسيف، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام. إن ثورة زيد بن علي عليه السلام كانت عظيمة من حيث توقيتها، وآثارها التي خلفتها، لخدمة حق أهل البيت عليهم، ونستعرض في ما يلي بعض ذلك:

١ ـ إن هذه الحركة الشجاعة دلت على أن البيت الذي يلد مثل زيد من الرجال، في البطولة والشهامة، والجرأة والإقدام، فضلاً عن العلم والعبادة والتقى، لا يبنى على التخاذل والمهادنة مع الظالمين، أو

الابتعاد عن السياسة والتوجس من العذاب، والهول من المصائب. ولو كان لأحد أثر في تربية زيد الشهيد على كل تلك الصفات، فليس إلا لأبيه الإمام الطاهر زين العابدين، وإلا لأخيه الإمام الباقر ﷺ، اللذين علماه الإسلام بما فيه من تعاليم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودرساه التاريخ بما فيه بطولات جده علي أمير المؤمنين ﷺ وذكراه بثارات جده الحسين ﷺ، وزقاه المجد والكرامة، ولقناه الإباء والحرية. واستلهم ـ هو ـ من حياة أبيه وأخيه، وسيرتهم الحميدة والأصيلة، ونضالهم الصامت والناطق سنن التضحية والفداء، حتى جعل في مقدمة أهداف ثورته العظيمة: الطلب بثارات الحسين ﷺ في كربلاء.

٢ ـ إن ثورة زيد بن علي ﷺ هي الثمرة اليانعة للجهود السياسية التي بذلها الإمام زين العابدين، طول فترة إمامته، فهو الذي تمكن بتخطيطه الدقيق من استعادة القوى، وتهيئة النفوس، لمثل حركة ابنه الشهيد، وإن صح التعبير فهو الذي جيش لابنه زيد ذلك الجيش المسلح، الذي فاجأ الظالمين، وزعزع ثقتهم بالحكم الظالم. فلم يكن الجيش الذي كان مع زيد وليد ساعته، أو يومه، أو شهره، أو سنته، مع تلك المقاومة الباسلة التي أبداها أصحابه وأنصاره.

٣ ـ ويكفي زيد بن علي ﷺ عظمة أنه ضحى بنفسه في سبيل تعزيز مواقع الأئمة الطاهرين من أهل البيت ﷺ، فقد كشف للأمويين الطغاة، في فترة حساسة من تاريخ حكمهم، أن أهل البيت: لا يزالون موجودين في الساحة، ولديهم القدرة الكافية على التحرك في أي موقع زمني، وأي موضع من البلاد، وهذا ما جعل الأمويين يهابون الأئمة ﷺ

ويعدونهم المعارضين الأقوياء، المدافعين عن هذا الدين، برغم جسامة التضحيات التي كانوا يقدمونها، وأبان الشهيد زيد لكل الظالمين أن أهل البيت عليهم السلام لا يسكتون عمن يعتدي على كرامة الإسلام، مهما كلف الثمن. وبهذا يفسر قوله لابن أخيه الصادق جعفر بن محمد ـ لما أراد الخروج إلى الكوفة ـ: أو ما علمت يا بن أخي أن قائمنا لقاعدنا، وقاعدنا لقائمنا، فإذا خرجت أنا وأنت، فمن يخلفنا في حرمنا؟

٤ ـ إن قيام الشهيد زيد بن علي عليه السلام، بحركته خارج حدود المدينة صرف أنظار الحكام عن قطب رحى الدين، ومحور فلك الإمامة والقيادة، وهم الأئمة القائمون في المدينة المنورة، بحيث تمكن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام من أداء دوره القيادي، مستفيدا من كل الأجواء الإيجابية التي خلقتها ثورة عمه الشهيد زيد بن علي عليه السلام، لينشر علوم آل محمد الحقة، ويربي الجيل الإسلامي المؤمن. وكفى ذلك عظمة ومجدا وهدفا ساميا.

٥ ـ وكان من ثمرات ثورة زيد بن علي عليه السلام أنه أثبت للأمة صدق الدعوى التي يرفع رايتها أئمة أهل البيت، في الدفاع عن هذا الدين والنضال من أجله، فهذه التضحيات الكبرى أوضح شاهد على ذلك. وكان ذلك تعزيزا عمليا لمواقع أهل البيت عليهم السلام في أوساط الأمة الإسلامية[1].

(١) جهاد الإمام السجّاد عليه السلام: ١٢٨ ـ ١٣٥.

[ثانياً]
تعامل الإمام عليه السلام مع الأعداء والمنافقين

وأما بالنسبة إلى الأعداء فقد مارس الإمام معهم السبل التالية:

أ ـ بيان الحقائق في الفرص المتاحة، وممارسة الدعاء في الظروف الحرجة للوقاية من شر الأعداء:

روت ثقات الرواة وعدولهم أنه لما أدخل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في جملة من حمل إلى الشام سبايا من أولاد الحسين بن علي عليه السلام وأهاليه على يزيد قال له: يا علي الحمد لله الذي قتل أباك! قال علي عليه السلام: قتل أبي الناس. قال يزيد: الحمد لله الذي قتله فكفانيه! قال علي عليه السلام: على من قتل أبي لعنة الله، أفتراني لعنت الله عز وجل؟ قال يزيد: يا علي إصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر! فقال علي بن الحسين: ما أعرفني بما تريد. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفا، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى، أنا ابن من علا فاستعلا فجاز سدرة المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

فضج أهل الشام بالبكاء حتى خشي يزيد أن يرحل من مقعده، فقال ـ للمؤذن ـ: أذن. فلما قال المؤذن: (الله أكبر، الله أكبر) جلس علي ابن الحسين على المنبر فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا

رسول الله. وبكى علي بن الحسين ﷺ ثم التفت إلى يزيد فقال: يا يزيد هذا أبي أم أبوك؟ قال: بل أبوك. فانزل.

فنزل ﷺ فأخذ بناحية باب المسجد، فلقيه مكحول صاحب رسول الله ﷺ فقال: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟

قال: أمسينا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبنائهم، ويستحيون نسائهم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم.

فلما انصرف يزيد إلى منزله، دعى بعلي بن الحسين ﷺ فقال: يا علي أتصارع ابني خالد؟ قال ﷺ: وما تصنع بمصارعتي إياه، أعطني سكينا واعطه سكينا فليقتل أقوانا أضعفنا، فضمه يزيد إلى صدره، ثم قال: لا تلد الحية إلا الحية، أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب ﷺ.

ثم قال له علي بن الحسين ﷺ: يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي، فوجّه مع هؤلاء النسوة من يؤديهن إلى حرم رسول الله ﷺ. فقال له يزيد لعنه الله: لا يؤديهن غيرك، لعن الله ابن مرجانة، فوالله ما أمرته بقتل أبيك، ولو كنت متوليا لقتاله ما قتلته، ثم أحسن جائزته وحمله والنساء إلى المدينة[١].

وقال المفيد وصاحب المناقب، واللفظ لصاحب المناقب: وروي أن يزيد عرض عليهم المقام بدمشق فأبوا ذلك، وقالوا: بل ردنا إلى المدينة فإنه مهاجر جدنا ﷺفقال للنعمان بن بشير صاحب رسول الله ﷺ: جهز هؤلاء بما يصلحهم وابعث معهم رجلا من أهل الشام أمينا صالحا، وابعث معهم خيلا وأعوانا، ثم كساهم وحباهم

(١) الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي ٢: ٣٨ ـ ٤٠.

وفرض لهم الأرزاق والانزال ثم دعا بعلي بن الحسين عليه السلام فقال له: لعن الله ابن مرجانة أما والله لو كنت صاحبه ما سألني خلة إلا أعطيتها إياه ولدفعت عنه الحتف بكل ما قدرت عليه، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، فكاتبني وأنه إلي كل حاجة تكون لك، ثم أوصى بهم الرسول. فخرج بهم الرسول يسايرهم فيكون أمامهم فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه كهيئة الحرس ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الوضوء، ويعرض عليهم حوائجهم، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة[1].

والتقى الإمام زين العابدين عليه السلام خلال وجوده في الشام بالمنهال بن عمرو، فبادره قائلاً: كيف أمسيت يابن رسول الله؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال له: «أمسينا كمَثَل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر علي العجم بأنّ محمّداً منها، وأمست قريش تفتخر علي سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا أهل بيته مقتولين مشرّدين، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون»[2].

وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله وعقائل الرسالة فيردّهنّ إلى المدينة[3]. وأمر بإخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة واضطراب الأوضاع[4].

وكنموذج آخر من تعامله عليه السلام مع الأعداء: أنه لما أُتي به عليه السلام إلى

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٥: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) اللهوف في قتلي الطفوف: ٨٥ مرسلاً ورواه ابن سعد في الطبقات مسنداً عن المنهال بن عمرو الكوفي في الكوفة وليس الشام، والخبر أكثر من هذا وإنّما هذا مختصر الخبر.

(٣) الطبري: ٥: ٤٦٢، الإرشاد: ٢: ١٢٢ وعنهما في وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٧٢.

(٤) عن تفسير المطالب في أمالي أبي طالب: ٩٣، والحدائق الوردية ١: ١٣٣.

مسلم بن عقبة، وهو مغتاظ عليه، فتبرّأ منه ومن آبائه. فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلاّ شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه.

فقيل لعليّ بن الحسين ﷺ: رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذي قلت؟

قال: «قلت: اللهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شرّه».

وقيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه، فلمّا أُتي به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأي منّي، لقد مُلئ قلبي منه رعباً.

ولم يبايع الإمام ﷺ ليزيد كما لم يبايع عليّ بن عبدالله بن العباس، حيث امتنع بأخواله من كندة، فالحصين بن نمير نائب مسلم بن عقبة قال: لا يبايع ابن اختنا إلاّ كبيعة علي بن الحسين(١).

وذكر المؤرّخون: أنّ الإمام زين العابدين ﷺ كفل في واقعة الحرّة أربعمائة امرأة من عبد مناف، وظلّ ينفق عليهنّ حتّى خروج جيش مسلم من المدينة(٢).

وجاء الحديث من غير وجه: أنّ مسرف بن عقبة لمّا قدم المدينة

---

(١) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، محمود البغدادي: ٢٧٣، ط: المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، جهاد الإمام السجّاد: ٧١.

(٢) كشف الغمة ٢: ٣١٩ عن نثر الدرر، للآبي: ق ٤، عن ابن الأعرابي.

أرسل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فأتاه، فلما صار إليه قرّبه وأكرمه وقال له: أوصاني أمير المؤمنين ببرّك وتمييزك من غيرك[١]...

وواضح أنّ البيعة إذا ما عرضت بشرطها الاستعبادي على الإمام عليه السلام فإنّه سيستمرّ على نهجه الرافض، وأنّ معنى الرفض هنا إنّه يتضرّج بدمائه الزكية، وهذا يعني دخول صورة من صور النقمة العارمة ضد الممارسات الأموية القمعية التي سوف تزلزل أعمدة الكيان الحاكم.

وبعد انتهاء الأيام الدامية على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله قال مسلم بن عقبة: اللّهمّ إنّي لم أعمل عملاً قط بعد شهادة لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبّ إليّ من قتل أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة[٢].

كان مسلم في تلك الأيام قد تجاوز التسعين من عمره، أي إنّه كان قريباً جداً من حتفه، وقد هلك بُعيد وقعة الحرّة وقبل أن يصل إلى مكة، وكان من الذين لم يحملوا من الإسلام إلاّ اسمه، ووظّفوا ظاهر القرآن والحديث لتسويغ جرائمهم، فقد كان من المخلصين لمعاوية بن أبي سفيان، وفي صفّين كان يقود معسكر معاوية بن أبي سفيان ضد الخليفة الشرعي للمسلمين، ألا وهو الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

---

(١) الإرشاد٢: ١٥٢.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٩٧ عنه الكامل في التاريخ ٤: ١٢٣.
(٣) وقعة صفين: ٢٠٦ و٢١٣ وفي الإصابة ٣: ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

ولعلّه لم يسمع حديث الرسول ﷺ الذي جاء فيه: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[١].

ولعلّه قد سمع هذا الحديث، لكنّه لمّا وجد من يعتبر نفسه خليفة للنبيّ ﷺ قد تجرّأ على قتل ابن بنت النبيّ ﷺ وسبي بناته من مدينة إلى أخرى، دون أن يعترض عليه أحد، فمِمّ يخشى هو إن اعتدى على مدينة النبيّ ﷺ؟!

وفي البحار: كتب ملك الروم إلى عبد الملك: أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة، لأغزونك بجنود مائة الف ومائة ألف ومائة الف، فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين ﷺ ويتوعده ويكتب إليه ما يقول ففعل فقال علي بن الحسين ﷺ: إن لله لوحا محفوظا يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة، ليس منها لحظة إلا يحيي فيها ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة، فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا إلا من كلام النبوة[٢].

---

(١) البداية والنهاية ٨: ٢٢٣، رواه عن النسائي، وروي مثله عن أحمد بن حنبل. أنظر أحاديث أخري عن هذا الموضوع في كنز العمال، كتاب الفضائل، الحديث ٣٤٨٨٦، ووفاء الوفاء: ٩٠، وسفينة البحار: ٨: ٣٨ ـ ٣٩ عن دعائم الإسلام، المحلي ٧: ٢٨٢، مسند أحمد ٤: ٥٥، السنن الكبرى ٢: ٤٨٣.

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٤٦: ١٣٢ ـ ١٣٣.

ب ـ مقاطعة الظالمين:

إن الإمام زين العابدين ﷺ لم يكلم أحدا ممن كان معه في طريق الأسر من الكوفة إلى الشام بكلمة حتى بلغوا الشام.

فقد ورد في كتب المقتل انه بعد استشهاد الإمام الحسين ﷺ كتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين ﷺ وخبر أهل بيته. كما بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة ـ وهو من بني أمية ـ يخبره بقتل الحسين ﷺ.

ولـمّا وصل كتاب ابن زياد إلى الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين ﷺ ورؤوس من قتل معه إليه.

ثمّ أمر ابن زياد بنساء الحسين ﷺ وصبيانه فجُهِّزوا، وأمر بعليّ بن الحسين ﷺ فغُلّ بغِلٍّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم في أثر الرؤوس مع مجفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن، وحملهم علي الأقتاب، وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتّى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلّم عليّ بن الحسين ﷺ أحداً منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام[1]..

ج ـ مطالبة جهاز الحكم بإصلاح شؤون الدولة:

إن الإصلاح من أبرز ما يقصده الأنبياء والأئمة ﷺ، لأن مهمتهم إنما جعلت في الأرض لدفع الفساد عنها بهداية الخلق إلى ما هو صالح لهم، وقطع دابر المفسدين. فإن كان هذا هو الحق: فإن الإمام زين

---

(١) عن طبقات ابن سعد في ذيل تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام الحسين ﷺ: ١٣١، أنساب الأشراف: ٢١٤، الطبري: ٥:٤٦٠ و٤٦٣، والإرشاد: ٢:١١٩ واللفظ للأخير.

العابدين ﷺ لم يتخل عن موقعه الإلهي، كقائد للأمة الإسلامية، ومصلح للمجتمع الإسلامي، وقد تبلور في ساحة العمل الاجتماعي، في كل زواياها وأطرافها، وأبرزها المطالبة بإصلاح جهاز الحكم.

إن أقصى ما يريد أن يبعده المؤرخون المحدثون عن حياة الإمام زين العابدين هو العمل السياسي، والتعرض للجهاز الحاكم، والتطلع إلى إصلاح الدولة، فيحاولون الإيحاء ـ بعبارات شتى ـ أن الإمام ﷺ لم يكن سياسيا، وكان بعيدا عن التورط في ما يمس قضايا السياسة من قريب أو بعيد، وأنه انزوى متعبدا بالصلاة والدعاء والاعتكاف! ومع الاعتقاد بأن مزاولات الإمام الدينية كلها من صميم العمل السياسي، وخصوصا في عصره، إذ لم يسمع نغم الفصل بين السياسة والدين، بعد! فمع ذلك: نجد في طيات حياة الإمام زين العابدين ﷺ عينات واضحة، من التدخلات السياسية الصريحة. فهو في ما يلي من النصوص المنقولة عنه، يبدو رجلا مشرفا على الساحة السياسية، فهو يدخل في محاورات حادة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلي بتصريحات خطرة بشأن الأوضاع الفاسدة التي تعيشها الأمة، وهو ينميها ـ بكل صراحة ـ إلى فساد الدولة.

١ ـ قال عبدالله بن حسن بن حسين: كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة، هو، وعروة بن الزبير، في مؤخر مسجد النبي ﷺ! بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدثا ليلة، فذكرا جور من جار من بني أمية، والمقام معهم، وهما لا يستطيعان تغيير ذلك! ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم! فقال عروة لعلي: يا علي، إن من اعتزل أهل الجور، والله يعلم منه سخطه

لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم. قال: فخرج عروة، فسكن العقيق. قال عبدالله بن حسن: وخرجت أنا فنزلت سويقة. أما الإمام زين العابدين فلم يخرج، بل آثر البقاء في المدينة طوال حياته لأنه يعد مثل هذا الخروج فرارا من الزحف السياسي، وإخلاءا للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها ويصولون. وما أعجب ما في النص من قوله: (يجلسون كل ليلة... في مسجد الرسول) وكأنه اجتماع منظم، ولا ريب أن فيه تحديا صارخا للنظام يقوم به الإمام زين العابدين ﷺ. ولعل اقتراح عروة بن الزبير ـ وهو من أعداء أهل البيت ﷺ ـ كان تدبيرا سياسيا منه، أو من قبل الحكام، ومحاولة لإبعاد الإمام ﷺ عن الحضور في الساحة الاجتماعية، لكنه ﷺ لم يخرج، وظل يداوم مسيرته النضالية.

٢ ـ وفي حديث آخر: قال الإمام زين العابدين ﷺ: إن للحمق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة. فنعوذ بالله من تلك الدول، ومن الحياة في النقمات.

وإذا كانت (الدولة) ـ في اللسان العربي ـ هي: الغلبة والاستيلاء، وهي من أبرز مقومات (السلطة الحاكمة) فإن الإمام ﷺ يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية في سائر القضايا الحيوية، والطبيعية، التي يهتم بها، ويفكر في إصلاحها، ويحاول رفع مشكلاتها التي تستولي على

الإنسان، من اقتصادية، وثقافية، ونفسية، ودينية. فمن ـ يا ترى ـ يعني الإمام ﷺ بالبيوتات الخبيثة التي لها السلطان على الأشراف، في عصر الإمام ﷺ؟! ومن هي البيوتات الشريفة المغلوبة في عصره ﷺ؟! وهل التعوذ بالله من دولة السلطان، يعني أمرا غير رفض وجوده، واستنكار سلطته؟! وهل لسياسي آخر حضور أقوى من هذا، في مثل ظروف الإمام ﷺ وموقعه، وضمن تخطيطه الشامل لحل المشاكل؟ وأخيرا هل يصدر مثل هذا من رجل ادعي: أنه ابتعد عن السياسة، أو اعتزلها!؟ ثالثا: في مجال مقاومة الفساد وإذا كان من أهم واجبات المصلح، وخاصة الإلهي، مقاومة الفساد، ومحاربة المفسدين في الأرض، فإن الإمام زين العابدين ﷺ قام بدور بارز في أداء هذا المهم.

وقد تميز عصر الإمام ﷺ، بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة في كثير من الأوقات، إلا أن بروزها في عصره كان واضحا، ومكثفا، كما أن الإمام زين العابدين قام بمعالجتها بأسلوبه الخاص، مما أعطاها صبغة فريدة، تميزت في نضال الإمام ﷺ، أهمها: مشكلة العصبية والعنصرية. ومشكلة الفقر العام. ومشكلة الرق والعبيد[1].

د ـ مدراة الأعداء وممارسة صفة العفو والتجاوز عن إساءتهم:

ويظهر ذلك مما رواه المؤرخون من أنه ولي هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة، وأنال علي بن الحسين ﷺ من الأذى والمكروه عظيما، ثم عزله الوليد بعد ذلك وأمر أن يوقف للناس، فلم يكن أخوف

---

(١) جهاد الإمام السجّاد ﷺ: ١٢٨ ـ ١٣٥.

من أحد [كخوفه] من علي بن الحسين ﷺ لما ناله منه، أن يرفع ذلك عليه ويقول فيه ويشكوه.

ولكن الإمام ﷺ لم يقل فيه شيئا، بل ونهى خاصته وأهل بيته، وكل من سمع له، من القول فيه بسوء.

ثم أرسل إليه وهو واقف عند دار مروان: انظر ما أعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك، وطب نفسا منا، ومن كل من يطيعنا.

فنادى هشام ـ وهو قائم ـ بأعلى صوته: الله أعلم حيث يجعل رسالته[١].

وعقد الشيخ علي الكوراني العاملي في كتابه: «جواهر التاريخ» فصلا خاصا بيّن فيه علاقات الإمام مع شخصيات المجتمع ورجال الدولة[٢]، انتخبنا منه ما يناسب المقام، ومما قال حفظه الله:

١ ـ علاقته مع العُبَّاد والمتصوّفين:

كان للإمام ﷺ علاقات وثيقة بعدد كبير من علماء السلطة وشيوخ المتصوفة على اختلاف مشاربهم ومساربهم، كالشبلي، وابن المبارك، ومالك بن دينار، وثابت البناني، وصالح المري، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي، وصالح الأعمى، ورابعة العدوية، وسعدانة، وجعفر بن سليمان، والحسن البصري وغيرهم.. وله معهم قصص ومواعظ بليغة.

وله حديث مشهور في معيار الصدق والزيف في طالب العلم والعابد، أوّله: (إذا رأيتم الرجل قد حَسَّنَ سَمْتَهُ وهَدْيَهُ، وتَمَاوتَ في

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣١٠.

(٢) جواهر التاريخ، للشيخ علي الكوراني العاملي ٤: ١٤٥ ـ ١٨٩.

منطقه، وتَخَاضع في حركاته، فرويداً لا يغرنّكم، فما أكثر من يُعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته وجُبْن قلبه، فنصب الدين فَخّاً لها)! (الإحتجاج ٢: ٥٣).

وكان هؤلاء المتصوفة يفتخرون بصداقته ﷺ والرواية عنه، بل بمجرد رؤيتهم له، وينقلون مواعظه وأدعيته ومعجزاته.

وكان بعضهم يناقشه لكنه يقتنع بكلامه: (لقيه عباد البصري في طريق مكة فقال: تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحاج ولينه و: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم...﴾، الآية. فقال ﷺ: إقرأ ما بعدها: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ...﴾، الآية. ثم قال: إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً)! (مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٨). على أن الجهاد في مفهوم الإمام ﷺ أعم من الفتوحات والقتال، ففي التهذيب ٦: ١٦٧، أن شخصاً قال: ما كنت أرى أن الشهيد إلا من قتل في سبيل الله. فقال علي بن الحسين ﷺ: إن الشهداء إذن لقليل! ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. ثم قال: هذه لنا ولشيعتنا. انتهى. مضافاً إلى أن الجهاد الذي يدعوه إليه هذا الصوفي كان المرابطة فقط، فقد أوقف عبد الملك حركة الفتوحات وكان يعطي الجزية للروم كل يوم ألف دينار! (عمدة القارئ ١٥: ٩٧).

كما كان الإمام ﷺ حريصاً على إعطاء قيمة للعبادة والتعبد لله تعالى، حتى لو كان من متصوفين، فقد (مرَّ برجل وهو قاعد على باب رجل فقال له: ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء. قال: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه! فأخذ

بيده حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله ﷺ ثم قال: استقبل القبلة وصل ركعتين، ثم ارفع يديك إلى الله عز وجل فأثن عليه وصل على رسوله ﷺ ثم ادع بآخر الحشر، وست آيات من أول الحديد، وبالآيتين في آل عمران، ثم سل الله سبحانه، فإنك لا تسأل شيئاً إلا أعطاك). (دعوات الراوندي: ٥٤)[١].

وقال الذهبي في سيره ٤: ٣٩٣: (عن طاووس: سمعت علي بن الحسين وهو ساجد في الحجر يقول: عُبَيْدُك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. قال: فوالله ما دعوتُ بها في كرب قطُّ إلا كشف عني). انتهى.

وله ﷺ حديث مع الشبلي فيما ينبغي أن يكون عليه الحاج، جاء فيه: (استقبله الشبلي فقال ﷺ: حججت يا شبلي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال ﷺ: أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟ قال: نعم، قال ﷺ: فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا، قال ﷺ: فحين تجردت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا، قال ﷺ: فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا، قال ﷺ: فما نزلت الميقات ولا تجردت عن مخيط الثياب ولا اغتسلت!

ثم قال ﷺ: تنظفتَ وأحرمتَ وعقدتَ بالحج؟ قال: نعم،

---

(١) قال الشيخ الكوراني: من المؤكد أن الله تعالى يستجيب دعاء العبد في حالة اضطراره وانقطاعه، يضاف إليه خصوصية الدعاء الذي علّمه إياه الإمام ﷺ، بل المرجح عندي أن سر الاستجابة أن الإمام ﷺ أمره بذلك الدعاء. (جواهر التاريخ ٤: ١٤٦).

قال ﷺ: فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج نويت أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا، قال ﷺ: فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله عز وجل؟ قال: لا، قال ﷺ: فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟ قال: لا، قال له ﷺ: ما تنظفت ولا أحرمت ولا عقدت الحج! ثم قال له ﷺ: أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام ولبيت... الخ.). (التحفة السنية للجزائري ـ مخطوط ـ: ١٨٤).

٢ ـ علاقته مع عبدالله بن عمر:

لم أجد الكثير في علاقته ﷺ مع عبدالله بن عمر، إلا ما رواه في تهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٩: (وقال عبدالله بن عمر، عن الزهري: حدثُتُ علي بن حسين بحديث فلما فرغت قال: أحسنت بارك الله فيك هكذا حدثناه. قلت: ما أراني إلا حدثتك بحديث أنت أعلم به مني. قال: لا تقل ذاك، فليس من العلم ما لا يعرف، إنما العلم ما عرف وتواطأت عليه الألسن). تاريخ دمشق ٤١: ٣٧٦، وتهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٨، والسيوطي في تدريب الراوي ٢: ١٨٢.

وهو يدل على إعجاب عبدالله بن عمر بقول الإمام ﷺ وتعريفه للعلم بالحديث بأنه ما اشتهر وعُرف واتفقت ألسن عدد من الرواة على نقله، ولا عبرة برواية الراوي التي لا يتابعه عليها أحدٌ. وهو يكشف عن وجود رواة شاذين ينشرون أحاديث مكذوبة، وأكثرهم موظفون عند السلطة.

كما روى ابن عمر عن الإمام زين العابدين ﷺ بعض الأحاديث بواسطة الزهري، منها ما في شعب الإيمان ٧: ٤١٥، بسنده عن:

(عبدالله بن عمر العمري عن ابن شهاب عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي أن رسول الله ﷺ قال: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). ومسند أحمد ٦: ٣٩١، عن عبيد الله بن عمر، والطبراني في الصغير ٢: ١١١، وفي علل الدارقطني ٣: ١٠٨، تفاوت الاسم بين عبدالله وعبيد الله والعمري.

وروى في مناقب آل أبي طالب (٣: ٢٨١)، أن عبدالله بن عمر دخل على زين العابدين ﷺ وقال: يا ابن الحسين، أنت الذي تقول: إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها؟ قال: بلى... وذكر أنه طلب منه آية، فأخذه بطريق المعجزة إلى البحر وكلمه الحوت ثم قال له الإمام ﷺ: إرجع أيها الحوت إلى وكرك، واستوى الماء). (نوادر المعجزات: ١١٧).

٣ ـ علاقته مع يزيد بن معاوية:

كان الخليفة الأموي دائماً يحرص على التظاهر بحب أهل البيت ﷺ ويقول إنه وبني هاشم أبناء عم، لأنهم جميعاً من بني عبد مناف، وكان الإمام زين العابدين ﷺ يحفظ معهم هذا الظاهر، بعكس علاقته مع عبدالله بن الزبير!

وأوصى يزيد مسلم بن عقبة قائد حملته على مدينة الرسول ﷺأن يأخذ البيعة من الأنصار على أنهم عبيد أرقاء ليزيد يبيعهم إن شاء! إلا علي بن الحسين ﷺ فيأخذ منه البيعة على أنه أخو يزيد وابن عمه! وقد تقدم دور الإمام ﷺ في مواجهة الطاغية يزيد.

٤ ـ علاقته مع معاوية بن يزيد:

أما علاقة الإمام عليه السلام بمعاوية الثاني بن يزيد رحمه الله، فلم أجد فيها نصاً، وقد ورد ذكر أخيه الأصغر خالد بن يزيد لما أمر يزيد جلوازه أن يقتل الإمام عليه السلام فشاهد خالد معجزة هلاك الجلواز، فأمره يزيد بكتمان ما حدث!

كذلك ورد ذكر خالد في مجلس يزيد عندما دعا الإمام عليه السلام إلى الغداء وكان معه عمرو بن الإمام الحسن عليه السلام فطلب منه يزيد أن يصارع ولده خالداً.

لكن لم أجد ذكراً لمعاوية الثاني مع الإمام عليه السلام، مع أنه كان في العشرين من عمره، وكان شيعياً مؤمناً بإمامة العترة عليهم السلام، فعندما قتله بنو أمية وقبضوا على أستاذه عمر المقصوص قالوا له: (أنت علّمته هذا ولقّنته إيّاه وصددته عن الخلافة وزيّنت له حبّ علي وأولاده وحملته على ما وسمَنا به من الظلم.. فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبولٌ ومطبوعٌ على حبّ عليّ) (جواهر المطالب ٢: ٢٦١).

وتقدم أن معاوية الثاني رحمه الله عمل كل ما بوسعه وضحى بملكه ودمه رحمه الله من أجل أن يخوّله بنو أمية بإعطاء الخلافة إلى صاحبها الشرعي، وكان يقصد الإمام زين العابدين عليه السلام، فلا يبعد أن تكون علاقته بالإمام عليه السلام من أيام أسره في دمشق، وبواسطة أستاذه عمر المقصوص رحمه الله الذي هو من تلاميذ أبي ذر رحمه الله، لكنها كانت علاقة في غاية السرية، خوفاً من بطش يزيد!

٥ ـ علاقته مع مروان بن الحكم:

تقدمت جوانب عن علاقة الإمام ﷺ بمروان وابنه عبد الملك، ومواجهته لطغيانهما وخططهما ضد الإسلام، وأن عبد الملك قد تَحَيَّر في قتل الإمام ﷺ خوفاً على سلطانه! وقد كانت علاقتهما مع الإمام ﷺ إيجابية أحياناً فكانا يمدحانه ويظهران مودته، بل يتقربان إليه!

١ ـ كان مروان يحدثه عن دفاع جده علي ﷺ عن عثمان، فقد رووا بسند صحيح أنه قال له: (ما كان في القوم أحدٌ أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني علياً عن عثمان! قال قلت: فما لكم تسبونه على المنابر؟! قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك)!. (تاريخ الذهبي ٣: ٤٦٠، وتاريخ دمشق ٤٢: ٤٣٨، ٨، وأنساب الأشراف: ١٨٤، والصواعق المحرقة ١: ١٦٣، وشرح النهج ١٣: ٢٢٠، وعثمانية الجاحظ: ٢٨٣، وسمط النجوم: ٧٣٧، وقالوا: إسناده قوي).

وفسر عبد العزيز بن مروان قول أبيه: إن الأمويين لا يستقيم لهم أمرٌ إلا بسب علي ﷺ ولعنه على المنابر! فروى عنه ابنه عمر كما في أنساب الأشراف: ٢٠٦٣: (نشأتُ على بغض عليٍّ لا أعرف غيره، وكان أبي يخطب فإذا ذكر علياً ونال منه تلجلج! فقلت: يا أبهْ إنك تمضي في خطبتك، فإذا أتيت ذكر عليٍّ عرفت منك تقصيراً! قال: أفطنت لذلك؟ قلت: نعم. قال: يا بني إن الذين من حولنا لو نُعْلِمُهُمْ من حال علي ما نعلم، تفرّقوا عنا).

٢ ـ وكان يحدثه أن جيش عائشة مدينون بحياتهم لعفو علي ﷺ: قال مروان للإمام ﷺ: (ما رأيت أحداً أكرم غَلَبَةً من أبيك! ما هو إلا

أن ولينا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يُقتل مُدْبرٌ ولا يُدفَّفْ على جريح). (الأم للشافعي ٤: ٢٢٩، ومجموع النووي ١٩: ٢٠٢، وسنن البيهقي ٨: ١٨١).

وفي رواية البلاذري في أنساب الأشراف: ٢٦٢: (انهزموا، فقام صائح لعلي فقال: لا يقتل مدبر ولا يُدفَّفُ على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن. قال: فدخلت داراً ثم أرسلت إلى حسن وحسين وابن جعفر وابن عباس فكلموه، فقال: هو آمن فليتوجه حيثما شاء. فقلت: لا تطيب نفسي حتى أبايعه، قال: فبايعته ثم قال: إذهب حيث شئت). لكنه ذكر في هامشه من نهج البلاغة أن مروان استشفع بالحسنين صلّى الله عليهما وآلهما فكلماه فعفا عنه فقالا له: (يبايعك يا أمير المؤمنين. قال: أو لم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية! لو بايعني بيده لغدر بسبته! أما إن له إمرةً كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر... يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه، وإن له إمرةً كلعقة الكلب أنفه.. الخ).

٣ ـ كما اعترف للإمام زين العابدين عليه السلام بأنه قتل طلحة في حرب الجمل!

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (قال لي مروان بن الحكم: لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت: والله لأدركن ثاري ولأفوزن منه الآن! فرميت طلحة فأصبت نَسَاه، فجعل الدم ينزف، فرميته ثانية فجاءت به، فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة، فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات). *(كتاب الجمل، للمفيد: ٢٠٤)*.

٤ ـ روي له تحريض عائشة على قتل عثمان طمعاً بالخلافة لابن عمها!

ففي شرح الأخبار ١: ٣٤٢، عن الإمام الباقر ﷺ قال: (أرسل إليَّ سعيد بن عبد الملك بن مروان، فأتيته فأقبل يسألني. فرأيته رجلاً قد لقي أهل العلم وحادثهم، فإذا هو ليس في يده شيء من أمر عثمان إلا أنه يقول: خرجت عائشة تطلب بدمه. فقلت له: أي رجل كان فيكم مروان بن الحكم؟ فقال: ذاك سيدنا وأفضلنا. قلت: فأيُّ رجل ترون علي بن الحسين؟ قال: صدوقاً مرضياً. قلت: فإني أشهد على علي بن الحسين أنه حدثني أنه سمع مروان بن الحكم يقول: انطلقت أنا وعبد الرحمان بن عوف إلى عائشة وهي تريد الحج وعثمان قد حصر، فقلت لها: قد ترين أن هذا الرجل قد حُصر، فلو أقمت فنظرت في شأنه وأصلحت أمره! فقالت: قد غرَّبت غرايري وأدنيت ركائبي وفرضت الحج على نفسي فلست بالتي أقيم، فجهدنا عليها فأبت! فقمت من عندها وأنا أقول، وذكر بيتاً من شعر تمثل به، فقال: فقالت: أيها الرجل المتمثل بالشعر إرجع، فرجعت فقالت: لعلك ترى أني إنما قلت هذا الذي قلت وأنا أشك في عثمان! وددت والله أنه مخيط عليه في بعض غرايري هذه، حتى أكون التي أقذفه في اليمّ!

ثم ارتحلت حتى نزلت ماء يقال له: الصلصل، وبعث الناس عبدالله بن العباس على الموسم وعثمان محصور، فمضى حتى نزل ذلك الماء فقيل لها: هذا ابن عباس قد بعث به الناس على الموسم، فأرسلت إليه فقالت: يا ابن عباس إن الله عز وجل أعطاك لساناً وعلماً، فأناشدك الله أن تخذل الناس عن قتل هذا الطاغية عثمان غداً! ثم انطلقت إلى مكة، فلما أن قضت منسكها وانقضى أمر الموسم بلغها أن عثمان قد

قتل وأن طلحة بن عبيد الله بويع، قالت: إيهاً ذا الإصبع، فلما بلغها بعد ذلك أن علياً بويع قالت: وددت أن هذه ـ تعني: السماء، وأشارت إليها ـ وقعت على هذه، وأشارت إلى الأرض!

قال أبو جعفر صلوات الله عليه: فهذا حديث مروان وسماعي إياه من علي بن الحسين! قال: فما خرجت من البيت حتى ترك سعيد بن عبد الملك ما كان في يديه من أمر عثمان). انتهى(١).

٥ ـ وكان مروان يحدّث الإمام عن جرأة جده علي ﷺ على عثمان!

---

(١) قال الشيخ الكوراني: سعيد بن عبد الملك بن مروان، وفي بعض المصادر: سعد، هداه الله على يد الإمام الباقر ﷺ فكان من شيعته الخلّص، وقد ورد مدحه في مصادر الطرفين، قال ابن حبان في ثقاته: ٦: ٣٦٩: (روى عنه هشام بن عروة وأهل المدينة وكان يقال له سعيد الخير، لم يسلك مسلك إخوته فيما كانوا فيه).
وفي تاريخ دمشق: ٢١: ٢١٣: (وكان سعيد متألهاً ووليَ الغزو في خلافة أخيه هشام بن عبد الملك، وولي فلسطين للوليد بن يزيد، وكان حسن السيرة وكانت له بدمشق أملاك، منها: محلة الراهب... بلغني أن سعيداً بقي إلى حين دعا يزيد بن الوليد الناقص إلى نفسه في سنة ست وعشرين ومائة).
وفي تاريخ الذهبي: ٨: ١١٤: (وكان ديّناً متألهاً، ولي الغزو زمن أخيه هشام، وله بالموصل مسجد ودار، مات في حدود سنة ست وعشرين ومائة). ونحوه وافي الصفدي: ١٥: ١٥٠، والنجوم الزاهرة: ١: ٣٢٢، والتحفة اللطيفة: ١: ٤٠٢.
وفي الإختصاص للمفيد: ٨٥: (عن أبي حمزة قال: دخل سعد بن عبد الملك وكان أبو جعفر ﷺ يسميه: سعد الخير، وهو من ولد عبد العزيز بن مروان، على أبي جعفر ﷺ، فبينا ينشج كما تنشج النساء قال: فقال له أبو جعفر ﷺ: ما يبكيك يا سعد؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟! فقال له: لست منهم، أنت أموي منا أهل البيت، أما سمعت قول الله عز وجل يحكي عن إبراهيم: (فمن تبعني فإنه مني). وذكر من مصادره في هامشه: الكشي: ٣٦٥، والعيون والخرائج، وكشف الغمة، عن دلائل الحميري.
وروى في الكافي: ٨: ٥٢، رسائل بليغة متبادلة بينه وبين الإمام الباقر ﷺ تدل على إيمانه ومقامه، سنوردها إن شاء الله في سيرة الإمام الباقر ﷺ، لأنها تضمن موقفه ﷺ من الانحراف الكبير بالإسلام، الذي ارتكبه أهل السقيفة. (جواهر التاريخ ٤: ١٥٢).

ففي النسائي ٢: ٣٤٥: (سمعت علي بن الحسين يحدث عن مروان: أن عثمان نهى عن المتعة وأن يجمع الرجل بين الحج والعمرة، فقال علي: لبيك بحجة وعمرة معاً، فقال عثمان: أتفعلهما وأنا أنهى عنهما؟ فقال علي: لم أكن لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس). (النسائي ٢: ٣٤٥، وأبي يعلى ١: ٤٥٣، والإستذكار ٤: ٦٥، وابن شبة ٣: ١٠٤٣، وتذكرة الذهبي ٣: ٧٨٦، ونحوه في سيره ١٤: ٢٩٤، وتاريخه ٢٦: ٤٤٥، وقال: إسناده صحيح وهو شيء غريب، إذ فيه رواية علي بن الحسين عن مروان، وفيه تصويب مروان اجتهاد علي على اجتهاد عثمان مع كون مروان عثمانياً. وعنه طبقات الشافعية ٣: ٦٨).

٦ ـ بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وعودة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة عرض عليه مروان ستة آلاف دينار قرضاً، ذكر إن أباه الحسين عليه السلام أرادها منه:

(عن جعفر بن محمد قال: لما شَخَص حسين إلى مكة سأل مروان ستة آلاف دينار فلم يسلفه، فلم يزل في نفس مروان، فلما قتل حسين ورجع علي بن حسين إلى المدينة لقيه مروان فقال: إن أبا عبدالله رحمه الله كان سألني سَلَف ستة آلاف دينار فمنعته ولم يزل في نفسي، وقد قدمت منكوباً ولك حوائج فخذها فاستعن بها صلةً أوسلفاً! قال: ما لي بها حاجة. قال: أقسمت عليك. قال: آخذها سلفاً، فبعث بها إليه مروان فقال علي: أخذتها لأعمِّر بها دور بني عقيل، وكانت دور آل أبي طالب حُرقت بمَزْيَد العُلَى (محلةٌ في المدينة) فلم يحركها وبقي المال في خرائطه (الخريطة كالعلبة الجلدية) فلما قام عبد الملك سأل علياً عن المال فقال: عندنا، فقال عبد الملك: إن أبا عبد الملك عهد إليَّ أن لا

أقبض منك المال فهو لك. قال: لا أريده وإنه لفي خرائطه. فقال بل هو صلةٌ مني. فأخذه علي). (تاريخ دمشق ٥٧: ٢٤٧)[١].

قال البلاذري في أنساب الأشراف: ٨١٩: (ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين كثر النواضح والصوارخ عليه، واشتدت الواعية في دور بني هاشم، فقال عمرو بن سعيد الأشدق: واعية بواعية عثمان، وقال مروان حين سمع ذلك:

عجَّتْ نساءُ بني زَبيد عجةً كعجيج نسوتنا غَدَاةَ الأرْنبِ

وقال عمرو بن سعيد: وددت والله أن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه. فقال مروان: بئس ما قلت، هاته:

يا حبذا بَرْدُك في اليدينِ ولونُك الأحمر في الخدَّيْن! انتهى.

وروي أن مروان أنشد:

(ضربتْ دَوْسرُ فيهم ضربةً أثبتت أوتاد ملك فاستقر)

(نهاية الإرب: ٤٥٣٤)[٢].

---

(١) قال الشيخ الكوراني: ذكر المحدثون والمؤرخون أنه لما وصل خبر قتل الحسين ﷺ ضجَّ أهل المدينة ضجَّةً واحدة غضباً على يزيد وحزناً، لكن والي المدينة الأموي سعيد بن العاص بادر فأحرق بعض دور آل أبي طالب في منطقة مَزْيَد العُلى. فقبل الإمام ﷺ القرض من مروان ليبني تلك الدور. (جواهر التاريخ ٤: ١٥٤).

(٢) وقال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار، لما جيء برأس الحسين إلى والي المدينة كان عنده مروان بن الحكم، فقال مروان اللعين متمثلا:

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

عنى اللعين عجيج نساء بني عبد الشمس لمن قتل منهم يوم بدر.

فأما ما أقاموه ظاهرا من أمر عثمان، فمروان اللعين فيمن ألب عليه وشمت بمصابه، وهو القائل:

لما أتاه نعيه فبنه من كسر ضلعا كسر جنبه=

=ولكن ذحول بني أمية بدماء الجاهلية التي طلبوا بها رسول الله في عترته وأهل بيته.
ولما قال ذلك مروان اللعين، قال عمرو بن سعيد ـ عامل المدينة يومئذ ـ:
لوددت والله أن أمير المؤمنين لم يكن يبعث الينا برأس الحسين.
فقال له مروان: اسكت لا أم لك، وقل كما قال الأول:
ضربوا رأس شريز ضربة اشتت أوتاد ملك فاستقر
ثم أتى برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد، فأعرض بوجهه عنه واستعظم أمره. فقال مروان اللعين لحامل الرأس: هاته. فدفعه إليه، فأخذه بيده، وقال:
يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
وهذه العداوة المحضة الأصيلة، وطلب القديم من ثار الجاهلية، لم يستطع مروان اللعين أن يخفيه، وبعثه السرور بقتل الحسين صلوات الله عليه، على أن أخذه بيده، وقال ما قاله.
وقد كان علي ﷺ أسره يوم الجمل، فمنّ عليه وأطلقه، فما راعى ذلك ولا حفظه بل قد شاور معاوية اللعين في نبش قبر علي صلوات الله عليه لما غلب على الامر، فتمثل بقول الأول:
أجنوا أخاهم في الحفير ووسدوا أخاهم وألقوا عامرا لم يوسد
يحرضه بذلك على نبش قبر علي ﷺ، ويذكره قتلى بدر من بني عبد الشمس، ومن قتل منهم على الكفر غير موسد ولا مدفون.
فأما عثمان لو كان أراده، فقد كان عثمان، فهذا ما لا ستر عليه ولا خفاء به من تنكله ذحول الجاهلية. ثم استشار معاوية في نبش قبر علي ﷺ عبدالله بن عامر بن كريز.
فقال: ما أحب أن تعلم مكان قبره، ولا أن تسأل عنه، ولا أحب أن تكون هذه العقوبة بيننا وبين قومنا.
فقبل معاوية من عبدالله ما أشار به عليه، وأعرض عن رأي مروان اللعين فيما أشار به من نبش قبر علي ﷺ الذي استحباه ومن عليه، وأطلقه من الأسر، ولكن غلب على اللعين الحقد على رسول الله ﷺ لما قتل من أهل بيته على الكفر بالله والشرك به ولعنه إياه، ولان عليا ﷺ أتى به إلى رسول الله ﷺ لما أراد نفيه يقوده بأذنه. وقد ذكرنا فيما تقدم خبره في ذلك وما كان منه. (شرح الأخبار ٣: ١٦٠ ـ ١٦٢). وقال ابن أبي الحديد بعد قوله في الحكم: (وأما مروان ابنه فأخبث عقيدة وأعظم إلحادا وكفرا، وهو الذي خطب يوم وصل إليه رأس الحسين ﷺ إلى المدينة، وهو يومئذ أميرها، وقد حمل الرأس على يديه فقال:
يا حبذا بردك في اليدين وحمرة تجري على الخدين
كأنما بت بمحشدين
ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي، وقال: يا محمد يوم بيوم بدر. (ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤: ٧١).

(بعد خروج الحسين أمر عمرو بن سعيد بن العاص صاحب شرطته على المدينة، أن يهدم دور بني هاشم، وبلغ منهم كل مبلغ). (الأغاني ٤: ١٥٥).

وولّى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام، وأمره بهدم دور بني هاشم وآل الزبير، ففعل)! (الأغاني ٥: ٨٢).

٧ ـ وعندما طرد أهل المدينة مروان وبني أمية، قبل الإمام ﷺ أن يحمي عائلة مروان فجعلهم مع عائلته في ينبع.

قال الطبري ٤: ٣٧٢: (عن محمد بن عمر قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلّم مروان بن الحكم ابن عمر أن يُغَيِّبَ أهله عنده. فأبى ابن عمر أن يفعل! وكلّم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحماً وحرمي تكون مع حرمك، فقال: أفعل. فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع، وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة)[1].

وفي تاريخ الطبري، ما نصه: وقد كان علي بن الحسين حين

---

(١) إنّ ما نقله الطبري في ذيل بعض رواياته من قوله: «وكان مروان شاكرا لعلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة» لا يكاد يصح، فعداوة مروان لعلي بن الحسين وأهل بيته لا تحتاج إلى بيان. فمتى كانت هذه الصداقة القديمة بين مروان وعلي بن الحسين؟ أ يوم خرج لحرب جده علي بن أبي طالب مع أهل الجمل أم يوم حاربه بصفين مع معاوية أم يوم قال مروان للوليد في حق الحسين: إنه لا يبايع ولو كنت مكانك لضربت عنقه أم يوم قال له لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه ولكن احبس الرجل فلا يخرج حتى يبايع أو تضرب عنقه وقول الحسين له ويلي عليك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي!! كذبت والله ولؤمت، وقول مروان لما جيء برأس الحسين ﷺ: ـ

أخرجت بنو أمية منع ثقل مروان وامرأته وآواها ثم خرجت إلى الطائف فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان فبعث ابنه عبدالله معها[١].

٨ ـ وبعد اجتياح جيش يزيد المدينة كافأ مروان الإمام ﷺ فحرَّض على قتله!

عندما تقرأ أن مرواناً دخل مع الإمام ﷺ على قائد جيش يزيد بعد احتلاله المدينة، تتصور أن مرواناً قدَّر جميل الإمام زين العابدين ﷺ لأنه حمى له عائلته عندما طرده أهل المدينة، وأن موقفه كان لمصلحة الإمام ﷺ، حتى تتفاجأ أنه كان في غاية الخسة! فكان يحرض الطاغية على قتل الإمام ﷺ! ولما رأى أنه احترمه وأخبره أن يزيداً أوصاه به، غيَّر كلامه وأخذ يمدح الإمام ﷺ!

قال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار ٣: ٢٧٤: (فلما قدم مسرف إلى المدينة أرسل إلى علي بن الحسين وعنده مروان بن الحكم،

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
كأنما حف بوردتين شفيت نفسي من دم الحسين
والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان.

أكلّ هذا من أسباب الصداقة بين مروان وعلي بن الحسين!! كلا ولكنهم أهل بيت طبعوا على مكارم الأخلاق وجبلوا على الاحسان لمن أساء إليهم والعفو والصفح عن أعدائهم سجايا خصهم الله بها وطبعهم عليها وميزهم بها عن سائر الخلق وأخرجهم بها عن مجرى العادات.

وهذا منتهى مكارم الأخلاق والمجازاة على الإساءة بالاحسان ولا عجب إذا جاء الشيء من معدنه:

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٩. وانما أرسل الامام زين العابدين ولده عبدالله معها إلى الطائف محافظة عليها، فبقي معها حتى انتهت الوقعة.

وقد علم ما ذكره من وعيده فجعل يغريه به. فلما دخل عليه قام إليه فاعتنقه وقبل رأسه وأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه بوجهه ليسأله عن حاله وأحوال أهله، فلما رأى ذلك مروان جعل يثني على علي بن الحسين ويذكر فضله! فقال مسرف: دعني عن كلامك! فإني إنما فعلت ما فعلت من بره وإكرامه وقضاء حوائجه لما قد أمرني به أمير المؤمنين. ثم قال لعلي بن الحسين: إنما جعلت الاجتماع معك لما سبق إليك عني لئلا تستوحش مني، وأنا أحب الاجتماع معك والأنس بك والتبرك بقربك والنظر فيما تحب من صلتك وبرك، وأنا على ذلك، لكنني أخاف أن يستوحش أهلك إن طال عندي مقامك، فانصرف إليهم ليسكنوا ويعلموا ويعلم الناس ما لك عند أمير المؤمنين وعندي من الجميل. ثم قال: قدموا دابته. قالوا: ما له دابة! قال مسرف: قدموا له دابتي. فقدموها له بين يديه وعزم عليه أن يركبها فركب وانصرف إلى أهله، وهم والناس ينظرون ما يكون منه فيه).

٩ ـ وقد استغل الأمويون وأتباعهم العلاقة الحسنة للإمام ﷺ مع مروان، فزعم ابن كثير في النهاية ٨: ٢٨٣، و٩: ١٢٢، أن الإمام ﷺ كان فقيراً فأعطاه مروان مالاً وشجعه على تكثير نسله، لأنه لم يبق غيره من ذرية الحسين ﷺ، وأقرضه مئة ألف درهم ليشتري جواري فيرزق منهن أولاداً، وأوصى ابنه أن لا يأخذها منه بعد موته، فتزوج الإمام ﷺ وولد له أولاد، فكل أولاده من أموال مروان!

لاحظ قوله في (٩: ١٢٢): (فقال له مروان بن الحكم: لو اتخذت السراري يكثر أولادك، فقال: ليس لي ما أتسرى به، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السراري فولدت له وكثر نسله، ثم لما مرض مروان أوصى

أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله). ونحوه تاريخ الذهبي ٦: ٤٣٥، وتاريخ دمشق ٤١: ٣٧٤، وتهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٨.

يقولون لك بهذا الكذب: إن السادة الحسينيين كلهم من أموال مروان! فهم مدينون بوجودهم لأسيادهم بني أمية العظماء!

٦ ـ علاقته مع عبد الملك بن مروان:

كان عبد الملك بن مروان معجباً بالإمام زين العابدين عليه السلام مغرماً به، يعتقد فيه أنه ولي الله وحجته، فقد رأى منه معجزات، وطلب منه أن يسكن عنده في الشام أو يكثر زيارته فأبى. (الخرائج ١: ٢٥٥) وأراد أن يناسبه ويتزوج ابنته أو أخته فأبى. (مناقب آل أبي طالب ٢: ٤٢) وعندما كان يأتيه الزهري من المدينة يسأله عبد الملك عن علي بن الحسين؟ (تاريخ دمشق ٤١: ٣٧٢).

قال الزهري: (دخلت مع علي بن الحسين على عبد الملك بن مروان، قال فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين فقال: يا أبا محمد لقد بان عليك الإجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وقريب النسب وكيد السبب، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه. قال فقال علي بن الحسين: كلُّ ما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم؟ إلى أن قال: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتايَ على صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع

نعمه، التي لا يحصيها العادُّون، ولا يبلغ حد نعمة منها عليَّ جميع حمد الحامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية. لولا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لرميتُ بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله، ثم لم أردَّهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين! وبكى، وبكى عبد الملك). (فتح الأبواب، لابن طاووس: ١٦٩).

فأي معرفة هذه؟ وأي حبٍّ لله هذا الذي يمكن صاحبه أن يرمي بطرفه إلى السماء، ويرمي بقلبه إلى الله طول حياته، فيكون عمره تسبيحةً واحدةً؟!

إنها قمة المعرفة والعبادة، لا ما يدعيه المدّعون ويُلقلقون به ألسنتهم!

ومع كل ذلك، فقد طلب الحجاج حاكم العراق والحجاز من عبد الملك أن يأذن له بقتل الإمام ﷺ، لأنه الأب الروحي للحركات المناهضة للأمويين، فأجابه مروان بأنه لا يريد أن يسلبه الله ملكه كما فعل ببني سفيان بقتلهم أباه الحسين صلّوات الله عليه! وهو يدل على نفوذ الإمام ﷺ على الناس في العراق وغيره.

طلب عبد الملك من الإمام درع النبي ﷺ وسيفه:

طلب منه عبد الملك سيف رسول الله ﷺ ودرعه، وسلط عليه الحجاج فهدد الإمام ﷺ بالقتل فأعطاه درعاً وسيفاً، وعندما جاء عبد الملك للحج اشتكى له غلظة الحجاج وظلمه، وأخذ منه ثمن السيف،

وشهادة بأنه وارث رسول الله ﷺ دون غيره. (الثاقب في المناقب: ٣٦٣).

وتدل رواية المناقب ٣: ٣٠٢، على أن عبد الملك كتب أولاً للإمام عليه السلام مباشرة، فرفض. (بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله ﷺ عند زين العابدين، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة. فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدده وأنه يقطع رزقه من بيت المال. فأجابه عليه السلام: أما بعد، فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾. فانظر أينا أولى بهذه الآية؟!). انتهى[1].

فيظهر أن عبد الملك سمع بذلك فأراد أن يستولي على سيف النبي ﷺ ودرعه، فكتب إلى الإمام عليه السلام. ولما رفض أن يعطيه سلط عليه الحجاج، فأعطاه الإمام عليه السلام سيفاً ودرعاً آخر. وسيأتي ذكره في سيرة الإمام الباقر عليه السلام إن شاء الله وادعاء الحسنيين أنه عندهم.

اعتراض عبد الملك على الإمام عليه السلام لأنه أعتق أمته وتزوجها:

كان لعبد الملك بن مروان عينٌ بالمدينة (جاسوس) يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن علي بن الحسين (صلوات الله عليه) أعتق جارية ثم تزوجها فكتب العيْن إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن

(١) قال الشيخ الكوراني: لاحظ أن الإمام عليه السلام لم يذكر أول الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، لأنه يشعر بمدحه لنفسه في رسالته للطاغية. أما سيف النبي ﷺ ودرعه وقميصه الذي عليه دمه في أُحُد، وبقية مواريث الأنبياء عليهم السلام، فقد ثبت عندنا أن الله جمعها لنبيه ﷺ ومنها جميع الكتب والصحف المنزلة، وورّثها النبي بأمر ربه لعترته الطاهرة عليهم السلام، فهي عندهم علامة الإمامة الربانية. (جواهر التاريخ ٤: ١٥٩).

الحسين: أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت، والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين ﷺ: أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفني بتزوجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر وأستنجبه في الولد، وإنه ليس فوق رسول الله ﷺ مرتقىً في مجد ولا مستزادٌ في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجتْ عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى، ثم ارتجعتها على سنة نبيه ﷺ، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخلُّ به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فَخَرَ عليك علي بن الحسين! فقال: يا بنيَّ لا تقل ذلك فإنها ألسُنُ بني هاشم التي تَفْلُقُ الصَّخر وتَغْرِفُ من بحر! إن علي بن الحسين يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس). (الكافي ٥: ٣٤٤، وصححنا فيه عبارة على نسخة أعيان الشيعة ١: ٥٣٨، وكتاب زهر الآداب للقيرواني: ٤٤، ومناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٠).

عبد الملك يأمر واليه في المدينة بإذلال بني هاشم!:

من طغيان عبد الملك بن مروان أنه أراد إهانة آل علي وآل الزبير، وترسيخ العداوة بينهما، فبعث إلى واليه في المدينة أن يجبرهم على شتم أنفسهم، أو شتم بعضهم بعضاً عند منبر النبي ﷺ!

قال في تاريخ دمشق ١٣: ٦٨: (وكان عبد الملك بن مروان قد غضب غضبةً له فكتب إلى هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، وهو عامله على المدينة، وكانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك وأم ابنه هشام، فكتب إليه أن أقم آل علي يشتمون علي بن أبي طالب! وأقم آل عبدالله بن الزبير يشتمون عبدالله بن الزبير! فقدم كتابه على هشام فأبى آل علي وآل عبدالله بن الزبير وكتبوا وصاياهم فركبت أخت لهشام إليه وكانت جزلة عاقلة فقالت: يا هشام أتراك الذي يهلك عشيرته على يده! راجع أمير المؤمنين. قال: ما أنا بفاعل!

قالت: فإن كان لا بد من أمر فمر آل علي يشتمون آل الزبير ومر آل الزبير يشتمون آل علي! قال: هذه أفعلها، فاستبشر الناس بذلك وكانت أهون عليهم! وكان أول من أقيم إلى جانب المرمر الحسن بن الحسن، وكان رجلاً رقيق البشرة عليه يومئذ قميص كتان رقيقة، فقال له هشام: تكلم بسب آل الزبير فقال: إن لآل الزبير رحماً أبلها ببلالها وأربها بربابها، يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار؟! فقال هشام لحرسي عنده: إضربه. فضربه سوطاً واحداً من فوق قميصه فخلص إلى جلده فشرخه حتى سال دمه تحت قدمه في المرمر! (أي في مسجد النبي ﷺ عند المنبر الشريف)!

فقام أبو هاشم عبدالله بن محمد بن علي فقال: أنا دونه أكفيك أيها الأمير! فقال في آل الزبير وشتمهم!

ولم يحضر علي بن الحسين، كان مريضاً أو تمارض. ولم يحضر عامر بن عبدالله بن الزبير، فهمَّ هشام أن يرسل إليه فقيل له إنه لا يفعل أفتقتله، فأمسك عنه! وحضر من آل الزبير من كفاه! وكان عامر يقول:

إن الله لم يرفع شيئاً فاستطاع الناس خفضه! أنظروا إلى ما يصنع بنو أمية، يخفضون علياً ويغرون بشتمه، وما يزيده الله بذلك إلا رفعة).

وروى القصة في بغية الطلب ٥: ٢٣٢١، وسمط النجوم: ١٣٦٨، ونسب قريش: ٣٠، وفيه: (فمشى القوم بعضهم إلى بعض آل علي إلى آل الزبير، وآل الزبير إلى آل علي فقالوا: إن هؤلاء يقيموننا غداً فيسب بعضنا بعضاً، فيشتفون بذلك، فالله والرحم! فقال آل الزبير لآل علي: أنتم تُقامون قبلنا فما قلتم قلنا مثله. فكان أول من أقيم حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب... فقام في المرمر وهشام بن إسماعيل المخزومي على المنبر والٍ لعبد الملك بن مروان، فقال: سُبَّ آل الزبير، فأبى.. الخ.). انتهى[1].

كان عبد الملك يلجأ إلى الإمام ﷺ في أمور الدولة المهمّة:

فقد أرسل هرقل الروم إلى عبد الملك مهدداً الرسالة التالية: (أكلتُ لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة! ولأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف، أو تؤدي الجزية! فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين يتوعده! ويكتب إليه ما يقول ففعل، فقال علي بن الحسين: إن لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيي فيها ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة! فكتب بها الحجاج إلى عبد

(١) قال الشيخ الكوراني: مع أن عبد الملك أعقل بني مروان، فقد غلبه حقده وقدرته، وقد قال أمير المؤمنين ﷺ: (أصناف السكر أربعة: سكر الشباب، وسكر المال وسكر النوم، وسكر الملك). (تحف العقول: ١٢٤). (جواهر التاريخ ٤: ١٦٢).

الملك، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت به! ما خرج إلا من بيت نبوة)! (مناقب ٣: ٢٩٩، وتاريخ دمشق ٥٤: ٣٣٢، والنهاية ٩: ٤٨، والحلية ٣: ١٧٦، وصفة الصفوة ٢: ٧٨، وربيع الأبرار: ٢٢٧، والوافي بالوفيات ٤: ٧٦، وكنز العمال ١٤: ٢٩).

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٤: (وكتب ملك الروم إلى عبد الملك يتوعده، فضاق عليه الجواب، وكتب إلى الحجاج، وهو إذ ذاك على الحجاز: أن ابعث إلى علي بن الحسين فتوعده وتهدده وأغلظ له ثم انظر ماذا يجيبك فاكتب به إلي! ففعل الحجاج ذلك فقال له علي بن الحسين: إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة، وأرجو أن يكفينك في أول لحظة من لحظاته. وكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب به إلى صاحب الروم كتاباً فلما قرأه قال: ليس هذا من كلامه، هذا من كلام عترة نبوته). انتهى[1].

---

(١) قال الشيخ الكوراني: من دهاء عبد الملك أنه أراد حفظ علاقته مع الإمام عليه السلام فكتب إلى جلوازه الحجاج أن يهدده، ليستفيد من جوابه، فيكتب به إلى ملك الروم!. وقد نسب الحُسّاد القصة تارة إلى محمد بن الحنفية كما في رواية ثانية في تاريخ دمشق: ٥٤: ٣٣٢، وتارة إلى عبدالله بن الحسن، كما في رواية العقد الفريد: ٢٩٣، مع أنه رواها عنه في البحار: ٤٦: ١٣٢، عن الإمام زين العابدين عليه السلام. ولعل القصة التالية التي نسبوها إلى خالد بن يزيد بن معاوية، كانت أيضاً مع الإمام زين العابدين عليه السلام، فعندما خرج عبد الرحمن بن الأشعث في إيران على عبد الملك، تخوف أن يكون هو صاحب رايات خراسان التي أخبر النبي صلى الله عليه وآله أن زوال ملك الأمويين يكون على يدهم! قال الطبري: ٦: ٧٨: (أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال: أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس، إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان)! انتهى. وإنما قلنا ذلك لأنه لم يعهد عن خالد بن يزيد خبرته بالأحاديث وأخبار المهدي الموعود عليه السلام. (جواهر التاريخ ٤: ١٦٣).

الإمام ﷺ يحلّ مشكلة النقد والعلامة الصناعية:

والمشكلة الأهم التي وقعت لعبد الملك وتقدمت الإشارة إليها في قول ابن عساكر ٤١: ٣٦٠: (واستقدمه عبد الملك بن مروان في خلافته يستشيره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس).

فقد هدد ملك الروم عبد الملك بسبب حذفه الطراز الرومي وهو كالختم أو (الماركة المسجلة) يطبع على الورق في صناعته وعلى بعض البضائع المهمة. وكان مكتوباً فيه اسم الآب والابن والروح القدس، فكتب عبد الملك بدله: سورة التوحيد، فغضب ملك الروم وكتب إليه يهدده إن لم يرجع الطراز كما كان، وكتب له يهدده بأن ينقش على الدينار الرومي شتم النبي ﷺ، وكانت معاملة المسلمين ما زالت بالدينار الرومي!

وملك الروم هو ملك القسطنطينية، وهو لاوي بن فلنط الذي كان معاصراً لعبد الملك، كما في مروج الذهب: ٧٤٦، وتاريخ دمشق ٢٠: ١٤٥، وغيرهما.

قال ابن عبد البر في التمهيد ٢٢: ١٧٠: (وفيها يعني سنة ست وسبعين أمر عبد الملك بن مروان أن تنقش الدنانير والدراهم... وزن الدنانير قبل أن تضرب كانت اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة وكانت العشرة وزن سبعة.

وقال غير الواقدي: كانت الدنانير في الجاهلية وأول الإسلام بالشام وعند عرب الحجاز كلها رومية تضرب ببلاد الروم عليها صورة الملك واسم الذي ضربت في أيامه مكتوب بالرومية، ووزن كل دينار منها

مثقال كمثقالنا هذا، وهو وزن درهم ودانقين ونصف وخمسة أسباع حبة. وكانت الدراهم بالعراق وأرض المشرق كلها كسروية عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسية، ووزن كل درهم منها مثقال، فكتب ملك الروم واسمه لاوي بن فلفط إلى عبد الملك..).

وقال البلاذري في فتوح البلدان ١ : ٢٨٣ : (وكانت الأقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه إلى الربوبية تعالى الله علواً كبيراً، وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم. فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره). انتهى.

وقال الشهيد في الذكرى: (المعتبر في الدنانير المثقال، وهو لم يختلف في الإسلام ولا قبله، وفي الدرهم ما استقر عليه في زمن بني أمية، بإشارة زين العابدين عليه السلام بضم الدرهم البغلي إلى الطبري وقسمتهما نصفين، فصار الدرهم ستة دوانيق، وكل عشره سبعة مثاقيل، ولا عبرة بالعدد في ذلك). (وسائل الشيعة ٩: ١٤٩، ونحوه البيان: ١٨٥).

ومعناه أن الإمام عليه السلام أمر عبد الملك أن لا يهتم بتهديد هرقل وأن يُصدر ديناراً ودراهم وطنية، ويلزم المسلمين بالتعامل بها، ويبطل التعامل بالدينار الرومي كلياً. ويوحد الدراهم ليحل بذلك مشكلة اختلاف وزنها في نفس الوقت.

وقد نسبت بعض روايات مصادر السنيين ذلك إلى الإمام محمد الباقر عليه السلام، لكن المتفق عليه أن الحادثة وقعت في سنة ست وسبعين كما نص عليه ابن عبد البر وغيره، ومعناه أنها كانت في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام لأنه توفي سنة بضع وتسعين، ومات عبد الملك قبله في سنة ست وثمانين.

والظاهر أن الإمام زين العابدين ﷺ أرسل إلى عبد الملك ولده الإمام محمد الباقر ﷺ لمعالجة المشكلة والإشراف على مواصفات الدينار الإسلامي، وتوحيد الدرهم وطريقة السبك الدقيقة، فنسب الرواة الموقف إليه.

ولذلك شبيه عندما طلب ابن عبد الملك من الإمام الباقر ﷺ أن يحضر إلى الشام لمناظرة قدري أعياهم، فاعتذر عن السفر وأرسل له ولده الإمام الصادق ﷺ فناظره وخصمه بقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. (تفسير العياشي ١: ٢٣).

وأشهر النصوص لمسألة العملة والطراز في مصادر التاريخ، ما رواه البيهقي في المحاسن المساوئ: ٣٤٨، عن الكسائي النحوي، قال: (دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه، وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً، وأمر بتفريقه في خدم الخاصة، وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني فقال: هل علمت من أول من سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضة؟

قلت: يا سيدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي، غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك، كانت القراطيس للروم، وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين الملك ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها (أباً وإبناً وروحاً قديسا) فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان عليه، إلى أن ملك عبد الملك فتنبه عليه وكان فطناً، فبينا هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه، فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس

وهي تحمل في الأواني والثياب وهما تعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها، من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس، فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرزت بشرك مثبت عليها! فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وأن يأخذ صُنَّاع القراطيس بتطريزها بصورة التوحيد، وشهد الله أنه لا إله إلا هو. وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير.

وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من خالف، فلما أثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها، انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضباً، وكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك، للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الخلتين أيتهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الأعلاق حاجة أشكرك عليها، وتأمر بقبض الهدية، وكانت عظيمة القدر.

فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه أن لا جواب له ولم يقبل الهدية، فانصرف بها إلى صاحبه، فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك وقال: إني ظننتك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم

تجبني عن كتابي فأضعفت لك الهدية، وأنا أرغب إليك في مثل ما رغبت فيه من رد هذا الطراز إلى ما كان عليه أولاً. فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية.

فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي، فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها من شتم نبيك ما إذا قرأته ارفضّ جبينك له عرقاً! فأحب أن تقبل هديتي وترد الطراز إلى ما كان عليه وتجعل ذلك هدية بررتني بها، وتبقي على الحال بيني وبينك.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه وضاقت به الأرض وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب! إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم. وجَمَعَ أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به، فقال له روح بن زنباع (وهو نديم عبد الملك): إنك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه! فقال: ويحك من؟ قال: الباقر من أهل بيت النبي ﷺ! قال: صدقت ولكنه أرتج عليَّ الرأي فيه، فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إلي محمد بن علي بن الحسين مكرّماً ومتّعه بمائتي ألف درهم لجهازه وبثلاثمائة ألف درهم

لنفقته وأزح علته في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه، واحتبس الرسول قبله إلى موافاته عليٌّ.

فلما وافى أخبره الخبر، فقال له عليٌّ (هكذا ولعل أصله: محمد بن علي): لا يعظمنَّ هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أن الله جل وعز لم يكن ليطلق ما يهددك به صاحب الروم في رسول الله ﷺ. والأخرى وجود الحيلة فيه. قال: وما هي؟ قال: تدعو في هذه الساعة بصناع يضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله ﷺ أحدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الثلاثة الأصناف التي العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصبُّ سنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل. وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية: نوش خر. أي كل هنيئاً.

وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً، والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة.

ففعل عبد الملك ذلك، وأمره محمد بن علي بن الحسين أن يكتب

السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها، وأن يتهددوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وترد إلى موضع العمل، حتى تعاد على السكك الإسلامية. ففعل عبد الملك ذلك، وورد رسول ملك الروم إليه يعلمه بذلك ويقول: إن الله جل وعز مانعك مما قدرت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار الأرض بكذا وكذا، وبإبطال السكك والطراز الرومية.

فقيل لملك الروم: إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب. فقال: إنما أردت أن أغيظه بما كتبت به إليه لأني كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام! وامتنع من الذي قال وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين إلى اليوم). وقد فصّل الموضوع السيد الأمين في أعيان الشيعة ١: ٩٩، والدميري في حياة الحيوان: ١٠١، والإتليدي في إعلام الناس بما وقع للبرامكة: ٢٨٢، ورواه مختصراً ابن الفرا في رسل الملوك: ٧٨، وغيرهم.

كان عند عبد الملك هامش حرية استفاد منه الإمام عليه السلام والشيعة:

رووا أن الشاعر كثيّر عزة رحمه الله الذي كان صديقاً لعبد الملك، استفاد من هذا الهامش. قال في الدرجات الرفيعة ٥٨٦: (حدث ابن قتيبة قال: بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان فسأله عن شيء فأخبره به، فقال بحق علي بن أبي طالب إنه كما ذكرت؟ فقال: يا أمير المؤمنين لو سألتني بحقك لصدقتك! قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب! فحلف

له به فرضي.. ولما عزم عبد الملك على الخروج إلى حرب الزبير أنشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه ويبعث غيره فأبى، فلم تزل تلح عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة، فلما يئست منه بكت وبكى من حولها من جواريها وحواشيها، فقال عبد الملك: قاتل الله كثيّراً كأنه رأى موقفنا هذا حين قال:

إذا ما أراد الغزو لم يَثْنِ همَّهُ فتاةٌ عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهيَ عاقهُ بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها أن تقصر فأقصرت وخرج لقصده، فنظر إلى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مطرقاً فدعا به.. فقال: ذكرتُ الساعة بيتين من شعرك فإن أصبتَ ما هما فلك حكمك! فقال: نعم أردت الخروج فبكت عاتكة وبكى حشمها فذكرت قولي: إذا ما أراد العزم.. الخ. فقال: أصبت فاحتكم فأعطاه ما أراد.

ثم نظر إليه عبد الملك يسير في عرض الموكب متفكراً فقال: عليَّ يا ابن أبي جمعة فقال: إن عرفتك في أي شيء كنت تفكر فلي حكمي! فقال: نعم. قال: كنت تقول أنا في شر حال، خرجت في جيش من أهل النار ليس على ملتي ولا مذهبي، يسير إلى رجل من أهل النار ليس على ملتي ولا على مذهبي يلتقي الخيلان فتصيبني سهم غرب فأتلف، فما هذا؟!

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ ما كان في نفسي فاحتكم! قال: حكمي أن أصلك في عشرة آلاف درهم وأردك إلى منزلك. فأمر له بذلك). (الأغاني ٩: ٢٩).

٧ ـ علاقة الإمام ﷺ مع الحجاج بن يوسف الثقفي:

تقدم في المجلد الثالث شهادة عبد الملك في الحجاج، وقول الجصاص وهو من أكابر علمائهم: (لم يكن في العرب ولا آل مروان أظلم ولا أكفر ولا أفجر من عبد الملك، ولم يكن في عماله أكفر ولا أظلم ولا أفجر من الحجاج!) (أحكام القرآن ١: ٨٦).

وروى الآبي في نثر الدرر: ٣٨٥: (قال عبد الملك: لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الجندب أن أقتله، وإن الحجاج ليكتب إليّ في قتل فئام (جماعات) من الناس، فما أحفل بذلك)! انتهى.

فالحجاج جزار الخليفة وأداة طغيانه! ومع أن اسمه الحجاج فقد كان يحضر الحج ولا يحج! ففي الطبري ٥: ٢١: (حج بالناس الحجاج فرأيته واقفاً بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر، ثم صدر فرأيته عدل إلى بئر ميمون ولم يطف بالبيت! وأصحابه متسلحون، ورأيت الطعام عندهم كثيراً، ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب! ولقد ابتعنا من بعضهم كعكاً بدرهم فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة، وإنا لثلاثة نفر). انتهى.

وكان يتجاهر أحياناً بكفره، لكنه محميٌّ من الخليفة! وبلغ من استهتار الحجاج أنه كان يستهزئ بالمسلمين لزيارتهم قبر النبي ﷺ قال: (تباً لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله)! (شرح النهج ١٥: ٢٤٢).

وعندما كان يحاصر الكعبة ويضربها بالمنجنيق (جاءت صاعقة

فوقعت بالمنجنيق، فامتنع أصحابه من الرمي! فقال الحجاج: إن هذه نار القربان دلت على أن فعلكم متقبل)! (محاضرات الأدباء: ١٤٣٣).

وفي مروج الذهب ١: ٧٨٧، عن الصلت بن دينار، قال: سمعت الحجاج يقول: قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. فهذه لله وفيها مثوبة. وقال: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾. (التغابن: ١٦) وهذه لعبدالله وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك، أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا في غيره، لكانت دماؤهم لي حلالاً!

عذيري من أهل هذه الحمراء، يلقي أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول: إلى أن يبلغها يكون فرج الله، لأجعلنهم كالرسم الدائر وكالأمس الغابر!

عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب، أما والله لو أدركته لضربت عنقه! يعني عبدالله بن مسعود!

من عذيري من سليمان بن داود يقول لربه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾، كان والله فيما علمت عبداً حسوداً بخيلاً. انتهى[1].

وقصص كفر الحجاج وطغيانه كثيرة!

ففي نفس المصدر: قال الحجاج يوماً لعبدالله بن هانئ، وهو رجل من أود حي من اليمن... شهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته: والله ما كافأناك بعد... ثم روى إجبار الحجاج رئيس قبيلة فزارة

---

(١) قال الشيخ الكوراني: لم يفهم الحجاج الغليظ الذهن عصمة الأنبياء ﷺ وأن الله تعالى كان أخبر سليمان عن ملك خاص، يجعله نموذجاً للناس قبل حكم الإمام المهدي ﷺ ولا يتكرر، فدعا أن يكون هو صاحبه!. (جواهر التاريخ ٤: ١٧٢).

ورئيس قبيلة همدان أن يزوجاه بنتيهما، ثم قال له: (قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أَوَد هنالك! فقال: لا تقل أصلح الله الأمير ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب! قال: وما هي هذه المناقب؟ قال: ما سُبَّ أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط، قال: هذه والله منقبة! قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد وكان والله ما علمته امرأ سوء! قال: وهذه والله منقبة! قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا تتولاه، قال: وهذه والله منقبة! قال: وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها. ففعلت، قال: وهذه والله منقبة! قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة! قال: وهذه والله منقبة! قال: وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة ما لنا، وضحك! وكان دميماً شديد الأدمة، مجدراً في رأسه، أعجر، مائل الشدق، أحول، قبيح الوجه، وحش المنظر). انتهى. وعقاب الله لهذا الناصبي أشد وأخزى!

وقد زاد الحجاج في بغض أهل البيت عليهم السلام على أسياده بني أمية، فكان ملكياً أكثر من مَلِكه عبد الملك! وقد كتب له يستأذنه أن يقتل الإمام عليه السلام فلم يقبل خوفاً على ملكه! فقتل الحجاج خواص أصحاب الإمام عليه السلام كيحيى بن أم الطويل (الكافي ٢: ٣٨٠) وسعيد بن جبير، وعدداً من الأخيار وسيأتي ذكر بعضهم!

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٧٢: (وختم (الحجاج) أعناق قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليذلهم بذلك، منهم جابر بن عبدالله، وأنس بن

مالك، وسهل بن سعد الساعدي، وجماعة معهم. وكانت الخواتيم رصاصاً).

وفي الطبري ٥: ٣٥: (واستخف بأصحاب رسول الله ﷺ فختم في أعناقهم).

ومع كفر الحجاج وبغضه لأهل البيت ﷺ، فقد فقد حدثت له آية اضطر معها إلى أن يطلب من الإمام زين العابدين ﷺ أن يضع الحجر الأسود في محله، وذلك عندما أعاد بناء الكعبة سنة أربع وسبعين (أبو الفداء: ٢٥١)، بعد أن قَتَل عبدالله بن الزبير وتهدمت الكعبة من ضرب جيشه وقبله جيش يزيد.

ففي الكافي ٤: ٢٢٢، بسند صحيح عن أبان بن تغلب قال: (لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حيّةٌ فمنعت الناس البناء حتى هربوا، فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد مُنع بناءها، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال: أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به

علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى! فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين! فقال: معدن ذلك! فبعث إلى علي بن الحسين فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له علي بن الحسين: يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته، كأنك ترى أنه تراث لك! إصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلا رده. قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلا رده، قال: فردوه فلما رأى جمع التراب أتى

علي بن الحسين فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا. قال: فتغيبت عنهم الحية، وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم علي بن الحسين: تنحوا فتنحوا فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى، ثم غطاها بالتراب بيد نفسه، ثم دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفها، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج). والفقيه ٢: ١٩٣، والعلل ٢: ٤٤٨، والمناقب ٣: ٢٨١.

وفي الخرائج ١: ٢٦٨، (أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبدالله بن الزبير ثم عمروها، فلما أعيد البيت وأرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود، فكلما نصبه عالم من علمائهم أو قاض من قضاتهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويقع ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه. فجاءه علي بن الحسين ﷺ وأخذه من أيديهم وسمى الله ثم نصبه فاستقر في مكانه، وكبّر الناس). وفي الفقيه ٢: ٢٤٧، أن الحجاج لما فرغ من بناء الكعبة سأل علي بن الحسين أن يضع الحجر في موضعه، فأخذه ووضعه في موضعه).

وفي كامل الزيارات: ١٨، في قصة سرقة القرامطة للحجر الأسود وإرجاعه ونصب الإمام المهدي ﷺ له في مكانه، قال: (ينصبه في مكانه الحجة في الزمان ﷺ كما في زمان الحجاج وضعه زين العابدين ﷺ في مكانه فاستقر...). انتهى(١).

---

(١) قال الشيخ الكوراني: إقرأ جيداً قول ذلك الشيخ المكي في رواية الكافي الصحيحة: (إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى! فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين! فقال: معدن ذلك)، فهو يدل على أن الإمام ﷺ كان=

وأخيراً، فقد قال عمر بن عبد العزيز: (لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج، لزدنا عليهم)! (نثر الدرر، للآبي: ٢٨٦). ونسي عمر أن الحجاج عبدٌ مأمورٌ لجده عبد الملك، فخبثه فرعٌ من خبثه!

٨ ـ علاقته عليه السلام مع الناصبي المتطرّف «ابن الزبير»:

تزوج العوّام بن خويلد الزهري، بصفيّة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وآله، وولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة، وقتل أبوهم في حرب الفجار قبل الإسلام، فَرَبَّتْهُمْ أمهم في كنَف أبيها وإخوتها أعمام النبي صلى الله عليه وآله، وكان لها ابنة من زوجها السابق المتوفى الحارث بن حرب بن أمية.

وأسلمت صفية وأولادها وهاجروا إلى المدينة، واستشهد ابنها السائب في حرب اليمامة، واشتهر الزبير وتزوج بأسماء بنت أبي بكر. وكان في جوّ أخواله بني هاشم، واعتبر السقيفة مؤامرة على وصية النبي صلى الله عليه وآله بالخلافة لعلي والعترة عليهم السلام، وكان موقفه شديداً ضد أبي بكر وعمر، وشهر سيفه في وجه الذين جاؤوا إلى بيت علي عليه السلام لأخذ البيعة، ومنهم عمر وخالد وغيرهما. (سير الذهبي ٢: ٢٧١، والطبقات ٤: ١١٩، والمحبر: ١٨٩، والوافي ١٥: ٦٤، وراجع شرح الأخبار ٣: ٢٢٠، والبحار ٢٢: ٢٦٢، وقاموس الرجال ١٢: ٢٨٩).

لكن الزبير تغير رأساً على عقب، عندما استطاعت زوجته أسماء

=معنياً ببناء الكعبة وأنها جاء وقاس أساسها. كما يدل على أسرار أودعها الله تعالى في الكعبة وبقعتها والحجر الأسود، وبعض أحكامها، وارتباط أمرها بأهل بيت الله تعالى وبيت النبي صلى الله عليه وآله. (جواهر التاريخ ٤: ١٧٥).

وابنه عبدالله، أن يؤثرا عليه ويحولاه إلى صديق للسلطة والحزب القرشي، فأخذ يبتعد عن أخواله بني هاشم إلى أن صار عدواً لهم! (فكان عليٌّ يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ له عبدالله). (أسد الغابة ٣: ١٦٢). وفي الخصال: ١٥٧: (حتى أدرك فرخه فنهاه عن رأيه). وفي الإمامة والسياسة ١: ١٤: (حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا). وفي الأصول الستة عشر: ٢٣، (ولقد حلق رأسه وهو يقول لا نبايع إلا علياً). أي كان مستميتاً أيام السقيفة، قبل أن يتحول إلى العكس!

وكانت عاقبته أنه بايع علياً عليه السلام ثم نكث بيعته وخرج مع طلحة وعائشة إلى البصرة لحربه، فطلبه علي عليه السلام قبل أن يلتحم القتال وذكره بحديث النبي صلى الله عليه وآله فانسحب عائداً إلى المدينة، ورافقه شخص يدعى ابن جرموز وقتله! فكان (كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً). أعاذنا الله من سوء العاقبة!

أما ابنه عبدالله بن الزبير فكان تابعاً لأمه أسماء وخالته عائشة، ولم ينسحب من معركة الجمل مع أبيه، بل واصلها مع خالته بحماس، ونجا بأعجوبة من سيف مالك الأشتر رحمه الله وجرح جرحاً بليغاً في رأسه، وعندما انتصر عليهم أمير المؤمنين عليه السلام عفا عنهم جميعاً. قال في شرح النهج ٤: ٧٩: (وعبدالله هو الذي حمل الزبير على الحرب وهو الذي زيَّن لعائشة مسيرها إلى البصرة، وكان سباباً فاحشاً يبغض بني هاشم ويلعن ويسب علي بن أبي طالب). انتهى.

وعندما خرج ابن الزبير على يزيد وتحصن في الكعبة، كان شديداً على بني هاشم أكثر من شدته على بني أمية! حتى أنه هدد من كان منهم في مكة بالحرق إن لم يبايعوه! وكان بينه وبين ابن عباس سجالات،

منها قول ابن عباس في خطبة له: (وا عجباً كل العجب لابن الزبير! يعيب بني هاشم وإنما شَرُفَ هو وأبوه وجده بمصاهرتهم، أما والله إنه لمسلوبُ قريش! ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب؟! قيل للبغل: من أبوك يا بغل؟ فقال: خالي الفَرَس. ثم نزل). (شرح النهج ٢٠: ١٢٩).

وتقدم أنه سجن بني هاشم ومنهم ابن عباس في مكة وهددهم بحرق السجن عليهم إن لم يبايعوه! وأنه ترك ذكر النبي ﷺ كلياً في خطبه وصلاته! وأجاب من استنكر عليه: (إن له أُهَيْلَ سوء إذا ذكر استطالوا ومدوا أعناقهم لذكره)! (الصحيح من السيرة ٢: ١٥٣، عن العقد الفريد ٤: ٤١٣، وأنساب الأشراف ٤: ٢٨، وغيرهما).

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١: (وتحامل عبدالله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته! فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟! فقال: إن له أهل سوء يشرئبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به).

وقال لابن عباس: (لقد كتمت بغضك وبغض أهل بيتك مذ أربعين سنة! فقال ابن عباس: ذلك والله أبلغ إلى جاعريتك! بُغضي والله أضرك وآثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبك، فإذا عوتبتَ على ذلك قلت إن له أهيل سوء فإذا صليتُ عليه تطاولت أعناقهم وسمت رؤوسهم! فقال ابن الزبير: أخرج عني فلا تقربني! قال: أنا أزهد فيك من أن أقربك ولأخرجن عنك خروج من يذمك ويقليك، فلحق بالطائف فلم يلبث يسيراً حتى توفي). (أنساب الأشراف: ٨٥٧). ومعنى جاعريتك: أنه لا يشبه خؤولته بني هاشم فهو كجعرور التمر).

الإمام ﷺ يتجنّب شَرَّ ابن الزبير ويتخوّف منه:

في حلية الأولياء ٣: ١٣٤: (عن أبي حمزة الثمالي قال: أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أضرب، فقعدت حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد عليَّ السلام ودعا لي، ثم انتهى إلى حائط له فقال: يا أبا حمزة ترى هذا الحائط؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله. قال: فإني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في تجاه وجهي ثم قال: يا علي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً، أعلى الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منها البر والفاجر؟ فقلت: ما عليها أحزن لأنه كما تقول، فقال: أعلى الآخرة هو وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر؟ قلت: ما على هذا أحزن لأنه كما تقول، فقال: وما حزنك يا علي بن الحسين؟ قلت: ما أتخوف من فتنة ابن الزبير! فقال لي: يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم قال: فخاف الله فلم يكفه؟ قلت: لا. ثم غاب عني، فقيل لي يا علي هذا الخضر ﷺ ناجاك). وكشف الغمة ٢: ٢٨٩، والكافي ٢: ٦٣، والإرشاد ٢: ١٤٨، وأمالي المفيد: ٢٠٤، وكنز الفوائد: ٢١٤، والخرائج: ١: ٢٦٩، ودعوات الراوندي: ١٣١، وتاريخ دمشق ٤١: ٣٨٣، والتذكرة الحمدونية: ٣٧، ورواه عدد من مصادرهم ونسبه إلى رجل في بستان في مصر! كمصنف ابن شيبة ٨: ٢٠٦، والهواتف: ٨٨، والإصابة ٢: ٢٧٢.

وسبب تخوف الإمام ﷺ أن ابن الزبير كان أكثر قسوة من طغاة الأمويين، وأشد بغضاً لأهل البيت ﷺ! وكانت أيامه مليئة بالبطش والتصرفات غير المنطقية، في كل المناطق التي حكمها في اليمن والحجاز والعراق.

قال مطرف بن عبدالله: (لبثتُ في فتنة بن الزبير تسعاً ما أُخبِرْتُ فيها بخير، ولا استخبرت فيها عن خير). (الطبقات ٧: ١٤٢). وقال في تاريخ دمشق ٢٨: ٢٤٥: (فكانت فتنة ابن الزبير من لدن موت يزيد بن معاوية إلى أن قتل تسع سنين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وكان ابن الزبير آدم نحيفاً ليس بالطويل ولا بالقصير). انتهى.

وكان الإمام ﷺ يتجنّب الاحتكاك بابن الزبير، فلم يسكن أيام ثورة أهل المدينة على يزيد في مكة كما فعل ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية وغيرهم، ممن لم يشارك أهل المدينة في ثورتهم. ويظهر أن الإمام ﷺ كان في تلك الفترة يوزع وقته بين المدينة وينبع والبادية، حسب ما يقتضي الوضع، وقد حرص في أيام دخول جيش يزيد إلى المدينة أن يكون فيها.

ونلاحظ أن بعض آل الزبير يروي عن الإمام ﷺ كخالد بن الزبير وأولاده، ففي شعب البيهقي ٢: ٧٤، عن (خالد بن الزبير عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: إنما تكون الصنيعة إلى ذي دين أو حسب. وجهاد الضعفاء الحج. وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها. والتودد نصف الدين. وما عال امرؤ اقتصد. واستنزلوا الرزق بالصدقة. وأبى الله أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون. وقال مرة أخرى: وما عال امرؤ قط على اقتصاد). والمقاصد الحسنة للسخاوي: ٥٨ وغيره.

وفي تاريخ الذهبي ٦: ٤٣٧: (وقال الزبير بن بكار: ثنا عمي ومحمد بن الضحاك ومن لا أحصي، أن علي بن الحسين قال: ما أودُّ أن لي بنصيبي من الذل حُمْرَ النعم). انتهى. وترجموا لابن الزبير هذا

وضعفوه! قال الذهبي في سيره ١: ٦٤٠: (خالد بن محمد من آل الزبير، عن علي بن الحسين. قال البخاري منكر الحديث. وقال أبو حاتم: مجهول).. الخ[1].

وكان الإمام عليه السلام يتحمّل أذى آل الزبير:

في تذكرة ابن حمدون: ٣٠٣: (قال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذع فيه، فأعرض الزبيري عنه، ثم دار كلام فسبَّ الزبيري علي بن الحسين فلم يجبه، فقال له الزبيري: ما يمنعك من جوابي؟ فقال علي: ما منعك من جواب الرجل)!

وقال له رجل سبه فلم يلتفت إليه: إياك أعني، فقال له: وعنك أعرض! (كشف الغمة ٢: ٣١٩، ونثر الدرر: ١٥٦، والبحار ٤٦: ١٠١).

ومع كل مساوئ ابن الزبير ترى كثيراً من علماء المذاهب، خاصة الحنابلة، حكموا بأنه خليفة شرعي، وبأن مروان بن الحكم كان باغياً خارجاً عليه! ولذا لا تصح عندهم خلافة مروان ولا ابنه عبد الملك قبل أن يقتل ابن الزبير! فهو عندهم خارج باغ واجب القتل إلى اللحظة التي

---

(١) قال الشيخ الكوراني: يدل هذا النص وغيره على أن بعض آل الزبير كانت لهم صلات مع أهل البيت عليهم السلام وبعضهم شخصيات كعامر بن عبدالله بن الزبير، لكن أكثرهم كانوا على مذهب عبدالله بن الزبير ومذهب أبيه الذي مات عليه. لكن آية الله الميلاني مد ظله لم يستثن من آل الزبير أحداً فحكم في رسالته في رد خطبة علي عليه السلام لبنت أبي جهل بأن كل أولاد الزبير كانوا معادين لأهل البيت عليهم السلام. وأن قصة خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لبنت أبي جهل المزعومة من وضعهم! وأنهم جميعاً في النصب سواء، وإن اشتهر من بينهم عبدالله وظهر بغضه وعداؤه لأهل البيت عليهم السلام أكثر من إخوته!(جواهر التاريخ ٤: ١٨٠).

قتل فيها ابن الزبير عند الكعبة فأكرمه الله فجعله خليفة لخاتم أنبيائه ﷺ!

قال الذهبي في تاريخه ٦: ١٣٢: (عبد العزيز بن مروان أبو الأصبغ الأموي، أمير مصر وولي عهد المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد من مروان، إن صححنا خلافة مروان، فإنه خارج على ابن الزبير باغ، فلا يصح عهده إلى ولديه، إنما تصح إمامة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير)!

وقال في عون المعبود ١١: ٢٤٦: (فالتحقيق في هذه المسألة أن يُعْتَبَروا (أي أن يعد الأئمة الإثنا عشر) بمعاوية وعبد الملك وبنيه الأربع وعمر بن عبد العزيز ووليد بن يزيد بن عبد الملك بعد الخلفاء الأربعة الراشدين. وقد نقل عن الإمام مالك أن عبدالله بن الزبير أحق بالخلافة من مخالفيه، ولنا فيه نظر، فإن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قد ذكرا عن النبي ﷺ ما يدل على أن تسلط ابن الزبير واستحلال الحرم به مصيبة من مصائب الأمة! أخرج حديثهما أحمد عن قيس بن أبي حازم قال جاء ابن الزبير إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو فقال عمر أجلس في بيتك فقد غزوت مع رسول الله ﷺ، قال فرد ذلك عليه فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها أقعد في بيتك، والله إني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد ﷺ أخرجه الحاكم. فمن لفظه بطرف المدينة يُفهم أن واقعة الجمل غير مرادة هاهنا، بل المراد خروجه للخلافة... ولم ينتظم أمر الخلافة عليه).

٩ ـ مع الشاب المترف عمر بن عبد العزيز:

في بصائر الدرجات: ١٩٠: (عن عبدالله بن عطاء التميمي قال: كنت مع علي بن الحسين في المسجد فمرَّ عمر بن عبد العزيز، عليه شراكا فضة، وكان من أحسن الناس وهو شاب، فنظر إليه علي بن الحسين فقال: يا عبدالله بن عطاء ترى هذا المترف؟ إنه لن يموت حتى يلي الناس! قال قلت: هذا الفاسق؟ قال: نعم، لا يلبث فيهم إلا يسيراً حتى يموت، فإذا مات لعنه أهل السماء واستغفر له أهل الأرض!). ودلائل الإمامة: ٢٠٤، والثاقب في المناقب: ٣٦٠، والخرائج والجرائح ٢: ٥٨٤، ومناقب آل أبي طالب ٣: ٢٨٤.

وتقدم في علاقته ﷺ مع المتصوفة قوله لأحدهم وقد قعد على باب الوالي ولعله عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة (ابن ماجة ١: ٢٢٠) قال له الإمام ﷺ: (ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء. قال: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه! فأخذ بيده حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله ﷺ..). ثم علّمه صلاة الحاجة ودعاءها. (دعوات الراوندي: ٥٤، والبحار ٨٨: ٣٧٥).

هذا رأي الإمام ﷺ في ابن عبد العزيز، أما رأيه هو في الإمام ﷺ فكان يراه أفضل الناس في عصره على الإطلاق! قال في محاضرات الأدباء ١: ٣٤٤، وطبعة: ٣٦٠: (قال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين (لعله عندما كان والي المدينة): مَنْ أشرفُ الناس؟ فقالوا: أنتم. فقال: كلا، أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد). ونثر

الدرر للآبي: ٢٨٦، والمناقب ٣: ٣٠٤، وشرح إحقاق الحق ١٢: ١٣٦.

والحجة تامة على ابن عبد العزيز في ولاية العترة ﷺ:

في مجموعة ورام ٢: ١٥٩: (لما وليَ عمر بن عبد العزيز، استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة، واستعمل ميمون بن مهران على قرقيسا رجلاً يقال له علاثة، قال: فتنازع رجلان فقال أحدهما: معاوية أفضل من علي وأحق، وقال الآخر: علي أولى بالأمر من معاوية. فكتب عامل قرقيسا إلى ميمون بن مهران بذلك، فكتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى ميمون بن مهران: أن اكتب إلى عامل قرقيسا أن أقم الرجل الذي قدم معاوية على علي، بباب مسجد الجامع فاضربه مائة سوط وانْفه عن البلد الذي هو به! قال طلق فأخبرني من رآه وقد ضرب مائة سوط وأخرج ملبياً حتى أخرج من باب، يقال له باب الدين). انتهى.

وفي الصواعق المحرقة ٢: ٦٨٢: (دخلت فاطمة بنت علي على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فبالغ في إكرامها وقال: والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم، ولأنتم أحبُّ إليَّ من أهلي)[1].

(١) قال الشيخ الكوراني: كان عمر بن عبد العزيز يعتقد أن بني هاشم أشرف الناس كما تقدم، وأن علياً ﷺ أفضل الأمة وأزهدها بعد النبي ﷺ وهذا بحد ذاته حجة عليه أن يعمل لإعادة الحق إلى أصحابه، ولكنه لم يفعل! قد روى عنه في مناقب آل أبي طالب: ١: ٣٦٤، قال: (ما علمنا أحداً كان في هذه الأمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي). وكامل ابن الأثير: ٣: ٤٠١. وقد روى فيه العامة نوعاً من المدح عن الإمام الباقر ﷺ، =

وقد روى له المؤرخون والمحدثون مناظرات علمية مفصلة مع كبار فقهاء المذاهب، وقد جمعهم لذلك وأفحمهم واحتج عليهم بالقرآن والسنة، لإثبات مكانة العترة النبوية، وإثبات نص القرآن والنبي صلى الله عليه وآله على خلافة علي عليه السلام!

١٠ ـ علاقة الإمام عليه السلام مع الخوارج:

في مروج الذهب ٢: ٤١٨، أن علياً عليه السلام عندما انتصر على الخوارج قال له بعض أصحابه: (قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر، فقال: كلا

=قال في تاريخ دمشق: ٤٥: ١٤٦: (عن عمرو بن قيس الملائي قال: سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز، فقال: أما علمت أن لكل قوم نجيبة وأن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده). وتهذيب الكمال: ٢١: ٤٣٩، وتذكرة الحفاظ: ١: ١١٩، وسير الذهبي: ٥: ١٢٠، وحلية الأولياء: ٥: ٢٥٤، وأكثر من ترجم له. لكن التقييم الصحيح له ما تقدم أنه مترف فاسق، يستغفر له أهل الأرض ويلعنه أهل السماء، وقد جرى ذكره بعد موته عند الشريف الرضي رحمه الله فقال:

دِيرَ سمعانَ لا عَدَتْكِ الغَوادي ... لخيرُ مَيْتٍ من آل مروانَ مَيْتُكْ
دِيرَ سمعان فيك مأوى أبي ... حفص لوُدّي لو أنّني آويتُكْ
يا بنَ عبد العزيز لو بكت ... العينُ فتىً من أمية لبكيتُكْ
غير أني أقول إنك قد طبتَ ... وإن لم يطبْ ولم يَزْكُ بيتُكْ
أنتَ نزّهتنا عن السَّبّ واللعـ ... ـن فلو أمكن الجزاءُ جزيتك
وعجيبٌ أني قليت بني مـ ... ـروان طرّاً وأنني ما قليتُكْ
ولوَ إني رأيت قبرَك لاستحـ ... ـييتُ من أن أرَى وما حييتك

(النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: ١٠٧، ودير سمعان: مكان قرب حمص، فيه قبره).
وقد أكثروا من مدح عمر بن العزيز بأنه كان عادلاً، وبأنه أصدر مرسوماً ألغى مرسوم معاوية بوجوب لعن علي عليه السلام في صلوات الجمعة وغيرها، لكن لعن الأمويين وأتباعهم بقي بعد ابن عبد العزيز، في كثير المناطق! ومهما بلغ عمر بن عبد العزيز فليس هو أفضل من المأمون الذي كان متخصصاً في الإمامة، منظراً لها، مناظراً فيها! ومع ذلك ارتكب قتل الإمام الرضا عليه السلام خوفاً من تعلق الناس به، وانقلابهم على بني العباس! (جواهر التاريخ ٤: ١٨٤).

والذي نفسي بيده وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها، حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط، يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة). انتهى. وقد حددت روايات أخرى مكان آخر خارجة قرب بعقوبة من العراق، وقد بحثنا ذلك في معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ ٣: ١١٦.

وفي زمن الإمام زين العابدين ﷺ كان زعيم الخوارج البارز نافع بن الأزرق ثم انشق عليه نجدة بن عامر بن المعروف بنجدة الحروري، وسيطر على نجد والبحرين وعمان وقسم من اليمن، لمدة ثلاث سنوات من ٦٥ إلى ٦٩ هجرية.

ففي العبر للذهبي ١: ٧٤: (وفيها (سنة ٦٦) قويت شوكة الخوارج واستولى نجدة الحروري على اليمامة والبحرين). وشذرات الذهب ١: ٧٤.

وفي مسند الشافعي ترتيب السندي ٢: ٨٥: (نجدة الحروري رئيس النجدية والحرورية خرج من جبال عمان، فقتل الأطفال وسبى النساء، وأهرق الدماء واستحل الفروج والأموال، وكان يُكفِّرُ السلف والخلف، ويتولى ويتبرأ، وكان ردياً مُردياً يأخذ بالقرآن، ولا يقول بالسنة أصلاً). انتهى.

وأكثر ما اشتهر عن نجدة رسالته إلى ابن عباس وجوابها، روتها عامة كتب الحديث والفقه، كالصدوق في الخصال: ٢٣٥، بسنده عن الإمام الصادق ﷺ قال: (إن نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس يسأله عن أربعة أشياء هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء وهل كان يقسم لهن

شيئاً؟ وعن موضع الخمس؟ وعن اليتيم متى ينقطع يتمه؟ وعن قتل الذراري؟ فكتب إليه ابن عباس: أما قولك في النساء فإن رسول الله ﷺ كان يُحذيهن ولا يقسم لهن شيئاً، وأما الخمس فإنا نزعم أنه لنا وزعم قوم أنه ليس لنا فصبرنا، فأما اليتيم فانقطاع يتمه أشده وهو الاحتلام إلا أن لا تؤنس منه رشداً فيكون عندك سفيهاً أو ضعيفاً فيمسك عليه وليه. وأما الذراري فلم يكن النبي ﷺ يقتلها، وكان الخضر يقتل كافرهم ويترك مؤمنهم، فإن كنت تعلم منهم ما يعلم الخضر فأنت أعلم). وفي سنن النسائي ٣: ٤٤: (عن الزهري، عن يزيد بن هرمز أن نجدة الحروري حين خرج من فتنة بن الزبير أرسل إلى بن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن هو؟ فقال: لنا لقرب رسول الله ﷺ قسمه رسول الله ﷺ لنا وقد كان عمر عرض علينا شيئاً رأيناه دون حقنا، فأبينا أن نقبله! وكان الذي عرض عليهم أن يعين ويقضي عن غارمهم ويعطي فقيرهم، وأبى أن يزيدهم على ذلك). ونيل الأوطار ٨: ٢٣٠، وأحمد ١: ٣٢٠، وأبو داود ٢: ٢٦، وشرح مسلم للنووي ١٢: ١٩٢، وراجع في نجدة: تاريخ الذهبي ٥: ٤٩، و٥: ٦٨، والنهاية ٨: ٣٤٩.

كما اشتهر أن عكرمة غلام ابن عباس ذهب إلى نجدة وبقي عنده تسعة أشهر، وتبنى أفكاره في بغض علي ﷺ وتكفير كل من خالفهم من المسلمين!

(مقدمة فتح الباري: ٤٢٥، وفيه: أن ابن عباس قال عنه لما رجع: جاء الخبيث! والطبقات ٥: ١٠٣، وفي سير الذهبي ٥: ٢١: قال علي بن المديني: كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري. وذكر ذلك من ترجم لعكرمة، كميزان الإعتدال ٣: ٩٦، وتاريخ دمشق ٤١: ١٢٠،

والإستذكار ٢: ٥٠١. فاعجب لمن اتخذوا عكرمة إماماً وملؤوا تفاسيرهم وفقههم بآرائه!

ولم أجد رواية عن احتكاك بين نجدة والإمام زين العابدين ﷺ، ومعناه أن الإمام ﷺ كان يتوقى ذلك، وكان نجدة مشغولاً عنه في مناطق حكمه وحروبه، وقد هاجم مكة سنة ٦٧، وحارب ابن الزبير، وحج سنة ٦٨، وله مناظرات مع إمامه السابق نافع بن الأزرق، ومع ابن الزبير.

وروى الطبري ٤: ٥٩٥، والطبقات ٥: ١٠٣، أن موسم حجِّ سنة ٦٨، كان فيه أربعة أمراء وأن الناس طالبوهم أن يكفوا عن بعضهم حتى يحج الناس، قال: (وفي هذه السنة وافت عرفات أربعة ألوية... ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ونجدة الحروري خلفهما ولواء بني أمية عن يسارهما).

وقال الذهبي في تاريخه ٥: ٤٣: (وأما نجدة الحروري فإنه قدم في العام الماضي في جموعه من الحرورية على ابن الزبير وقاتلوا معه). انتهى.

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦٨: (وأقام الحج للناس في هذه السنين في سنة ٦٣ عبدالله بن الزبير، وفي سنة ٦٤ ابن الزبير، وقيل يحيى بن صفوان الجمحي، وفي سنة ٦٥ وسنة ٦٦ وسنة ٦٧ ابن الزبير، وفي سنة ٦٨ وقفت أربعة ألوية بعرفات: لواء مع محمد بن الحنفية وأصحابه، ولواء مع ابن الزبير، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري، ولواء مع بني أمية، وفي سنة ٦٩ وسنة ٧٠ وسنة ٧١ ابن الزبير). انتهى.

ولعل الإمام ﷺ لم يحج في السنوات الصعبة أو حج مستخفياً،

حيث لم أجد شيئاً عن لقائه أو احتكاكه أو مناظرته مع نجدة أو ابن الزبير أو الأمويين، لكن وجدت له حديثاً مع شخص من خوارج البصرة رواها في الإحتجاج ٢: ٤٠: (جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين ﷺ فقال: يا علي بن الحسين إن جدك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين! فهملت عينا علي بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفه منها، ثم ضرب بها على الحصى، ثم قال: يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل علي مؤمناً ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلما وجدوا على الكفر أعواناً أظهروه! وقد علمت صاحبة الجمل والمستحفظون من آل محمد ﷺ أن أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان، لعنوا على لسان النبي الأمي ﷺ وقد خاب من افترى! فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين إن جدك كان يقول: إخواننا بغوا علينا! فقال علي بن الحسين ﷺ: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. فهم مثلهم، أنجى الله عز وجل هوداً والذين معه، وأهلك عاداً بالريح العقيم). انتهى[1]. (جواهر التاريخ، للشيخ علي الكوراني العاملي ٤: ١٤٥ - ١٨٩).

❁ ❁ ❁

(١) قال الشيخ الكوراني: اتفق فقهاؤنا وعامة فقهاء المسلمين، على تكفير الغلاة الذين يؤلهون أهل البيت ﷺ، ومثلهم النواصب الذين يعادون أهل البيت ﷺ. لكن ابن تيمية خالف الإجماع وخص الحكم بالغلاة دون النواصب والخوارج! واحتج بصلاة ابن عمر خلف نجدة الحروري! (منهاج السنة: ٥: ١١). وهذا من أدلة نصبه!. (جواهر التاريخ ٤: ١٨٧).

حصيلة البحث

إن المحصل من البحث هو أن عصر الإمام زين العابدين كان من أحلك العصور وأشدها على الإمام من حيث كثرة الفساد وجبروت الطغاة وممارستهم أبشع أنواع الإرهاب ضد المؤمنين والشيعة، إضافة إلى تماديهم في الترف والفساد والمجون مما جعل أمر هداية الأمة صعباً للغاية، ولكن الإمام لم يتوقّف عن أداء دوره بأحسن وجه حتى تمكن من انتشال الكثير من المسلمين من السقوط في مهاوي الفتن والانحرافات التي كانت شائعة في ذلك العصر. وبذلك بقيت شجرة الإسلام صامدة بجهود الإمام زين العابدين حتى عصرنا الحاضر، ومن المأمول أن تبقى منصورة على الرغم من كل المؤامرات التي تحاك ضدها حتى ظهور إمامنا المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

اللهم! إنّا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، اللهم! ما عرّفتنا من الحقّ فحمّلناه، وما قصرنا عنه فبلّغناه، اللهم المم به شعثنا، واشعب به صدعنا، وارتق به فتقنا، وكثّر به قلّتنا، وأعزّ به ذلّتنا، وأغن به عائلنا، واقض به عن مغرمنا، واجبر به فقرنا، وسدّ به خلّتنا، ويسّر به عسرنا، وبيّض به وجوهنا، وفك به أسرنا، وأنجح به طلبتنا، وأنجز به

مواعيدنا، واستجب به دعوتنا، وأعطنا به فوق رغبتنا، يا خير المسؤولين، وأوسع المعطين، اشف به صدورنا، وأذهب به غيظ قلوبنا، واهدنا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وانصرنا به على عدوّك وعدوّنا، إله الحق آمين[١].

اللهم عجّل لوليّك الفرج والعافية والنصر، واجعلنا من خير أنصاره ومن المستشهدين بين يديه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) مصباح المتهجد، للشيخ الطوسي: ٥٨١.

أهم مصادر الهوامش والتعليقات

ـ أ ـ

١ ـ الاحتجاج، للشيخ الطبرسي (ت/ ٥٠٠حهـ).

٢ ـ الإرشاد، الشيخ المفيد محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي، المتوفى (٤١٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٣ ـ اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)، تحقيق مهدي رجائي، مؤسسة البعثة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٤ ـ الاختصاص، الشيخ المفيد محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي، المتوفى (٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر الإسلامي، بيروت، ط/ ٢ (١٤١٤هـ).

٥ ـ الأمالي، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)، مؤسسة البعثة، ط/الاولى (١٤١٤هـ)، ودار الثقافة للطباعة ـ قم.

٦ ـ الأمالي، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن حسين القمي المعروف بالصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، مؤسة البعثه، ط/الاولى ـ قم.

٧ ـ الأمالي، أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان المفيد، المتوفى (٤١٣هـ)، دار المفيد، بيروت، ط/ الثانية (١٤١٤هـ).

٨ ـ أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين العاملي، المتوفى (١٣٧١هـ)، دار التعارف بيروت.

٩ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى (٥٤٨هـ)، مؤسسة آل البيت ﷺ، ط/الاولى (١٤١٧هـ)، قم.

١٠ ـ الاحتجاج على أهل اللجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب، المتوفى (٥٦٠هـ)، دار النعمان، النجف الأشرف، ط/ سنة (١٣٨٦هـ).

١١ ـ الأغاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين الأموي الإصفهاني، المتوفى (٣٥٦هـ).

١٢ ـ أخبار الدول وآثار الأُول، أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان القرماني الدمشقي، المتوفى (١٠١٩هـ).

١٣ ـ الاتحاف في حبّ الأشراف، جمال الدين أبي محمّد عبدالله بن محمّد بن عامر الشبراوي، المتوفى (١١٧١هـ).

١٤ ـ أمالي النشيابوري.

١٥ ـ إقبال الأعمال، الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين القمّي، المتوفى (١٣٨١هـ).

١٦ ـ الأنوار البهيّة، الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي، المتوفى (١٣٥٩هـ).

١٧ ـ الإسلام وإيران، الشيخ الشهيد مرتضي مطهري، المتوفى (١٣٩٩هـ).

١٨ ـ إحقاق الحقّ وازهاق الباطل، القاضي نور الله التستري، المتوفى (١٠١٩هـ).

١٩ ـ إثباة الهُداة بالنصوص والمعجزات، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المتوفى (١١٠٤ ﻫ).

٢٠ ـ إثبات الوصيّة للإمام عليّ بن أبي طالب، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي، المتوفى (٣٤٦هـ).

٢١ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، المتوفى (٢٧٩هـ).

٢٢ ـ الأخبار الطوال، أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، المتوفى (٢٨٢هـ).

٢٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، المتوفى (٨٥٢هـ).

٢٤ ـ أهل البيت عليهم السلام تنوّع أدوار ووحدة هدف، الشهيد السعيد السيّد محمّد باقر الصدر، المتوفى (١٤٠٠هـ)، دار التعارف ـ بيروت.

٢٥ ـ الإمام زين العابدين عليه السلام، السيّد عبدالرزّاق بن محمّد آل المقرّم النجفي، المتوفى (١٣٩١هـ).

٢٦ ـ أصول الكافي، أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ).

٢٧ ـ افتراق هاشم وعبد شمس، أبي الحسن محمّد بن عليّ بن نصر المعروف بابن رؤبة الدبّاس.

- ب -

٢٨ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمّد باقر المجلسي، المتوفى (١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء، ط/الثانية، بيروت.

٢٩ ـ البداية والنهاية، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى (٧٧٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط/الاولى (١٤٠٨هـ)، بيروت.

٣٠ ـ بصائر الدرجات، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار القمي، المتوفى (٢٩٠هـ)، منشورات الأعلمي، مطبعة الأحمدي طهران (١٤٠٣هـ).

٣١ ـ البيان والتبيين، الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى (٢٥٥هـ).

٣٢ ـ بحث حول الولاية، السيّد الشهيد السعيد محمّد باقر الصدر، المتوفى (١٤٠٠هـ)، دار التعارف ـ بيروت.

- ت -

٣٣ ـ تاريخ أهل البيت ﷺ، أبي عبدالله محمّد ابن أبي الثلج البغدادي، المتوفى (٣٢٥هـ).

٣٤ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى (٩١١هـ).

٣٥ ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي

المعروف بابن عساكر، المتوفى (٥٧١هـ)، دار الفكر، ط/ الاولى، بيروت.

٣٦ ـ ترجمة الإمام زين العابدين عن تاريخ دمشق، تحقيق محمّد باقر المحمودي، المتوفى (١٤٢٧هـ).

٣٧ ـ تهذيب التهذيب، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، المتوفى (٨٥٢هـ).

٣٨ ـ تاريخ أسماء الثقات، عمر بن شاهين أبي حفص، المتوفى (٣٨٥هـ)، نشر الهادي، قم، ط/ الاولى (١٤١٧هـ).

٣٩ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين بن الحجاج بن يوسف المزّي، المتوفى (٧٤٢هـ)، مؤسسة الرسالة، ط/ الرابعة (١٤٠٦هـ)، بيروت.

٤٠ ـ تذكرة الحفّاظ، أبي عبدالله شمس الدين الذهبي، المتوفى (٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤١ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، المتوفى (٢٨٤هـ)، دار صادر ـ بيروت.

٤٢ ـ تهذيب الأحكام، أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ط/ الثالثة (١٣٦٤هـ).

٤٣ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط/ الرابعة (١٤٠٣هـ).

٤٤ ـ تحف العقول، أبي محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة

الحرّاني (من علماء القرن الرابع الهجري)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/ الثانية (١٤٠٤هـ).

٤٥ ـ تفسير القمي، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمي، المتوفى (٣٢٩هـ)، مؤسسة دار الكتاب، ط/ الثالثة (١٤١٤هـ)، قم.

٤٦ ـ تفسير العيّاشي، أبي النضر، محمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي، المتوفى (٣٢٠هـ)، ط/ المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٤٧ ـ التوحيد، أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، تعليق هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين، قم.

٤٨ ـ تفسير نور الثقلين، عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى (١١١٢هـ)، مؤسسة إسماعيليان، ط/ الرابعة (١٤١٢هـ)، قم.

٤٩ ـ تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني (معاصر).

٥٠ ـ تنقيح المقال في علم الرجال، عبدالله بن محمّد بن حسن المامقاني، المتوفى (١٣٥١هـ).

٥١ ـ تفسير الإمام العسكري، المنسوب إلى الإمام الحسن بن عليّ العسكري ﷺ، المتوفى (٢٦٠هـ)، مدرسة الإمام المهدي، ط/ الاولى (١٤٠٩هـ)، قم.

٥٢ ـ تفسير البرهان (البرهان في تفسير القرآن)، هاشم الحسيني البحراني، المتوفى (١١٠٧ أو ١١٠٩هـ).

٥٣ ـ التنبيه والإشراف، أبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ بن مسعود، المتوفى (٢٨٧هـ).

٥٤ ـ التمهيد، لابن عبد البرّ، يوسف بن عبدالله بن عبدالبرّ النمري القرطبي المالكي، المتوفى (٤٣٦هـ).

٥٥ ـ تذكرة الخواص، أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله سبط ابن الجوزي، المتوفى (٦٥٤هـ).

٥٦ ـ تهذيب اللغات والأسماء، أبي زكريا يحيى بن شرف الشافعي النووي، المتوفى (٦٧٦هـ).

٥٧ ـ تفسير الصافي، الملاّ محسن الفيض الكاشاني، المتوفى (١٠٩١هـ).

٥٨ ـ تيسير المطالب في ترتيب أمالي أبي طالب، السيّد يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين أبي طالب الهاروني العلوي، المتوفى (٤٢٤هـ).

ـ ث ـ

٥٩ ـ ثواب الأعمال، أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، منشورات الشريف الرضي، ط/ الثانية (١٣٦٨ ش) قم.

ـ ج ـ

٦٠ ـ جامع أحاديث الشيعة، السيّد حسين البروجردي، المتوفى (١٣٨٠هـ)، المطبعة العلمية قم (١٣٩٩هـ).

٦١ ـ الجرح والتعديل، أبو محمّد عبدالرحمن بن أبي حاتم التميمي

الحنظلي الرازي، المتوفى (٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط/الاولى (١٣٧١هـ)، بيروت.

٦٢ ـ جهاد الإمام زين العابدين ﷺ، محمّد رضا الحسيني الجلالي (معاصر). ط/مؤسسة دار الحديث الثقافية، ط/الاولى (١٤١٨هـ)، قم.

٦٣ ـ جواهر التاريخ (المجلد الرابع)، سيرة الإمام زين العابدين ﷺ ومواجهته لخطط التحريف الأموي، تاليف علي الكوراني العاملي، نشر دار الهدى، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٧.

- ح -

٦٤ ـ حياة الإمام زين العابدين ﷺ (دراسة وتحليل)، الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر).

٦٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، المتوفى (٤٣٠هـ).

٦٦ ـ حياة الحيوان، أبي البقاء محمّد بن موسي بن عيسي بن عليّ الدميري المصري المتوفى (٨٠٨هـ).

٦٧ ـ حياة الإمام عليّ بن الحسين ﷺ، الدكتور جعفر الشهيدي، المتوفى (١٤٢٩هـ).

٦٨ ـ حياة الإمام الباقر ﷺ، الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر).

٦٩ ـ حلية الأبرار، السيّد هاشم بن سليمان الكتكتاني البحراني، المتوفى (١١٠٧هـ).

٧٠ ـ حديث الثقلين، نشر دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط/ مصر.

- خ -

٧١ ـ خصائص أمير المؤمنين ﷺ، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى (٣٠٣هـ)، مكتبة نينوي الحديثة، طهران.

٧٢ ـ الخصال، أبي جعفر محمّد بن عليّ الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، منشورات جماعة المدرسين، قم.

٧٣ ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي، المتوفى (٩٩١هـ)، ط/الرابعة (١٤١١هـ)، دار البشائر الإسلامي ـ حلب.

٧٤ ـ الخرائج والجرائح، أبو الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي، المعروف بقطب الدين الراوندي، المتوفى (٥٧٣هـ).

- د -

٧٥ ـ دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي، السيّد جعفر مرتضى العاملي (معاصر).

٧٦ ـ الدرّ النظيم، يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري العاملي، المتوفى (٦٦٤هـ).

٧٧ ـ درر السمط في خبر السبط، أبي عبدالله محمّد بن عبد بن أبي بكر القضاعي، المعروف بابن الأبّار، المتوفى (٦٥٨هـ)، ط/الاولى (١٤٠٧هـ)، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٧٨ ـ دعائم الإسلام، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي، المتوفى (٣٦٣هـ).

٧٩ ـ الدعوات، قطب الدين بن سعيد بن هبة الله الراوندي، المتوفى (٥٧٣هـ)، ط/الاولى (١٤٠٧هـ)، مدرسة الإمام المهدي(عج)، قم.

٨٠ ـ دلائل الإمامة، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري)، مؤسسة البعثة قم، ط/الاولى (١٤١٣هـ).

ـ ذ ـ

٨١ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محبّ الدين أحمد بن عبدالله الطبري، المتوفى (٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي ـ القاهرة، عن نسخة دار الكتب المصرية.

٨٢ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمّد محسن الشيخ آقا بزرك الطهراني، المتوفى (١٣٨٩هـ).

٨٣ ـ ذيل تاريخ بغداد، أبو عبدالله محمّد بن محمود بن الحسين (ابن النجّار)، المتوفى (٦٤٣هـ).

ـ ر ـ

٨٤ ـ رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)، أبو جعفر محمّد الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ).

٨٥ ـ رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى (٢٥٥هـ)، إعداد عبدالسلام هارون، دار الجيل بيروت (١٤١٠هـ).

٨٦ ـ رسالة الثقلين (مجلّة)، تصدر عن المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، الأعداد (٤ ـ ٩).

٨٧ ـ رسالة الحسين (مجلّة)، تصدر عن مركز دراسات نهضة الإمام الحسين ﷺ، يحررها محمّد عليّ عابدين.

٨٨ ـ روضة الواعظين، محمّد بن الحسن بن عليّ بن فتّال النيسابوري، المتوفى (٥٠٨هـ)، منشورات الشريف الرضي.

ـ س ـ

٨٩ ـ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي، المتوفى (٤٥٨هـ)، دار الفكر.

٩٠ ـ السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى (٣٠٣هـ).

٩١ ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى (٢٧٥هـ).

٩٢ ـ سنن ابن ماجه، محمّد بن يزيد بن ماجه، المتوفى (٢٧٥هـ)، دار الفكر.

٩٣ ـ سنن الدارمي، أبي محمّد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بهرام الدارمي، المتوفى (٢٥٥هـ).

٩٤ ـ سيرة رسول الله ﷺوأهل بيته ﷺ، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ، ط/الاولى (١٤١٤هـ)، نشر المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ.

٩٥ ـ سير أعلام النبلاء، أبي عبدالله محمّد بن أحمد الذهبي، المتوفى (٧٤٨هـ)، ط/التاسعة (١٤١٣هـ) مؤسسة الرسالة.

- ش -

٩٦ ـ شذرات الذهب، أبي الفلاح عبدالحيّ بن أحمد بن العماد الحنبلي، المتوفى (١٠٨٩هـ).

٩٧ ـ شرح أصول الكافي، محمّد صالح المازندراني، المتوفى (١٠٨١هـ).

٩٨ ـ شرح إحقاق الحقّ، السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، المتوفى (١٤١١هـ)، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

٩٩ ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي، المتوفى (٣٦٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/ الثانية (١٤١٤هـ).

١٠٠ ـ شرح نهج البلاغة، أبي حامد هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي، المتوفى (٦٥٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية بيروت، ط/ الاولى (١٣٧٨هـ).

١٠١ ـ شرح نهج البلاغة، لإبن ميثم البحراني (ت/ ٦٩٩هـ).

١٠٢ ـ الشعر والغناء في المدينة ومكة، الدكتور شوقي ضيف (معاصر).

- ص -

١٠٣ ـ صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المتوفى (٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة.

١٠٤ ـ صحيح مسلم، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، المتوفى (٣٦١هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٥ ـ صحيح ابن خزيمة، أبي بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، المتوفى (٣١١هـ)، ط/الثانية (١٤١٢هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠٦ ـ الصحيفة السجّادية الكاملة، الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام «السجّاد»، المتوفى (٩٤ أو ٩٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/الاولى (١٤٠٧هـ)..

١٠٧ ـ الصحيفة السجّادية الجامعة، الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام، المتوفى (٩٤ أو ٩٥هـ).(إعداد السيد محمد باقر الأبطحي)، ط/الاولى (١٤١١هـ)، مؤسسة الإمام المهدي (عج) ـ قم.

١٠٨ ـ الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم، عليّ بن يونس النباطي البياضي العاملي، المتوفى (٨٧٧هـ).

١٠٩ ـ صفة الصفوة، ابن الجوزي عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد أبو الفرج، المتوفى (٥٩٧هـ).

١١٠ ـ الصراط السوي في مناقب آل النبيّ، محمّد بن عليّ اللشنجاني القادري المدني.

ـ ط ـ

١١١ ـ طبقات الفقهاء، إبراهيم بن عليّ بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، المتوفى (٤٧٦هـ).

١١٢ ـ الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري، المتوفى (٢٣٠هـ)، دار صادر بيروت.

١١٣ ـ طبقات الفقهاء، عبدالرحيم بن الحسن بن عليّ الأسنوي، المتوفى (٧٧٢هـ).

- ع -

١١٤ ـ العقد الفريد، أحمّد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي، المتوفى (٣٢٧هـ).

١١٥ ـ علل الشرائع، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، الشيخ الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، ط/ المكتبة الحيدرية النجف الأشرف سنة (١٣٨٥هـ).

١١٦ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن مهنا بن عنبة الداودي الحسني، المتوفى (٨٢٨هـ).

١١٧ ـ عيون أخبار الرضا ﷺ، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، ط/ مؤسسة الأعلمي، بيروت، سنة (١٤٠٤هـ).

١١٨ ـ عيون الأخبار وفنون الآثار، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى (٢٧٦هـ).

- غ -

١١٩ ـ الغيبة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط/الاولى (١٤١١هـ).

١٢٠ ـ الغيبة، محمّد إبراهيم النعماني ابن أبي زينب (من أعلام القرن الرابع الهجري).

- ف -

١٢١ ـ فروع الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ).

١٢٢ ـ الفصول المهمّة في معرفة الأئمة، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصبّاغ، المتوفى (٨٥٥هـ).

١٢٣ ـ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى (٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٢٤ ـ فلاح السائل، السيّد ابن طاووس عليّ بن موسى الحسني، المتوفى (٦٦٤هـ)، نشر مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية ـ قم.

- ق -

١٢٥ ـ قادتنا كيف نعرفهم؟، السيّد محمد هادي الحسيني الميلاني، المتوفى (١٣٩٥هـ).

١٢٦ ـ القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى (٨١٦ أو ٨١٧هـ).

١٢٧ ـ قرب الإسناد، أبو العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري (من علماء القرن الثالث الهجري).

- ك -

١٢٨ ـ الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية طهران، ط/الخامسة (١٣٦٣ ش).

١٢٩ ـ الكامل للمبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، المتوفى (٢٨٥هـ).

١٣٠ ـ الكامل في التاريخ، عليّ بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني (ابن الأثير الجزري)، المتوفى (٦٣٠هـ)، دار صادر بيروت سنة (١٣٨٦هـ).

١٣١ ـ الكامل للبهائي، عماد الدين الحسن بن عليّ الطبري، المتوفى أوائل القرن الثامن الهجري.

١٣٢ ـ كتاب المسند (المسند الكبير)، عمرو بن أبي عاصم الضحّاك، المتوفى (٢٨٧هـ)، ط/ الثالثة (١٤١٣هـ)، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٣٣ ـ كتاب الفتوح، أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفي، المتوفى (٣١٤هـ)، ط/ الاولى (١٤١١هـ)، دار الأضواء ـ بيروت.

١٣٤ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمة، عليّ بن عيسى الإربلي، المتوفى (٦٩٢هـ)، دار الأضواء ط الثانية (١٤٠٥هـ)، بيروت.

١٣٥ ـ كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، أبي القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزاز القمي الرازي، المتوفى (٤٠٠هـ).

١٣٦ ـ كمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين الشيخ الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/ سنة (١٤٠٥هـ).

١٣٧ ـ الكنى والألقاب، الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي، المتوفى (١٣٥٩هـ).

١٣٨ ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين المتّقي بن حسام الدين الهندي، المتوفى (٩٧٥هـ).

ـ ل ـ

١٣٩ ـ اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس عليّ بن موسى الحسني، المتوفى (٦٦٤هـ)، ط/الاولى (١٤١٧هـ)، قم.

١٤٠ ـ لواعج الأشجان، السيّد محسن بن عبدالكريم الأمين العاملي الحسيني، المتوفى (١٣٧١هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

ـ م ـ

١٤١ ـ مثير الأحزان، محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي، المتوفى (٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف سنة (١٣٦٩هـ).

١٤٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى (٨٠٧هـ)، منشورات دار الكتب العربي، ط/ الثالثة (١٤٠٢هـ).

١٤٣ ـ مجالس ثعلب، أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، المعروف بثعلب، المتوفى (٢٩١هـ).

١٤٤ ـ المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، المتوفى (٢٧٤ أو ٢٨٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران.

١٤٥ ـ المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمّد البيهقي، المتوفى (٣٢٠هـ).

١٤٦ ـ المحلّى، أبي محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المتوفى (٤٥٦هـ)، ط/ دار الفكر، تحقيق أحمد محمّد شاكر.

١٤٧ ـ المختار الثقفي، نصر بن مزاحم بن سيار التميمي المنقري، المتوفى (٢١٢هـ).

١٤٨ ـ حياة المختار، السيّد عبدالرزاق بن محمّد آل المقرّم النجفي، المتوفى (١٣٩١هـ).

١٤٩ ـ مختصر تاريخ دمشق، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور المصري، المتوفى (٧١١هـ).

١٥٠ ـ مروج الذهب ومعادن الجواهر، عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي، المتوفى (٣٤٦هـ).

١٥١ ـ المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري، المتوفى (٤٠٥هـ).

١٥٢ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى (١٣٢٠هـ)، ط/الاولى (١٤٠٨هـ)، وط الثانية (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٣ ـ مستطرفات السرائر، أبو جعفر محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي، المتوفى (٥٩٨هـ).

١٥٤ ـ المسند، أبو عبدالله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني، المتوفى (٢٤١هـ)، دار صادر ـ بيروت.

١٥٥ ـ مسند ابن الجعد، أبو الحسن عليّ بن الجعد بن عبيد الجوهري، المتوفى (٢٣٠هـ).

١٥٦ ـ مسند أبي داود، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الطيالسي، المتوفى (٢٠٤هـ)، دار المعرفة بيروت.

١٥٧ ـ مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن عليّ بن المثنى التميمي، المتوفى (٣٠٧هـ)، ط/ دار المأمون للتراث.

١٥٨ ـ مسند الإمام الرضا ﷺ، للشيخ عزيز الله العطاردي، معاصر.

١٥٩ ـ المصباح «جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية»، تقي الدين إبراهيم بن عليّ الحسن بن محمّد صالح العاملي الكفعمي، المتوفى (٩٠٥هـ)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط/الثالثة (١٤٠٣هـ).

١٦٠ ـ المصنّف، أبو بكر عبدالرزّاق بن همام الصنعاني، المتوفى (٢١٢هـ).

١٦١ ـ المصنّف، عبدالله بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي العبسي، المتوفى (٢٣٥هـ).

١٦٢ ـ معالم المدرستين، السيّد العلامة مرتضى العسكري، المتوفى (١٤٢٨هـ)، ط/ مؤسسة النعمان ـ بيروت سنة (١٤١٠هـ).

١٦٣ ـ معاني الأخبار، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ).

١٦٤ ـ معجم أحاديث الإمام المهدي، تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية باشراف عليّ الكوراني.

١٦٥ ـ معرفة الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي

الكوفي، المتوفى (٢٦١هـ)، مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة، ط/ الاولى (١٤٠٥هـ).

١٦٦ ـ المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى (٣٦٠هـ)، دار الحرمين للطباعة، ط/ سنة (١٤١٥هـ).

١٦٧ ـ المعجم الكبير، أبو القاسم بن أحمد الطبراني، المتوفى (٣٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي.

١٦٨ ـ معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، المتوفى (٦٢٦هـ).

١٦٩ ـ مطالب السؤول، محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفى (٦٥٤هـ)، تحقيق ماجد أحمد العطية.

١٧٠ ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس بن محمد رضا القمّي، المتوفى (١٣٥٩هـ).

١٧١ ـ مقاتل الطالبيين، أبي الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد الأموي الإصفهاني، المتوفى (٣٥٦هـ)، المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، ط/ الثانية (١٣٨٥هـ).

١٧٢ ـ مقتل الحسين، السيّد عبدالرزّاق بن محمّد آل المقرّم النجفي، المتوفى (١٣٩١هـ).

١٧٣ ـ مقتل الحسين ﷺ، محمّد بن عليّ بن الحسن الشجري، المتوفى (٤٤٥هـ) مكتبة آية الله المرعشي النجفي (١٤٠٣هـ).

١٧٤ ـ مقتل الحسين، أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليمن الأزدي الغامدي، المتوفى (١٥٧هـ).

١٧٥ ـ المقنعة، الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، المتوفى (٤١٣هـ).

١٧٦ ـ مقتل الحسين، للخوارزمي، الموفّق بن أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي، المتوفى (٥٦٨هـ).

١٧٧ ـ مناقب آل أبي طالب، محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السروي المازندراني، المتوفى (٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف سنة (١٣٧٦هـ).

١٧٨ ـ مناقب أهل البيت ﷺ، المولى حيدر عليّ بن محمّد الشرواني (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري)، مطبعة المنشورات الإسلامية سنة (١٤١٤هـ).

١٧٩ ـ منتخب الأثر، لطف الله الصافي الگلپايگاني (معاصر).

١٨٠ ـ من كلمات الحسين، أمّ محمّد حسين الشيرازيّ، مؤسسة الإمام الرّضا ـ قم، ١٤١٢هـ.

١٨١ ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، المتوفى (٣٨١هـ).

١٨٢ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للقطب الراوندي (ت/ ٥٧٣حهـ).

١٨٣ ـ موسوعة المصطفى والعترة، الحاج حسين الشاكري (معاصر)، نشر الهادي، قم، ط/الاولى (١٤١٧هـ).

١٨٤ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين ؑ ـ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ؑ ـ الطبعة الثالثة ١٤١٦ قم.

- ن -

١٨٥ ـ نثر الدرر، أبو سعيد منصور بن الحسن الآبي، المتوفى (٤٨١هـ).

١٨٦ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمّد بن الحسن الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري).

١٨٧ ـ نسب آل أبي طالب، عليّ بن محمّد بن أحمد بن عليّ الحسيني العبيدلي (النسّابة)، المتوفى (٢٧٠هـ).

١٨٨ ـ نشأة الشيعة والتشيّع، السيّد الشهيد السعيد محمّد باقر الصدر، المتوفى (١٤٠٠هـ)، تحقيق الدكتور عبدالجبّار شرارة.

١٨٩ ـ النصائح الكافية، السيّد محمّد بن عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي، المتوفى (١٣٥٠هـ).

١٩٠ ـ النظرية السياسيّة لدى الإمام زين العابدين ﷺ، الشيخ محمود البغدادي (معاصر)، نشر مجمع العالمي لأهل البيت ﷺ.

١٩١ ـ نظم درر السمطين في فضائل المصطفى ﷺ والمرتضى والبتول والسبطين ﷺ، محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني، المتوفى (٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى سنة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).

١٩٢ ـ نفس المهموم، الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي، المتوفى (١٣٥٩هـ).

١٩٣ ـ نقش الخواتيم، السيّد جعفر مرتضي العاملي (معاصر).

١٩٤ ـ نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، مبارك بن مبارك الجزري، ابن الأثير، المتوفى (٦٠٦هـ).

١٩٥ ـ نهج البلاغة، للشريف الرضي (ت/ ٤٦٠هـ).
١٩٦ ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، للشيخ محمد باقر المحمودي.
١٩٧ ـ نور البراهين، للسيد نعمة الله الجزائري (ت/ ١١١٢هـ

- و -

١٩٨ ـ وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المتوفى (١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط/ الثانية، قم.
١٩٩ ـ وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل، الشيخ أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير المكي الحضرمي، المتوفى (١٠٤٧هـ).
٢٠٠ ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، نور الدين عليّ بن أحمد السمهودي، المتوفى (٩١١هـ).
٢٠١ ـ وفيات الأعيان، أبي العبّاس أحمد بن محمّد البرمكي المعروف بابن خلكان، المتوفى (٦٨١هـ).
٢٠٢ ـ وقعة الطف، أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي، المتوفى (١٥٧هـ).
٢٠٣ ـ وقعة صفّين، نصر بن مزاحم بن سيّار التميمي المنقري، المتوفى (٢١٢هـ).

- ي -

٢٠٤ ـ ينابيع المودّة، سليمان بن إبراهيم القندوزي، المتوفى (١٢٩٤هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط/ الاولى (١٤١٦هـ).

المحتويات